الآثار الإيمانية
لأسماء الله الحسنى العلية

الجزء الثاني

د/ عبد الرقيب الراشدي


بسم الله الرحمن الرحيم

استـــهلال

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

الإهـــــــــــــداء

إلى من نَحْسِبُ أنه من مجددي الإيمان في القرن الخامس عشر الهجري، من وهب في سبيل تعليم حقائق الإيمان وآثاره زهرة شبابة، ومن أفنى سني عمره في سبيل نشر معاني الإيمان في وطنه وأمَّته، ومن نَحْسِبُ أنه من بقية السلف الصالح في عصرنا الحاضر،

إلى شيخنا العلامة الشيخ عبد المجيد بن الزنداني

أهدي هذا الجهد المتواضع.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسَلَّم تسليماً كثيراً، أمّا بعد:

فهذا هو الجزء الثاني من كتابي" **الآثار الإيمانية لأسماء الله الحسنى العلية**"، وقد احتوى هذا الجزء على اثنين خمسين اسما من أسماء الله الحسنى، وقد خصصت هذا الجزء لا سماء الله الحسنى المقترنة، وهي التي لا يطلق واحد منها بمفرده على الله تعالى إلا مقرونا باسم الآخر، فإن الكمال في اجتماعهما، أو كانت هذه الأسماء معانيها متقاربة، فجمعنا بينها في مكان واحد؛ حتى يجد الباحث عن أسماء بغته في مكان واحد.

وقد حرصت على ترتيب أسماء الله الحسنى في هذا الجزء كما فعلت في الجزء الأول، فقد رتبتها بحسب كثرة ورودها في القرآن الكريم، فما ورد أكثر في القرآن الكريم جعلته أولاً ثم الذي يليه، وهكذا حتى النهاية.

اسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه/ عبد الرقيب عبده خالد عبد الله دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

الجمهورية اليمنية، إب

١٩ذي القعدة ١٤٤٥ الموافق ٢٧/ ٥/ ٢٠٢٤

N٧١٢٨٤٩٥٠٥@gmail.com

للتواصل، تلفون/ واتس ٩٦٧/٧١٢٨٤٩٥٠٥

٤٨ـ الرحمن ٤٩ الرحيم جل جلاله

الرحمن الرحيم من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذين الاسمين في النقاط التالية:

أولا: معناهما اللغوي

قال أهل اللغة: "هذان الاسمان الكريمان مشتقان من "**الرحمة**" على وجه المبالغة، واسم الله "الرحمن" أشد مبالغة من اسمه "**الرحيم**"؛ لأن صيغة "فعلان" أشد مبالغة من صيغة «فعيل»، كما يقال: غضبان للممتلئ غضبا، وعطشان للممتلئ عطشا، وكذلك الرحمن: ذو النهاية في الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء، والرحمن الذي رحم كافة خلقه بأن خلقهم وأوسع عليهم في رزقهم، والرحيم خاص في رحمته لعباده المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع.

والرحمة في حقنا رقة في القلب تقتضي الإحسان إلى المرحوم وتكون بالمسامحة واللطف أو المعاونة والعطف، والرحمة تستدعي مرحوما فهي من صفات الأفعال"[١].

ثانيا: معناهما الاصطلاحي

المعنى الاصطلاحي لاسمي الله الرحمن والرحيم لا يخرج عن معناهما اللغوي، قال الإمام الغزالي في بيان المعنى الاصطلاحي لهذين الاسمين: "**الرحمن**

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ١٢/٢٣١، وكتاب العين، للفراهيدي ٣/٢٢٤ . تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج صـ ٨، اشتقاق أسماء الله، للزجاجي صـ ٣٨.

الرحيم" اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة تستدعي مرحوما ولا مرحوم إلا وهو محتاج، والذي ينقضي بسببه حاجة المحتاج من غير قصد وإرادة وعناية بالمحتاج لا يسمى رحيما، والذي يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها فإن كان قادرا على قضائها لم يسم رحيما، إذ لو تمت الإرادة لوفى بها وإن كان عاجزا فقد يسمى رحيما باعتبار ما اعتوره من الرقة ولكنه ناقص.

وإنما الرحمة التامة، إفاضة الخير على المحتاجين وإرادته لهم عناية بهم والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق ورحمة الله عز وجل تامة وعامة أما تمامها فمن حيث أنه إذا أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها، وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق وعم الدنيا والآخرة وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنهما فهو الرحيم المطلق حقا"[١].

وقال الإمام ابن القيم قال ابن القيم رحمه الله: إن "**الرحمن**" دال على الصفة القائمة به سبحانه، و"**الرحيم**" دال على تعلقها بالمرحوم ، فكان الأول للوصف والثاني للفعل . فالأول دال على أن الرحمة صفته ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] ، وقوله تبارك وتعالى:﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٧] ، ولم

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٦٣.

يجئ قط " رحمن بهم " فعلم أن "**رحمن**" هو الموصوف بالرحمة و"**رحيم**" هو الراحم برحمته[1]

ثالثا: ورودهما في القرآن والسنة

ذكر "الرحمن" في القرآن (٥٧) سبعا وخمسين مرة ؛ منها قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ ﴾ [الرحمن: ١ – ٢]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] وقوله تعالى: ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴾ [الفرقان : ٢٦] ، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [الإسراء:١١٠].

وقد أقترن اسم الله الرحمن باسمه الرحيم، في ستة مواضع ولم يقترن بغيره من الاسماء، ومن هذه المواضع، قوله: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٣]، وقوله تعالى:﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ [فصلت: ١ – ٢]، وقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ ﴾ [الحشر:٢٢]، وقوله تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل: ٣٠] ، وغير ذلك من الآيات.

أما اسم الله "**الرحيم**" فقد ذكر في القرآن الكريم (١٢٤) مئة واربعة وعشرين مرة، ومن هذه الآيات قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة: ٣٧]، وقوله

[1] بدائع الفوائد، لابن القيم١/٢٤ .

تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ١٩١]، وغير ذلك من الآيات.

وقد أقترن اسم الله الرحيم باسمه سبحانه "**الغفور**" في مواطن كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٦]، وقوله تعالى:﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يوسف: ٩٨]، وقوله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الأحقاف: ٨]، وغير ذلك من الآيات.

وقد يتساءل البعض قائلا: إن اسم الله **الرحمن** واسمه **الرحيم** كلاهما يدلان على الرحمة، لكن ما الفرق بينهما؟ وللجواب عن هذا التساؤل نقول: إن أهل العلم قد ذكروا كثيرا من الفروق بينهما، ومن أشهرها أن اسمه الرحمن يدل على أن رحمته وسعت الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أما اسمه الرحيم فبه يرحم عباده المؤمنين خاصه، كما قال تعالى:﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، قال الإمام الغزالي:" الرحمن أخص من الرحيم؛ لذلك لا يسمى به غير الله عز وجل، والرحيم قد يطلق على غيره فهو من هذا الوجه قريب من اسم الله تعالى

"**الله**" الجاري مجرى العلم وإن كان هذا مشتقا من الرحمة قطعا ولذلك جمع الله عز وجل بينهما فقال تعالى:﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ ﴾ [الإسراء : ١١٠]. فيلزم من هذا الوجه ومن حيث منعنا الترادف في الأسماء المحصاة أن يفرق بين معنى الاسمين فبالحري أن يكون المفهوم من الرحمن نوعا من الرحمة هي أبعد من مقدورات العباد وهي ما يتعلق بالسعادة الأخروية، فالرحمن هو العطوف على العباد بالإيجاد أولا وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانيا وبالإسعاد في الآخرة ثالثا والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعا"(١).

والملاحظ أن اسم الله **الرحيم** ذكر في القرآن الكريم ضعف اسمه **الرحمن**؛ ولعل السبب في ذلك أن رحمته بعباده المؤمنين أضعاف رحمته ببقية خلقه، قال ابن القيم:" إن "**الرحمن**" دال على الصفة القائمة به سبحانه و"**الرحيم**" دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ١١٧]. ولم يجيء قط (رحمن بهم) فعلم أن "**الرحمن**" هو الموصوف بالرحمة، (والرحيم) هو الرحيم برحمته" (٢)

وقال في موطن آخر:" ولم يجيء رحمن بعباده ولا رحمن بالمؤمنين؛ مع ما في اسم "**الرحمن**" الذي هو على وزن فعلان، من سعة هذا الوصف؛ وثبوت جميع

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٦٣.

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم ١/٢٤.

معناه للموصوف به. ألا ترى أنهم يقولون: غضبان للممتلئ غضبا؛ وندمان، وحيران، وسكران، ولهفان، لمن ملئ بذلك، فبناء فعلان للسعة والشمول.

ويقرن الله تعالى استواءه على العرش باسم الرحمن كثيرا، كقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه:٥] وقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٥٩]، فاستوى على عرشه باسم الرحمن؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات؛ قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق؛ واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لما قضى الله الخلق: كتب في كتاب فهو عنده موضوع على العرش إن رحمتي تغلب غضبي**"[1]، وفي لفظ" **فهو عنده على العرش**"[2] .فتأمل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة؛ ووضعه عنده على العرش، وطابق بين ذلك وبين قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه:٥]، وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٥٩] يفتح لك بابا عظيما من معرفة الرب تبارك وتعالى إن لم يغلقه عنك التعطيل والتجهم"[3].

---

(1) صحيح البخاري، برقم (٧٤٠٤)، وصحيح مسلم، برقم (٢٧٥١).
(2) صحيح البخاري، برقم (٣١٩٤).
(3) مدارج السالكين، لابن القيم ١/٣٤.

ومن الفرق بينهما أن اسم "**الرحمن**" من الأسماء التي لا يجوز لأحد من المخلوقات أن يتسمى بها؛ هو يعدل اسم لفظ الجلالة الله، وقد جمع الله بينهم في قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وأما اسم الله "الرحيم" فإنه تعالى وصف به نبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ١٢٨]. قال ابن كثير: " من أسماء الله تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم "الله"، وكاسمه "**الرحمن**"، وكاسمه "**الخالق**"، وكاسمه "**الرازق**" ونحو ذلك؛ ولهذا بدأ باسم الله الموصوف "**بالرحمن**"؛ لأنه أخص وأعرف من "الرحيم"؛ لأن التسمية أولا إنما تكون بأشرف الأسماء؛ فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص"[1] .

وقد ورد اسمي الله الرحمن والرحيم في مواطن كثيرة في السنة النبوية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه** "[2].

وفي رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم قال:" **إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة**

([1]) تفسير ابن كثير ٢١/١.

واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار "[١] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي، فإذا امرأة من السبي تبتغي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته [٢]، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟** قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**"[٣].

وعن عبد الله ابن مسعود – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" **الخيل ثلاثة، ففرس للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان، فأما فرس الرحمن فالذي يربط في سبيل الله، فعلفه وروثه وبوله وذكر ما شاء الله، وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه، وأما فرس الإنسان فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها فهي تستر من فقر**"[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف ٥/٢٣٧٤، برقم (٦١٠٤).

(٢) قال ابن حجر: هذه المرأة كانت مرضعة وعند الحرب فقدت طفلها وقد سبيت، وقد فعلت ذلك ليخفف ألم اللبن في ثديها فأخذت تبحث عن طفلها حتى وجدته فأخذته وضمته وأرضعته، فتح الباري، ٤٣٠/١٠

(٣) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ٥/٢٢٣٥، برقم (٥٦٥٣)، وصحيح مسلم كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٤/٢١٠٩ .

(٤) مسند أحمد، برقم (٣٧٥٦)، قال شعيب الأرناؤوط: صحيح، وهذا إسناد ضعيف، وصححه الألباني في إرواء الغليل ، برقم(١٥٠٨)، وهو في صحيح الجامع، برقم(٣٣٥٠)

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **قال الله عز وجل أنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها من اسمي...**" [١].

وعن عبد الرحمن بن خنبش رضي الله عنه وصححه الألباني في دعائه صلى الله عليه وسلم:" **ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن ...** " [٢].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء**" [٣].

وفي زيادة صحيحة عند الترمذي:" **الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله** " [٤].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر:" **ارحموا ترحموا واغفروا يغفر الله لكم**" [٥].

رابعا : الأثار الإيمانية لاسمي الله الرحمن والرحيم

لاسمي الله "**الرحمن والرحيم**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

---

(١) السلسلة الصحيحة ، للألباني ٢/٤٩، برقم (٥٢٠) .

(٢) السلسلة الصحيحة ، للألباني ٢/٤٩٥، برقم (٨٤٠).

(٣) أبو داود في الأدب، باب في الرحمة ٤/٢٨٥، برقم(٤٩٤١)، صحيح الجامع (٣٥٢٢

(٤) الترمذي في البر والصلة٤/٢٨٥ (٤٩٤١)، السلسلة الصحيحة، برقم(٩٢٥).

(٥) أحمد في المسند ٢/١٦٥، برقم (٧٠٤١)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، وهو في صحيح الجامع ، برقم(٨٩٧) .

١ـ من الآثار الإيمانية لاسمي الله الرحم والرحيم أن يستشعر العبد رحمة الله تعالى به في كل أمر من الأمور، فما من حال من أحوال العبد إلا ورحمة الله به ظاهرة، قد يعلمها العبد أو قد تخفى عليه، قال الإمام الغزالي:" لعلك تقول ما معنى كونه تعالى رحيما وكونه أرحم الراحمين والرحيم لا يرى مبتلى ومضرورا ومعذبا ومريضا وهو يقدر على إماطة ما بهم إلا ويبادر إلى إماطته والرب سبحانه وتعالى قادر على كفاية كل بلية ودفع كل فقر وغمة وإماطة كل مرض وإزالة كل ضرر والدنيا طافحة بالأمراض والمحن والبلايا وهو قادر على إزالة جميعها وتارك عباده ممتحنين بالرزايا والمحن؟.

فجوابك: إن الطفل الصغير قد ترق له أمه فتمنعه عن الحجامة والأب العاقل يحمله عليها قهرا والجاهل يظن أن الرحيم هي الأم دون الأب والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه وتمام شفقته وأن الأم له عدو في صورة صديق؛ فإن الألم القليل إذا كان سببا للذة الكثيرة لم يكن شرا بل كان خيرا.

والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة وليس في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه وحصل ببطلانه شرا أعظم من الشر الذي يتضمنه فاليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر وفي ضمنه الخير الجزيل وهو سلامة البدن ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن ولكان الشر أعظم وقطع اليد لأجل سلامة البدن شر في ضمنه خير ولكن المراد الأول السابق إلى نظر القاطع السلامة التي هي خير محض ثم لما كان السبيل إليه قطع اليد قصد قطع اليد لأجله فكانت السلامة مطلوبة لذاتها أولا والقطع مطلوبا

لغيره ثانيا لا لذاته فهما داخلان تحت الإرادة ولكن أحدهما مراد لذاته والآخر مراد لغيره والمراد لذاته قبل المراد لغيره ولأجله.

أما في قولك: إن هذا الشر لا خير تحته فإن هذا مما تقصر العقول عن معرفته ولعلك فيه مثل الصبي الذي يرى الحجامة شرا محضا أو مثل الغبي الذي يرى القتل قصاصا شرا محضا لأنه ينظر إلى خصوص شخص المقتول لأنه في حقه شر محض ويذهل عن الخير العام الحاصل للناس كافة ولا يدري أن التوصل بالشر الخاص إلى الخير العام خير محض لا ينبغي للغير أن يهملهأو اتهم عقلك في الخاطر الثاني وهو قولك إن تحصيل ذلك لا في ضمن ذلك الشر ممكن فإن هذا أيضا دقيق غامض فليس كل محال وممكن مما يدرك إمكانه واستحالته بالبديهة ولا بالنظر القريب بل ربما عرف ذلك بنظر غامض دقيق يقصر عنه الأكثرون.

فاتهم عقلك في هذين الطرفين ولا تشكن أصلا في أنه أرحم الراحمين وفي أنه سبقت رحمته غضبه ولا تستريبن في أن مريد الشر للشر لا للخير غير مستحق لاسم الرحمة وتحت هذا الغطاء سر منع الشرع عن إفشائه فاقنع بالإيماء ولا تطمع في الإفشاء ولقد نبهت بالرمز والإيماء إن كنت من أهله فتأمله"[١].

٢- الإيمان بهذين الاسمين الكريمين، يدفع العبد إلى التعرف على مظاهر رحمة الله في الكون وفي الآفاق وفي الأنفس، وهذه المظاهر لا تعد ولا تحصى، والتعرف على هذه المظاهر تورث في القلب محبة الله تعالى لخالقه الرحمن الرحيم جل جلاله، قال ابن القيم:" وبرحمة الله أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل

(١) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ٧٠، باختصار.

والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهادا وفراشا وقرارا وكفاتا للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر، وأطلع الفواكه والأقوات والمرعى، ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل... ومن رحمته أن خلق للذكر من الحيوان أنثى من جنسه وألقى بينهما المحبة والرحمة، ليقع بينهما التواصل الذي به دوام التناسل وانتفاع الزوجين، ويمتع كل واحد منهما بصاحبه، ومن رحمته أحوج الخلق بعضهم إلى بعض لتتم مصالحهم، ولو أغنى بعضهم عن بعض لتعطلت مصالحهم، وانحل نظامهم، وكان من تمام رحمته بهم أن جعل فيهم الغني والفقير، والعزيز والذليل، والعاجز والقادر، والراعي والمرعي، ثم أفقر الجميع إليه ثم عم الجميع برحمته.

وأعظم آثار رحمته سبحانه إرساله الرسل وإنزاله الكتب هداية للناس وإخراجا لهم من الظلمات إلى النور.

فالرسل رحمة من عند الله – عز وجل – لعباده قال الله – عز وجل –: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]. فبرحمته أرسل الرسل وأنزل الكتب لهداية البشر، ولتعريفهم بربهم سبحانه وأسمائه وصفاته، وكيفية عبادته لينقلهم برحمته من الجهالة إلى العلم ومن الغي إلى الرشد، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن النار إلى الجنة فسبحان أرحم الراحمين وخير الرازقين. يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "فبرحمته أرسل إلينا رسوله ×، وأنزل علينا

كتابه وعلمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة ، وبصرنا من العمى، وأرشدنا من الغي.

وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا...وكان عن صفة الرحمة الجنة وسكانها وأعمالهم، فبرحمته خلقت، وبرحمته عمرت بأهلها، وبرحمته وصلوا إليها، وبرحمته طاب عيشهم فيها، وبرحمته احتجب عن خلقه بالنور ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"(١).

٣- أن يتصف العبد بخلق الرحمة أثناء تعامله مع الخلق، فيرحم الناس جميعا، مؤمنهم وعاصيهم، برهم وفاجرهم، قال الإمام الغزالي:" حظ العبد من اسم الرحمن أن يرحم عباد الله الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله عز وجل بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإزراء وأن يكون كل معصية تجري في العالم كمصيبة له في نفسه فلا يألو جهدا في إزالتها بقدر وسعه رحمة لذلك العاصي أن يتعرض لسخط الله ويستحق البعد من جواره وحظه من اسم الرحيم أن لا يدع فاقة لمحتاج إلا يسدها بقدر طاقته ولا يترك فقيرا في جواره وبلده إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره إما بماله أو جاهه أو السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره فإن عجز عن جميع ذلك

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم ١٢٢/٢، باختصار وتصرف.

فيعينه بالدعاء وإظهار الحزن بسبب حاجته رقة عليه وعطفا حتى كأنه مساهم له في ضره وحاجته"[١].

ويخص بمزيد من الرحمة رحمته لأهل الزيغ والضلال، وهذا النوع من الرحمة أشار إلهيه شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال:" ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورفقت عليهم، أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما، وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة: ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٦][٢] .

.

٤- دعاء الله باسمه الرحمن والرحيم، وقد ورد في ذلك عدد من الأدلة، فمن ذلك

استعاذة مريم ابنة عمران بالرحمن عندما تمثل لها جبريل عليه السلام بشرا سويا، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم:١٨]، قال السعدي:" أي ألتجئ به وأعتصم برحمته أن تنالني بسوء ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ أي إن كنت تخاف الله وتعمل بتقواه فاترك التعرض لي، فجمعت بين الاعتصام بربها وبين تخويفه وترهيبه وأمره بلزوم التقوى وهي في تلك الحالة الخالية والشباب والبعد عن الناس وهو في ذلك الجمال الباهر والبشرية الكاملة السوية ولم ينطق لها بسوء أو يتعرض لها، وإنما ذلك خوف منها وهذا أبلغ ما يكون

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٦٩.

(٢) الفتوى الحموية، لابن تيمية، صـ ٥٥٣.

من العفة والبعد عن الشر وأسبابه وهذه العفة خصوصا مع اجتماع الدواعي وعدم المانع من أفضل الأعمال"[1]،

ومما ورد الدعاء باسم الله الرحمن ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:١١٢]، قال الإمام الطبري:" يقول جل ثناؤه: قل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويعمهم بنعمته، الذي أستعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله ﴿ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣] وقولكم: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، فإنه هين عليه تغيير ذلك، وفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك"[2].

ومن ذلك ما جاء في دعاء عباد الله المؤمنين قولهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال عز وجل في وصف عباده المؤمنين: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون:١٠٩].

---

(١) تفسير السعدي صـ ٤٩١ .

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٥٥٥

وأخبر الله عن يعقوب أنه قال الأبنائه أنه قال لهم :﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف:٦٤].

ومما ورد في السنة من الدعاء باسم الله الرحمن ما جاء من حديث عبد الرحمن التميمي رضي الله عنه أن رجلا سأله كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كادته الشياطين؟ قال: جاءت الشياطين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأودية، وتحدرت عليه من الجبال، وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد قل، قال ما أقول، قال: **قل أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن، قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله تبارك وتعالى"** [١] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لمعاذ بن جبل – رضي الله عنه –: " **ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحد دينا لأداه الله عنك، قل يا معاذ: اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما،**

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤١٩/٣ (١٥٤٩٨)، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده ضعيف، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ، برقم (٨٤٠) .

تعطيهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك " [1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **اللهم ارحم المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله، قال: اللهم ارحم المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله، قال والمقصرين** " [2].

---

(1) صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، برقم (١٨٢١) .

(2) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحلق والتقصير ثم الإحلال ٢/٦١٦ ، برقم (١٦٤٠)

٥٠ـ الغفور ٥١ـ الغفار جل جلاله

الغفور والغفار من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنهما في النقاط التالية:

أولاً: معناهما في اللغة

الغفور في اللغة من صيغ المبالغة على وزن فعول التي تدل على الكثرة والقوة في الفعل، فعله غفر يغفر غفرا ومغفرة، وأصل الغفر التغطية والستر، وكل شيء سترته فقد غفرته، تقول العرب: اصبغ ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه أي: أحمل له وأعطى له؛ وكذا غفر الشيب بالخضاب وأغفره أي: ستره؛ والمغفرة: التغطية، والمغفر: هو غطاء الرأس يتقنع به المتسلح يقيه ويستره، والمغفرة التغطية على الذنوب والعفو عنها، غفر الله ذنوبه أي سترها.

الغفار كثير المغفرة، فعله غفر يغفر غفرا ومغفرة، فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين** [1] [2].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٥/٢٥، وكتاب العين، للفراهيدي ٤/ ٤٠٧، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/٣٧٣، تفسير الأسماء، للزجاج ٣٨.

(٢) صحيح البخاري في المظالم، باب قول الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين ٢/٨٦٢ (٢٣٠٩) .

وقد يقول قائل: ما الفرق بين اسم الله الغفور واسمه الغفار؟ وللإجابة عن هذا التساؤل قال أهل العلم:" والغفور والغفار قريبان في المعنى فهما من صيغ المبالغة في الفعل، وقيل الغفار أبلغ من الغفور، فالغفور هو من يغفر الذنوب العظام، والغفار هو من يغفر الذنوب الكثيرة، غفور للكيف في الذنب وغفار للكم فيه [١]

ثانياً: معناهما في الاصطلاح

اسمي الله الغفور والغفار من أسماء الله الحسنى وقد وردت لهما عدت تعريفا اصطلاحية، ومن هذه التعاريف ما ذكره الإمام الغزالي ، حيث قال:" قال الإمام الغزالي :"الغفار هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من جملة القبائح التي سترها بإسبال الستر عليها في الدنيا والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة والغفر هو الستر.

وأول ستره على العبد أن جعل مقابح بدنه التي تستقبحها الأعين مستورة في باطنه مغطاة بجمال ظاهره فكم بين باطن العبد وظاهره في النظافة والقذارة وفي القبح والجمال فانظر ما الذي أظهره وما الذي ستره

وستره الثاني أن جعل مستقر خواطره المذمومة وإرادته القبيحة سر قلبه حتى لا يطلع أحد على سره ولو انكشف للخلق ما يخطر بباله في مجاري وسواسه وما ينطوي عليه ضميره من الغش والخيانة وسوء الظن بالناس لمقتوه بل سعوا في تلف روحه وأهلكوه فانظر كيف ستر عن غيره أسراره وعوراته

---

(١) ينظر: شرح أسماء الله الحسنى، للرازي، صـ٢٢٠، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي ١٥٦/١ والمقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٩٥.

وستره الثالث مغفرته ذنوبه التي كان يستحق الافتضاح بها على ملأ الخلق وقد وعد أن يبدل سيئاته حسنات ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته مهما مات على الإيمان"[1] .

وقال الخطابي: "الغفار الستار لذنوب عباده والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته ومعنى الستر في هذا: أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم"[2]

وقال ابن القيم – رحمه الله تعالى – في نونيته:

"وهو الغفور فلو أتى بقرابها من غير شرك بل من العصيان

لأتاه بالغفران ملء قرابها سبحانه هو واسع الغفران"[3]

وقال الشيخ السعدي "الغفور والغفار: الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفا، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة لمن أتى بأسبابها قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢]"[4] .

ثالثاً: ورودهما في القرآن والسنة

اسم الله الغفور ورد في القرآن الكريم في إحدى وتسعين آية، ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر اسم الله الغفور قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ

([1]) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٨٠.

([2]) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٥٢.

([3]) نونية ابن القيم ٢/٢٣١ الأبيات (٣٣٠٤، ٣٣٠٥).

([4]) تفسير السعدي ٥/٣٠٠.

فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[يونس: ١٠٧]

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر اسم الله الغفور قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يوسف: ٩٨]

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر اسم الله الغفور قوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩]

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر اسم الله الغفور قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف: ٥٨]

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر اسم الله الغفور قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص: ١٦]

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر اسم الله الغفور قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[سبأ: ٢]

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر اسم الله الغفور قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣]

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر اسم الله الغفور قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الشورى: ٥]

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر اسم الله الغفور قوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾[الأحقاف: ٨]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك: ٢] وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ البروج: ١٤]، وغير ذلك من الآيات القرآنية.

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن اسم الله الغفور جاء مقترناً بغيره من أسماء الله الحسنى، وأكثرها اقتراناً به اسم الله الرحيم، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النساء: ٢٣] ، وقوله تعالى: وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ [النساء: ٩٦] ، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٦] ، وقوله تعالى: ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٤] ، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٤﴾ ﴾ [الفتح: ١٤].

ومعظم الآيات التي اقترن فيها اسم الله الغفور باسم الله الرحيم يتقدم اسم الله الغفور على اسمه الرحيم، وقد علل الإمام ذل بقوله:" ولما كان دفع الشر مقدما على جلب الخير قدم اسم الغفور على الرحيم حيث وقع"[1].

وقدم اسم الله الرحيم على اسمه الغفور في آية واحدة وهي قوله تعالى:" ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾[سبأ: ٢]،

وعن سر التقديم في هذا الموضع قال الإمام ابن القيم:" وقدم الرحيم في هذا الموضع لتقدم صفة العلم فحسن ذكر الرحيم بعده ليقترن به فيطابق قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ ﴾ [غافر: ٧]"[2] .

وأما اسمه سبحانه "**الغفار**" فقد ورد في القرآن الكريم في خمسة مواطن وهي، قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [الزمر: ٥].

---

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم صـ ١٦١.

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم ١/٧٤.

وفي قوله تعالى: ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾ [غافر: ٤٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [ص: ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢].

قال العلامة ابن القيم:" والاستغفار الحق يتضمن ثلاثة أشياء: أولا تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع التوبة ذنبا إلا تناولته.

والثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرا بها.

والثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته، والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده، لا كمن يتوب لحفظ جاهه وحرمته ومنصبه ورياسته، ولحفظ حاله أو لحفظ قوته وماله، أو استدعاء حمد الناس، أو الهرب من ذمهم، أو لئلا يتسلط عليه السفهاء، أو لقضاء نهمته من الدنيا، أو لإفلاسه وعجزه ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله عز وجل، ولا ريب أن هذه التوبة تستلزم الاستغفار وتتضمنه وتمحو جميع الذنوب، وهي أكمل ما يكون من التوبة.

والله عز وجل لا يعذب مستغفرا، لكن من أصر على الذنب وطلب من الله مغفرته فهذا ليس باستغفار مطلق، ولهذا لا يمنع العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار طلب وقاية شر

ما مضى، والتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، فها هنا ذنبان، ذنب قد مضى فالاستغفار منه طلب وقاية شره، وذنب يخاف وقوعه فالتوبة العزم على أن لا يفعله والرجوع إلى الله يتناول النوعين، رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله

وأيضا فإن المذنب بمنزلة من ركب طريقا تؤديه إلى هلاكه ولا توصله إلى المقصود فهو مأمور أن يوليها ظهره ويرجع إلى الطريق التي فيها نجاته والتى توصله إلى مقصوده وفيها فلاحه فههنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء والرجوع إلى غيره فخصت التوبة بالرجوع والاستغفار بالمفارقة وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين ولهذا جاء والله أعلم الأمر بهما مرتبا بقوله﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾ [هود: ٥٢]، فإنه الرجوع إلى طريق الحق: بعد مفارقة الباطل وأيضا فالاستغفار من باب إزالة الضرر والتوبة طلب جلب المنفعة فالمغفرة أن يقيه شر الذنب والتوبة : أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده والله أعلم[١].

ومن الأحاديث التي جاءت فيها الإشارة الى اسم الله الغفور والغفار ما رواه أنس ابن مالك، أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى:" **يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء**

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم ١/٣١٠ بتصرف ، واختصار.

ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة"[1].

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسمي الله الغفور والغفار

لاسمي الله الغفور والغفار آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١- فمن هذه الآثار الإيمانية لهذين الاسمين أن يحب المؤمن ربه سبحانه وتعالى؛ لرحمته بعباده ومغفرته لذنوبهم، وقد ذكر الله تعالى سعة رحمته ومغفرته في آيات كثيرة قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ ﴾ [النجم:٣٢]،وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦ ﴾ [الرعد:٦]، وقال تعالى:﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧ ﴾ [آل عمران:١٥٧].

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام أن يعلم المؤمن أن كون الله تعالى غفورا وغفارا للذنوب لا يعني أن يتجرأ المؤمن على معصية الله تعالى وأن يسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي، بحجة أن الله غفور رحيم، وليعلم أن نيله لمغفرة الله تعالى لا تكون إلا لمن عمل السيئة والمعصية عن جهل، ثم إذا ذُكِّرَ بالله تعالى تذكر واقلع عن ننبه ومعصيته؛ حتى ينال من الله المغفرة، كما قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ

[1] سنن الترمذي، برقم(٣٥٤٠)، وقال عنه هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني، برقم (١٢٧).

فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١٧]، وقال تعالى:
﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وقد رد الإمام ابن القيم على المكثرين من معاصي الله تعالى اعتمادا على مغفرة الله فقال رحمه الله:" وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه، وضيعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين ، ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند .

قال معروف : رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق .

وقال الحسن البصري: إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة ، يقول أحدهم : لأني أحسن الظن بربي ، وكذب ، لو أحسن الظن لأحسن العمل

وقال بعض العلماء : من قطع عضوا منك في الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم، لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا"(١)

٢- ومن الآثار الإيمانية لهذين الاسمين أن يأخذ المؤمن حظه من هذين الاسمين، بأن يكثر من الاستغفار، فإذا زلت بالعبد قدمه ووقع في ذنب أو معصية فينبغي له أن يسارع بالتوبة إلى ربه الغفور والغفار، وليعلم المؤمن أن الله تعالى قد فتح لعباده باب التوبة والمغفرة، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ

(١) الجواب الكافي، لابن القيم ١/ ٥١.

ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣]. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: فيما يحكي عن ربه عز وجل أنه قال: **أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب واعمل ما شئت فقد غفرت لك**" [١]، قال الإمام النووي:" إن هذا الحديث ظاهر في الدلالة على أنه لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقطت ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة صحت توبته، وقوله: اعمل ما شئت فقد غفرت لك، معناه ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك [٢].

ثم بعد التوبة على المؤمن أن يُكثر من الأعمال الصالحة والحسنات الماحية؛ لأنها من أسباب حصول العبد على مغفرة الله تعالى لسيئاته السابقة؛ كما قال الله [طه: ٨٢]، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤]، وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: "**واتبع السيئة الحسنة تمحها**"[٣].

([١]) صحيح مسلم في التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب ٤/٢١١٢ ، برقم(٢٧٥٨) .

([٢]) صحيح مسلم بشرح، النووي ١٧/٧٥ بتصرف .

([٣]) صحيح الترمذي، للألباني، برقم (١٦١٨).

ومما يعين المؤمن على التوبة وطلب المغفرة أن يعلم سعة رحمة الله تعالى، فمهما بلغت ذنوب فإن باب التوبة والمغفرة مفتوح، ولا يغلق حتى تغرغر النفس أو تطلع الشمس من مغربها قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ ﴾ [آل عمران:١٣٥]، وعن أبي موسى – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **إن الله – عز وجل – يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**" [١].

وليكن قدوة المؤمن في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبى هريرة – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: " **والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** " [٢] .

٣ـ ومن الآثار الإيمانية لهذين الاسمين أن يدعو المؤمن ربه بهما، وقد ورد الدعاء باسم الله الغفور في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ [الزمر:٥٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١١٠ ﴾ [النساء:١١٠] وفي قوله تعالى عن موسى – عليه

---

(١) صحيح مسلم في التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ٢١١٣/٤ ، برقم(٢٧٥٩) .

(٢) صحيح البخاري في الدعوات، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة ٢٣٢٤/٥، برقم (٥٩٤٨) .

السلام -: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص:١٦]، وقوله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام -: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٦]، وقوله تعالى عن يعقوب - عليه السلام -: ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يوسف:٩٨] .وقول الله - عز وجل - عن امرأة العزيز: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف:٥٣].

وقد ورد في السنة الدعاء باسم الله الغفور، فعن عبد الله بن عمرو أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال:" **قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم** "[1].

وعن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - أنه قال: صلي بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على رجل من المسلمين فسمعته يقول:" **اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك، فقه من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحمد، اللهم فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم** "[2]،

([1]) صحيح البخاري في باب الدعاء قبل السلام ١/٢٨٦، برقم(٧٩٩) .

([2]) سنن أبي داود في الجنائز، باب الدعاء للميت ٣/٢١١ ، برقم(٣٢٠٢)، صحيح أبي داود، للألباني٢/٦١٧، برقم(٢٧٤٢) .

وعن شداد بن أوس – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" **يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب** " [١] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من مضجعه، فجعلت ألتمسه، وظننت أنه أتى بعض جواريه، فوقعت يدي عليه وهو ساجد، وهو يقول:" **اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت** " [٢].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يقول في سجوده: " **اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره** " [٣].

وعن أم سلمة رضي الله عنه أنها قالت: دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه ثم قال:" **إن الروح إذا قبض تبعه البصر**"، فضج ناس من أهله فقال:" **لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثم قال: اللهم اغفر لأبى سلمة، وارفع**

([١]) المعجم الكبير، للطبراني ٧/ ٢٧٩ (٧١٣٥)، السلسلة الصحيحة، للألباني، (٣٢٢٨) .
([٢]) سنن النسائي في كتاب التطبيق ٢/٢٢٠ ،برقم(١١٢٤)، وصححه الألباني في صفة الصلاة .
([٣]) صحيح مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ١/٣٥٠ ، برقم(٤٨٣) .

درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه " [1].

وعن أبي أمامة – رضي الله عنه – أنه قال:إن فتى شابا أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال يا رسول الله: ائذن لي بالزنا؟ فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: **مه مه**، فقال: **ادنه**، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: **أتحبه لأمك؟** قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**، قال: **أفتحبه لابنتك؟** قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: **ولا الناس يحبونه لبناتهم قال: أفتحبه لأختك؟** قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: **ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟** قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: **ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟** قال: لا والله جعلني الله فداك، **قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم**، قال: فوضع يده عليه، وقال: **اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء**" [2] .

كما ورد في السنة الدعاء بالاسم باسم الله الغفار، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي تقدم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا تضور من الليل دعا:" **لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار** ".

ومما له علاقة بذلك أن يجاهد المؤمن نفسه على أن يتخلق بخلق الصفح والعفو عن الناس وستر أخطائهم وعوراتهم، وقال صلى الله عليه وسلم: "**ومن**

---

(1) صحيح مسلم في الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر ٢/٦٣٤ ، برقم(٩٢٠) .

(2) المعجم الكبير، للطبراني ١٦٢/٨، برقم(٧٦٧٩) السلسلة الصحيحة، للألباني، برقم (٣٧٠).

ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"[١]، وهذا لمن يستحق العفو والستر، أما المجاهر الذي استمرأ الظلم والتعالي على الناس فهذا حقه الانتصار منه ومنعه من الظلم.

(١) صحيح البخاري، برقم، (٢٤٤٢).

٥٢ـ الولي ٥٣ـ المولى

الولي والمولى ، من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذه الاسماء في النقاط التالية:

أولا: المعني اللغوي لهذين الاسمين

قال أهل اللغة:" **الولي:** ضد العدو، والموالاة ضد المعاداة، يقال فيه: تولاه، وكل من ولي أمر أحد فهو وليه، والولاية بالكسر: السلطان، والولاية بالفتح: النصرة.

والولي: القرب والدنو، وكل مما يليك أي: مما يقاربك، وتولى عنه: أي أعرض، وولى هاربا: أي أدبر، [١].

وقد يقول قائل ما الفرق بين اسم الله **الولي** واسمه **المولى**، وللإجابة عن هذا التساؤل قال أهل اللغة:" **الولي:** هو من تولى أمرك وقام بتدبير حالك وحال غيرك وهذه من ولاية العموم، أما **المولى:** فهو من تركن إليه، وتعتمد عليه، وتحتمي به عند الشدة والرخاء وفي السراء والضراء، وهذه من ولاية الخصوص [٢].

ثانيا: المعني الاصطلاحي لهذين الاسمين

ورد لهذين الاسمين تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومن هذه التعريفات ما ذكره الإمام البيهقي حيث قال:" الولي: هو الناصر، وقيل: المتولي للأمر والقائم به"[٣] .

([١]) لسان العرب، لابن منظور ٦/٤٩٢٠، الصحاح في اللغة، للجوهري ٦/٢٥٢٨،

([٢]) لسان العرب، لابن منظور ٦/٤٩٢٤، الغريب المُصنّف، لابن سلام ٣/١٤١، والنهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٥/ ٢٢٧

([٣]) الاعتقاد، للبيهقي، صـ ٢١.

وقال الخطابي " **الولي:** المتولي للأمر والقائم به، كولي اليتيم، وولي المرأة في عقد النكاح عليها، وأصله من الولي، وهو القرب"[١].

وقال الامام الغزالي، حيث قال:" قال الامام الغزالي: **الولي:** هو المحب الناصر، فإنه يقمع أعداء الدين وينصر أولياءه، قال الله سبحانه وتعالى الله:" ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم محمد الآية ١١ أي لا ناصر لهم [٢].

وقال الزجاج:" **الولي**" هو فعيل، من الموالاة، والولي: الناصر وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وهو تعالى وليهم بأن يتولى نصرهم وإرشادهم، كما يتولى ذلك من الصبي وليه، وهو يتولى يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم"[٣].

أما اسم الله **المولى:** فقد قال الحليمي في تعريفه له بأنه:" المأمول منه النصر والمعونة؛ لأنه هو المالك ولا مفزع للملوك إلا مالكه"[٤].

وقال الامام البيهقي:" **المولى:** هو الناصر المعين"[٥].

وقال الإمام ابن جرير:" **المولى:** من ولي فلان أمر فلان فهو يليه ولاية، وهو وليه ومولاه"[٦].

---

(١) شأن الدعاء، للخطابي ، صـ ٧٨.
(٢) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٣٠.
(٣) تفسير الأسماء، للزجاج، صـ ٥٥.
(٤) الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ١٢.
(٥) الاعتقاد، للبيهقي، صـ ٢١.
(٦) تفسير الطبري ٣/١٠٦.

ثالثاً: ورودهما في القرآن والسنة

اسم الله **الولي** جاء ذكره في القرآن الكريم في خمسة عشرة موضعا، ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:"" قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ، أي: نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾يعني بذلك، يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وإنما جعل ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ للكفر مثلا؛ لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحته وصحة أسبابه، فأخبر تعالى ذكره عباده أنه ولي المؤمنين، ومبصرهم حقيقة الإيمان وسبله وشرائعه وحججه، وهاديهم، فموفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك، بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتر عن أبصار القلوب.

ثم أخبر تعالى ذكره عن أهل الكفر به، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ ، يعني الجاحدين وحدانيته ﴿ أَوْلِيَآؤُهُمُ ﴾ يعني نصراؤهم وظهراؤهم الذين يتولونهم ﴿ٱلطَّٰغُوتُ ﴾يعني الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ ، يعني ب﴿ٱلنُّورِ ﴾ الإيمان، على نحو ما بينا عني ب﴿ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ ظلمات الكفر وشكوكه، الحائلة دون أبصار القلوب ورؤية ضياء الإيمان وحقائق أدلته وسبله.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ أي:إن هؤلاء الذين كفروا" ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ أهل النار الذين يخلدون فيها- يعني في نار جهنم- دون غيرهم من أهل الإيمان، إلى غير غاية ولا نهاية أبدا"[1].

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **الولي** قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨]، قال الامام قال سيد قطب في ظلاله عتد هذه الآية:" فالذين اتبعوا إبراهيم – في حياته – وساروا على منهجه، واحتكموا إلى سنته هم أولياؤه . ثم هذا النبي الذي يلتقي معه في الإسلام بشهادة الله أصدق الشاهدين . ثم الذين آمنوا بهذا النبي – صلى الله عليه وسلم – فالتقوا مع إبراهيم – عليه السلام – في المنهج والطريق

﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فهم حزبه الذين ينتمون إليه، ويستظلون برايته، ويتولونه ولا يتولون أحداً غيره، وهم أسرة واحدة، وأمة واحدة من وراء الأجيال والقرون، ومن وراء المكان والأوطان؛ ومن وراء القوميات والأجناس، ومن وراء الأرومات والبيوت.

وهذه الصورة هي أرقى صورة للتجمع الإنساني تليق بالكائن الإنساني، وتميزه من القطيع! كما أنها هي الصورة الوحيدة التي تسمح بالتجمع بلا قيود؛ لأن القيد الواحد فيها اختياري يمكن لكل من يشاء أن يفكه عن نفسه بإرادته الذاتي، فهو عقيدة يختارها بنفسه فينتهي الأمر.

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ٤٢٤، باختصار.

على حين لا يملك الفرد أن يغير جنسه – إن كانت رابطة التجمع هي الجنس – ولا يملك أن يغير قومه – إن كانت رابطة التجمع هي القوم – ولا يملك أن يغير لونه – إن كانت رابطة التجمع هي اللون – ولا يملك بيسر أن يغير لغته إن كانت رابطة التجمع هي اللغة – ولا يملك بيسر أن يغير طبقته – إن كانت رابطة التجمع هي الطبقة – بل قد لا يستطيع أن يغيرها أصلا إن كانت الطبقات وراثة كما في الهند مثلاً . ومن ثم تبقى الحواجز قائمة أبداً دون التجمع الإنساني، ما لم ترد إلى رابطة الفكرة والعقيدة والتصور.

لأمر المتروك للاقتناع الفردي ، والذي يملك الفرد بذاته ، بدون تغيير أصله أو لونه أو لغته أو طبقته أن يختاره، وأن ينضم إلى الصف على أساسه؛ وذلك فوق ما فيه من تكريم للإنسان، بجعل رابطة تجمعه مسألة تتعلق بأكرم عناصره، المميزة له من القطيع، والبشرية إما أن تعيش – كما يريدها الإسلام – أناسيّ تتجمع على زاد الروح وسمة القلب وعلامة الشعور، وإما أن تعيش قطعاناً خلف سياج الحدود الأرضية ، أو حدود الجنس واللون، وكلها حدود مما يقام للماشية في المرعى كي لا يختلط قطيع بقطيع"(١) .

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **الولي** قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴾ [النساء: ٤٥]، قال الشيخ رشيد رضا في تفسيره لهذه الآية:" أي: والله أعلم منكم بأعدائكم، كالمنافقين الذين تظنون أنهم منكم وما هم منكم ؛ وأحوالهم وأعمالهم التي يكيدون بها لكم في الخفاء وما

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ١/ ٣٨٤.

يغشونكم به في الجهر بإبراز الخديعة في معرض النصيحة، وإظهار الولاء لكم والرغبة في نصركم.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ يتولى شئونكم بإرشادكم إلى ما فيه خيركم وفوزكم، وينصركم على أعدائكم بتوفيقكم للعمل بأسباب النصر من الاجتماع، والتعاون، والتناصر، وإعداد جميع ما يستطاع من وسائل القوة، فلا تغتروا بولاية غيره ولا تطلبوا النصر إلا منه باتباع سننه في نظام الاجتماع وهدايته في القرآن، ومنها عدم الاعتماد على الأعداء، وأهل الأثرة الذين لا يعملون إلا لمصلحة أنفسهم كاليهود: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا ﴾ أبلغ من كفى الله وليا، أو كفى ولاية الله ؛ لأن الكفاية تعلقت بذاته من حيث ولايته"[1] .

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **الولي** قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴾ [الرعد: ٣٧]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" أي: ولقد أنزلنا هذا القرآن والكتاب حكما، عربيا أي: محكما متقنا، بأوضح الألسنة وأفصح اللغات، لئلا يقع فيه شك واشتباه، وليوجب أن يتبع وحده، ولا يداهن فيه، ولا يتبع ما يضاده ويناقضه من أهواء الذين لا يعلمون.

---

(1) تفسير المنار، لرشيد رضاء، ٥/ ١١٢.

ولهذا توعد رسوله –مع أنه معصوم– ليمتن عليه بعصمته ولتكون أمته أسوته في الأحكام فقال: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ البين الذي ينهاك عن اتباع أهوائهم، ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ ﴾ يتولاك فيحصل لك الأمر المحبوب، ﴿ وَلَا وَاقٍ ﴾ يقيك من الأمر المكروه"[١] .

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **الولي** قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[الجاثية: ١٨ – ١٩]، قال الشيخ المراغي في تفسيره لهذه الآية:" أي ثم جعلناك بعد بنى إسرائيل الذين وصفت لك صفتهم– على نهج خاص من أمر الدين، فاتبع ما أوحى إليك، ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون الذين لا يعلمون توحيد الله ولا شرائعه لعباده وهم كفار قريش ومن وافقهم فتهلك.

ثم علل النهى عن اتباع أهوائهم فقال: أي: إن هؤلاء الجاهلين بربهم لا يدفعون عنك شيئا مما أراده بك إن اتبعت أهواءهم وخالفت شريعته.

ثم بين أولياء الكافرين وأولياء المؤمنين فقال: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ أي وإن الكافرين ليتولى بعضهم شئون بعض فى الدنيا، أما فى الآخرة فلا ولىّ ولا شفيع ولا نصير يجلب لهم ثوابا ولا يدفع عنهم عقابا.

---

(١) تفسير السعدي، صـ ٤١٩.

﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾أي: والمتقون المهتدون وليهم الله وهو ناصرهم ومخرجهم من الظلمات إلى النور، والكافرون أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات، فما أبعد الفرق بين الولايتين.

وقصارى ما سلف- دُم على ما أنت عليه من اعتمادك على ولاية ربك ونصرته، وأعرض عما سواه"(١).

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **الولي** قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٠٧]

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **الولي** قوله تعالى:﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠]

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **الولي** قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: ١١٦].

(١) تفسير المراغي ٢٥/ ١٥٢.

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **الولي** قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة: ٤]، وغير ذلك من الآيات القرآنية.

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **الولي** قوله تعالى:﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١].

أما اسمه سبحانه **المولى** فقد ورد في القرآن الكريم في اثنتي عشرة موضعا، ومن هذه المواضع قوله تعالى:﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" أي: أنت ولينا بنصرك، دون من عاداك وكفر بك، لأنا مؤمنون بك ومطيعون فيما أمرتنا ونهيتنا، فأنت ولي من أطاعك وعدو من كفر بك فعصاك، فانصرنا لأنا حزبك، على القوم الكافرين الذين جحدوا وحدانيتك وعبدوا الآلهة والأنداد دونك، وأطاعوا في معصيتك الشيطان. والمولى في هذا الموضع المفعل، من ولي فلان أمر فلان فهو يليه ولاية وهو وليه ومولاه"(١).

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **المولى** قوله تعالى:﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٤٠]، قال الشيخ الشعراوي في تفسيره لهذه الآية:" الله سبحانه وتعالى يرغب الناس حتى يؤمنوا، ولكنه في ذات الوقت يبين لهم أن كثرة عدد المؤمنين ليست هي التي تعلي راية

---

(١) تفسير الطبري ٣/١٠٦.

الإسلام وتصنع النصر للإيمان، فيقول سبحانه :﴿ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ ﴾ ، أي: إن تولى هؤلاء ولم يؤمنوا ، فإياكم أن يؤثر ذلك على شجاعتكم؛ لأنكم لا تنتصرون بمدد من هؤلاء الذين رفضوا الإيمان ، ولكن بمدد من الله سبحانه وتعالى، فالله هو مولاكم.

وإذا كان الله مولى لكم أي ناصراً ومؤيداً فهو سبحانه وتعالى : ﴿ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾؛ لأن المولى إذا كان غير الله فهو من الأغيار، قد يكون اليوم قويّاً قادراً على أن يأخذ بيدنا وينصرنا، ولكنه قد يموت غداً؛ لذلك فهو لا يصلح مولى، وقد يسقط عنه سلطانه وقوته ويصبح ضعيفاً محتاجاً لمن ينصره فلا ينفع وليا ولا معيناً لأحد .

والمولى الحق الذي يجب أن نتمسك به هو الذي لا تصيبه الأغيار لأنه دائم الوجود لا ينتهي بالموت وهو دائم القوة والقدرة لا يضعف أبداً، هذا هو المولى الذي يجب أن تضع فيه ثقتك وتتوكل عليه"(١).

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **المولى** قوله تعالى:﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢ قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" ﴿ ثُمَّ ﴾بعد الموت والحياة البرزخية وما فيها من الخير والشر ﴿ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ أي الذي تولاهم بحكمه القدري فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير ثم تولاهم بأمره ونهيه وأرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب ثم ردوا إليه ليتولى الحكم فيهم بالجزاء ويثيبهم على ما عملوا من الخيرات

---

(١) تفسير الشعراوي، صـ ٣٢٧٦.

ويعاقبهم على الشرور والسيئات وَلهذا قال ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾وحده لا شريك له ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ لكمال علمه وحفظه لأعمالهم بما أثبتته في اللوح المحفوظ ثم أثبته ملائكته في الكتاب الذي بأيديهم فإذا كان تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير وهو القاهر فوق عباده وقد اعتنى بهم كل الاعتناء في جميع أحوالهم وهو الذي له الحكم القدري والحكم الشرعي والحكم الجزائي فأين للمشركين العدولُ عن من هذا وصفه ونعته إلى عبادة من ليس له من الأمر شيء ولا عنده مثقال ذرة من النفع ولا له قدرة وإرادة.

أما والله لو علموا حلم الله عليهم وعفوه ورحمته بهم وهم يبارزونه بالشرك والكفران ويتجرؤون على عظمته بالإفك والبهتان وهو يعافيهم ويرزقهم لانجذبت دواعيهم إلى معرفته وذهلت عقولهم في حبه ولمقتوا أنفسهم أشد المقت حيث انقادوا لداعي الشيطان الموجب للخزي والخسران ولكنهم قوم لا يعقلون"(١) .

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **المولى** قوله تعالى:﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" : يقول تعالى ذكره مؤدِّبًا نبيّه محمدًا صلى الله عليه وسلم:﴿ قُل ﴾ ، يا محمد، لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ ﴾ ، أيها المرتابون في دينهم ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ ، في اللوح المحفوظ، وقضاه علينا هُوَ ﴿مَوْلَىٰنَاۚ ﴾ ، أي: هو ناصرنا على أعدائه ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، يقول: وعلى الله فليتوكل المؤمنون،

---

(١)]، تفسير السعدي صـ ٢٥٩.

فإنهم إن يتوكلوا عليه، ولم يرجُوا النصر من عند غيره، ولم يخافوا شيئًا غيره، يكفهم أمورهم، وينصرهم على من بغاهم وكادهم"[1].

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **المولى** قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **المولى** قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[يونس: ٣٠].

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **المولى** قوله تعالى: ﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨] .

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **المولى** قوله تعالى: ﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨] .

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله **المولى** قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وغير ذلك من الآيات القرآنية.

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إذا غزا قال: " **اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول وبك أصول وبك أقاتل** " [1] .

---

(1) تفسير الطبري ١٤/ ٢٩٠.

وعند البخاري من حديث عمرو بن العاص – رضي الله عنه – أنه قال: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – جهارا غير سر يقول: (إن آل أبي ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين ولكن لهم رحم أبلها ببلالها) [٢] ، يعني أصلها بصلتها .

رابعاً: الآثار الإيمانية لهذين السمين

لهذين الاسمين آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على أهل الإيمان، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من آثار الإيمان بهذين الاسمين أن يحرص المسلم على أن يكون من أولياء الله تعالى، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم بأن له أولياء، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٣]، وأخبر تعالى أنه يتولى أوليائه بسبب أعمالهم التي يقومون بها، قال تعالى: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

ونيل هذه الولاية مرهون بمحافظة العبد على الفرائض وبإكثاره من النوافل، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي**

---

(١) سنن أبي داود في الجهاد، باب ما يدعى ثم اللقاء ٤٢/٣ ، برقم(٢٦٣٢)، وهو في صحيح أبي داود ٢ /٤٩٩ ، برقم(٢٣٦٦) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تبل الرحم ببلاله ٢٢٣٣/٥ ، برقم(٥٦٤٤).

بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته" [1].

وإذا تولى الله عبداً كان معه في دنياه وأخراه، فن أم عائشة رضي الله عنها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: **"ثلاث أحلف عليهن، لا يجعل الله – عز وجل – من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له فأسهم الإسلام ثلاثة الصلاة والصوم والزكاة، ولا يتولى الله – عز وجل – عبدا في الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة، ولا يحب رجل قوما إلا جعله الله – عز وجل – معهم، والرابعة لو حلفت عليها رجوت أن لا آثم، لا يستر الله – عز وجل – عبدا في الدنيا إلا ستره يوم القيامة "** [2].

قال الإمام الغزالي:" الولي من العباد من يحب الله عز وجل ويحب أولياءه وينصره وينصر أولياءه ويعادي أعداءه، ومن أعدائه النفس والشيطان، فمن خذلهما ونصر أمر الله تعالى ووالى أولياء الله وعادى أعداءه فهو الولي من العباد"[3].

---

(1) صحيح البخاري في الرقاق، باب التواضع ٥/٢٣٨٤ ، برقم (٦١٣٧) .

(2) صحيح الجامع ، برقم (٣٠٢١)

(3) المقصد الأسنى ، للغزالي صـ ١٣٠.

وقد ذكر الامام ابن القيم أن ولاية الله لعباده على وجهين، **الوجه الأول**: الولاية العامة وهي ولاية الله لشئون عباده، وتكفله بأرزاقهم وتدبيره لأحوالهم، وتمكينهم من الفعل والاستطاعة، وذلك بتيسير الأسباب ونتائجها وترتيب المعلولات على عللها، وتلك هي الولاية العامة التي تقتضي العناية والتدبير، وتصريف الأمور وتدبير المقادير، فالله من فوق عرشه قريب من عباده.

الوجه الثاني: ولاية الله للمؤمنين وهي ولاية حفظ وتدبير سواء كان تدبيرا كونيا أو شرعيا؛ فإن الإرادة الكونية والشرعية عند السلف تجتمعان في المؤمن وتفترقان في الكافر حيث تتوافق إرادة المؤمن مع الإرادة الشرعية والكونية معا، والكافر يخالف الشرعية ويوافق الكونية حتما [١].

٢- - ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين أن من تولى أمر من أمور المسلمين فليرفق بهم، وإلا ستصيبه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به** " [٢] .

وعن مريم الأزدي أنه قال: دخلت على معاوية فقال: ما أنعمنا بك أبا فلان، وهي كلمة تقولها العرب، فقلت: حديثا سمعته أخبرك به سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "**من ولاه الله – عز وجل – شيئا من أمر**

---

(١) شفاء العليل، لابن القيم، صـ٢٨٠، باختصار.

(٢) صحيح مسلم في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ٣/ ١٤٥٨ ، برقم(١٨٢٨) .

المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره، قال فجعل رجلا على حوائج الناس " (١).

وعن أبي قتادة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول على المنبر للأنصار: **ألا إن الناس دثارى والأنصار شعارى، لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعبة لاتبعت شعبة الأنصار، ولولا الهجرة لكنت رجلا من الأنصار فمن ولي أمر الأنصار فليحسن إلى محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم، ومن أفزعهم فقد أفزع هذا الذي بين هاتين وأشار إلى نفسه** " (٢).

وعن عوف بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة** " (٣).

٣ ـ ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين أن يوقن المسلمون أن الله تعالى متى تولاهم نصرهم على أعدائهم، متى ما كانوا أولياء الله حقا، ومتى ما أخذوا بأسباب النصر والتمكين، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا

---

(١) سنن أبي داود في الخراج والإمارة، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية والحجبة عنه ٣/١٣٥ (٢٩٤٨)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب ، برقم(٢٢٠٨) .

(٢) مسند أحمد ٥/ ٣٠٧ ، برقم (٢٢٦٦٨)، قال شعيب الأرناؤوط : صحيح لغيره، وهو في السلسلة الصحيحة، للألباني، برقم (٩١٧) .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم ٣/ ١٤٨١ ، برقم(١٨٥٥) .

مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" من كان الله مولاه وناصره فحسبه، وفيه الكفاية والغناء؛ وكل ما قد يصيبه إنما هو ابتلاء وراءه الخير، لا تخلياً من الله عن ولايته له، ولا تخلفاً لوعد الله بنصر من يتولاهم من عباده .

ومن لم يكن الله مولاه فلا مولى له، ولو اتخذ الإنس والجن كلهم أولياء، فهو في النهاية مضيع عاجز؛ ولو تجمعت له كل أسباب الحماية وكل أسباب القوة التي يعرفها الناس"[1].

ولذلك شواهد كثيرة في حياته صلى الله عليه وسلم، فعن البراء رضي الله عنه قال

لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشا من الرماة وأمر عليهم عبد الله وقال:" **لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا**" فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله: عهد إلي النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلا وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: "**لا تجيبوه**" فقال أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال "**لا تجيبوه**" فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك ما يخزيك قال أبو سفيان: اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا:" **الله أعلى**

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٦/ ٤٤٥.

وأجل" قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم "**أجيبوه**" قالوا ما نقول قال قولوا:" ال**له مولانا ولا مولى لكم**" قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر .والحرب سجال، وتجدون مثلة لم آمر بها، ولم تسؤني"[١].

٤- ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين أن يدعو المسلم ربه بهذين الاسمين، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية ، ومن ذلك دعاء عباد الله المؤمنين قائلين: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٨٦].

ودعاء نبي الله يوسف عليه السلام ربه قائلا : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف:١٠١].

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – أنه قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعلمنا دعاء ندعو به في القنوت من صلاة الصبح: **اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا**

---

(١) صحيح البخاري، برقم(٣٧٣٧).

شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت "[1].

وعن زيد بن الأرقم – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والجبن والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها** "[2] .

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يقول: " **يا ولي الإسلام وأهله ثبتني حتى ألقاك** " [3] ، وفي رواية أخرى عنه كان من دعاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " **يا ولي الإسلام وأهله مسكني بالإسلام حتى ألقاك عليه** " [4] .

وعن البراء بن عازب – رضي الله عنه – أن رسول الله قال في دعائه لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: " **اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه** " [5].

([1]) سنن الترمذي، كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في قنوت الوتر ٣٢٨/٢ (٤٦٤)، وصححه الألباني ، في مشكاة المصابيح، برقم (١٢٧٣) .

([2]) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ٢٠٨٨/٤ ، برقم(٢٧٢٢) .

([3]) السلسلة الصحيحة ٤٣٨/٤ ، برقم(١٨٢٣) .

([4]) السلسلة الصحيحة ٤٦٢/٤ ، برقم(١٤٧٦) .

([5]) ابن ماجة في فضل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ٤٣/١ (١١٦)، وهو في السلسلة الصحيحة، برقم (١٧٥٠).

٥٤ـ الخالق ٥٥ الخلاق جل جلاله

الخالق والخلاق من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذين الاسمين في النقاط التالية:

أولا: معناهما اللغوي

قال أهل اللغة: الخالق في اللغة اسم فاعل فعله خلق يخلق خلقا، والخلق مصدر من الفعل خلق، ومنه قوله:﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة:٧].

ويأتي الخلق أيضا بمعنى المخلوق، ومنه قوله تعالى:﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾ [لقمان:١١].

والخلق في كلام العرب على وجهين: **أحدهما:** الإنشاء على مثال أبدعه، **والثاني:** التقدير. كقوله تعالى:﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] معناه أحسن المقدرين، والعرب تقول: خلقت الأديم إذا قدرته وقسته لتقطع منه مزادة أو قربة أو خفا"

والخلق أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء قال تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٣] أي أبدعهما .

وليس الخلق الذي هو الإبداع لا يكون إلا لله تعالى، قال تعالى:﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل: ١٧]، وأما الذي يكون بالاستحالة فقد

جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحوال كعيسى، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٠] .

ويستعمل الخلق في إيجاد الشيء من الشيء كقوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[الزمر: ٦]. [١].

ثانيا: معناهما الاصطلاحي

المعنى الاصطلاحي لهذين الاسمين لا يخرج عن معناهما اللغوي، قال الخطابي: " "**الخالق**" هو المبدع للخلق المخترع له على غير مثال سابق، قال سبحانه:﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣] ، فأما في نعوت الآدميين فمعنى الخلق: التقدير كقوله – عز وجل -: ﴿ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ [آل عمران: ٤٩][٢].

وقال الزجاج:" أصل الخلق في الكلام التقدير يقال: خلقت الشيء خلقا إذا قدرته، فالخلق في اسم الله تعالى هو ابتداء تقدير السيئ، فالله تعالى خالقها ومنشئها وهو متممها ومدبرها فتبارك الله أحسن الخالقين"[٣].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٢/١٢٤٤، المفردات، للراغب الأصفهاني صـ ١٥٧، وتهذيب اللغة ، للأزهري ٧/٢٥، ، واشتقاق أسماء الله، للزجاجي صـ١٦٦.

(٢) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٤٩.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج صـ: ١٥.

ثالثا: ورود هذين الاسمين في القرآن والسنة

ورد اسم الله الخالق في أحدى عشر موضعا من القرآن الكريم، ومن هذه المواطن ما جاء في آخر سورة الحشر، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤]، قال الامام الرازي في بيان معنى اسم الله الخالق قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ﴾ والخلق هو التقدير، معناه أنه يقدر أفعاله على وجوه مخصوصة ، فالخالقية راجعة إلى صفة الإرادة"[١].

والله تعالى خالق على الحقيقة وليس على المجاز كما ذهب إلى ذلك بعض أهل المجاز، وقد رد العلامة ابن القيم على أصحاب هذا القول بكلام نفيس، نثبته هنا؛ لأهميته، قال رحمه الله تعالى:" "إنه ليس في المعلومات أظهر من كون الله خالقا؛ ولهذا أقرت به جميع الأمم مؤمنهم وكافرهم ولظهور ذلك؛ وكون العلم به بديهيا فطريا؛ احتج الله به على من أشرك به في عبادته فقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ [الزمر: ٣٨]، في غير موضع من كتابه.

فعلم أن كونه سبحانه خالقا من أظهر شيء عند العقول، فكيف يكون الخبر عنه بذلك مجازا؛ وهو أصل كل حقيقة، فجميع الحقائق تنتهي إلى خلقه وإيجاده، فهو الذي خلق وهو الذي علم، كما قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ

---

(١) تفسير الرازي، ١٥/ ٣١٦.

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق ١-٥].

فجميع الموجودات انتهت إلى خلقه وتعليمه، فكيف يكون كونه خالقا عالما مجازا؟ وإذا كان كونه خالقا عالما مجازا: لم يبق له فعل حقيقة ولا اسم حقيقة، فصارت أفعاله كلها مجازات، وأسماؤه الحسنى كلها مجازات.

فجميع أهل الإسلام متفقون على أن الله خالق حقيقة لا مجازا، بل وعباد الأصنام وجميع الملل"(١).

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر اسم الله "**الخالق**" قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ذكره: الذي خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم، هو الله ربكم، أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان، والجاعلون له الجن شركاء، وآلهتكم التي لا تملك نفعا ولا ضرا، ولا تفعل خيرا ولا شرا ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه للذين زعموا أن الجن شركاء الله. يقول جل ثناؤه لهم: أيها الجاهلون، إنه لا شيء له الألوهية والعبادة، إلا الذي خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من في السموات والأرض

(١) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم ٢/٣٢٨.

إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها، فإنه خالق، كل شيء وبارئه وصانعه، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة"(١).

وقريبا من معنى هذه الآية قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [غافر: ٦٢]، وقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الزمر: ٦٢].

والله تعالى يذكر الناس جميعا بأنه خالقهم ورازقهم، كما في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم، أنه خالق لآدم من طين، قال تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ [الحجر: ٢٨]، وقال تعالى:﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴾ [ص: ٧١].

والإنسان أعظم مخلوقات الله تعالى؛ لذلك فصل الله مراحل خلقه في كتابة الكريم؛ لأن هذا الخلق الدقيق والعجيب يدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، قال شيخنا العلامة، الشيخ عبد المجيد الزنداني:" لقد كان الإنسان نطفة (حيوانا منويا) ناقصة في خصية الرجل، وكان النصف الآخر نطفة

(١) تفسير الطبري (١٢/ ١٢).

(بويضة) ناقصة في مبيض الأم فكل خلية في جسم الإنسان رجلا كان أو امرأة تنقسم إلى قسمين:

وكل قسم من هذين القسمين يكون خليه كاملة فيها (٤٨) حاملا وراثيا (كروموزوم) إلا تلك الخلايا المنقسمة في خصية الرجل ومبيض المرأة والتي ينشأ عن انقسامها تكوين (الحيوانات المنوية) في الرجل (نطفة الرجل) والبيضة في الأنثى (نطفة المرأة) فإن الانقسام فيها يكون مخالفا لسائر الانقسامات في جميع خلايا الجسد ، لأن كل خلية منوية ذكرية أو أنثوية (حيوان منوي أو بويضة) لا يتكون إلا من (٢٤) حاملا وراثيا (كروموزوم)، فلماذا شذت الخلية التي يتكون منها الحيوان المنوي في الرجل عن سائر خلايا الإنسان في عدد الحوامل الوراثية في كل منها؟ والجواب نعرفه بعد خروج نطفة الرجل من مكانها ، وخروج نطفة المرأة في المبيض والتقاء النطفتين في القرار المكين (رحم المرأة) حيث تتحد النطفتان فتتكون منهما خلية واحدة عدد حواملها الوراثية (٤٨ كروموزوم) ، ومن هنا نعرف لماذا حدث ذلك الاختلاف في انقسام الخلايا المنوية عن سائر خلايا جسم الإنسان ، ذلك لأن كل خلية في جسم الإنسان تعتبر وحدة مستقلة متكاملة، فيجب أن يكون عدد الحوامل الوراثية كاملا وقدره (٤٨) ، وأما الخلايا المنوية فإنه من المعروف والمفهوم والمعلوم أنها ستتحد مع بعضها لتكوين الجنين فيجب أن يكون في كل منها نصف القدر من الحاملات الوراثية حتى إذا تم الاتحاد تكونت خلية ببشرية كاملة بالقدر الصحيح. فماذا تستنتج أيها العاقل من هذه الآية التي تحدث في كل إنسان بالغ، بل وفي كل حيوان بالغ؟

إن العقل ليستنتج أن الذي يخلق النطفة الذكرية ناقصة في حواملها الوراثية (٢٤) (كروموزوم) يعلم أن مصير هذه النقطة المذكرة أن تتخذ بالنطفة المؤنثة التي تتكون أيضا من (٢٤) حاملا وراثيا وبالاتحاد تنتج الخلية الإنسانية الكاملة المكونة من (٤٨) حاملا وراثيا .

فهل تعلم الخصية في الرجل وكذا باقي التفاعلات الكيماوية ما أعد من مبيض الأنثى من تكميل للنقص في عدد الحوامل الوراثية في الخلية المنوية المذكرة التي تنشأ في الخصية؟

وهل تعلم الخصية وكذا المبيض أن مصير ما ينتجانه من خلايا ناقصة هو الاتحاد وتكميل بعضها البعض؟

إن العاقل ليسخر من هذه الأوهام كما أنه لا يشك لحظة أن خالق النطف المنوية المذكرة والمؤنثة عليم بما يصنع في أعماق أحشاء الرجل والمرأة على السواء، حكيم في تقديره وتدبيره، كما لا يشك العاقل في أن الطبيعة ليست هي صاحبة ذلك العلم والتقدير وصدق الله القائل: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الواقعة : ٥٧-٥٩] والقائل: ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [عبس: ١٧-٢٢]"[1].

وقريبا من اسم الله الخالق جاء اسم الله الخلاَّق، قد جاء ذكره في القرآن الكريم في موضعين، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٨٦]، وفي

---

(١) توحيد الخالق، لشيخنا العلامة، الشيخ عبد المجيد الزنداني صـ ١٣٧.

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١]، واسم الله الخلاق صيغة مبالغة من اسمه الخالق، والتي تدل على كثرة مخلوقاته سبحانه وتعالى، قال ابن عاشور:" وجملة وهو ﴿ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١] معترضة في آخر الكلام، والواو اعتراضية، أي هو يخلق خلائق كثيرة وواسع العلم بأحوالهم ودقائق ترتيبها"(١).

وقد ورد اسم الله الخالق في السنة النبوية، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال:" غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله لو سعرت؟ فقال:" **إن الله هو الخالق القابض الباسط الرازق المسعر، وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال**" (٢).

وعمران بن حصين، والحكم بن عمرو الغفاري، والنواس بن سمعان رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق** "(٣).

رابعا: الآثار الإيماني لاسمي الله الخالق والخلاق.

لاسمي الله "**الخالق والخلاق**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن ، ومن هذه الآثار ما يلي:

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور،٢٣/ ٧٩.

(٢) مسند أحمد، برقم(١٢٦١٣)، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الصحيح وهو في صحيح الجامع، للألباني، برقم (١٨٤٦).

(٣) وهو في صحيح الجامع للألباني، برقم(١٣٤٧٧).

١ـ الإيمان باسم الله "**الخالق**" يقتضي تعظيم الله تعالى وإجلاله؛ لأن التأمل في مخلوقات الله العظيمة في الآفاق والأنفس، وما فيها دقة وانتظام تدلنا على أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم:" من طرق إثبات الصفات وهو دلالة الصنعة عليها، فإن المخلوق يدل على وجود خالقه، وعلى حياته وعلى قدرته وعلى علمه ومشيئته.

فإن الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاما ضروريا، وما فيه من الإتقان والإحكام ووقوعه على أكمل الوجوه يدل على حكمة فاعله وعنايته، وما فيه من الإحسان والنفع ووصول المنافع العظيمة إلى المخلوق يدل على رحمة خالقه وإحسانه وجوده، وما فيه من آثار الكمال يدل على أن خالقه أكمل منه، فمعطي الكمال أحق بالكمال، وخالق الأسماع والأبصار والنطق أحق بأن يكون سميعا بصيرا متكلما، وخالق الحياة والعلوم والقدر والإرادات أحق بأن يكون هو كذلك في نفسه، فما في المخلوقات من أنواع التخصيصات هو من أدل شيء على إرادة الرب سبحانه ومشيئته وحكمته؛ التي اقتضت التخصيص، وحصول الإجابة عقيب سؤال الطالب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات؛ وعلى سمعه لسؤال عبيده؛ وعلى قدرته على قضاء حوائجهم؛ وعلى رأفته ورحمته بهم، والإحسان إلى المطيعين والتقرب إليهم والإكرام وإعلاء درجاتهم يدل على محبته ورضاه. وعقوبته للعصاة والظلمة وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب، والسخط، والإبعاد، والطرد. والإقصاء يدل على المقت والبغض، فهذه الدلالات من جنس واحد عند التأمل.

ولهذا دعا سبحانه في كتابه عباده إلى الاستدلال بذلك على صفاته، فهو يثبت العلم بربوبيته ووحدانيته؛ وصفات كماله بآثار صفته المشهودة، والقرآن مملوء بذلك، فيظهر شاهد اسم (الخالق) من نفس المخلوق، وشاهد اسم (الرزاق) من وجود الرزق والمرزوق، وشاهد اسم (الرحيم) من شهود الرحمة المبثوثة في العالم، واسم (المعطي) من وجود العطاء – الذي هو مدار لا ينقطع لحظة واحدة – واسم (الحليم) من حلمه عن الجناة والعصاة وعدم معاجلتهم، واسم (الغفور والتواب) من مغفرة الذنوب وقبول التوبة، ويظهر شاهد اسمه (الحكيم) من العلم بما في خلقه وأمره من الحكم والمصالح ووجوه المنافع. وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنى له شاهد في خلقه وأمره يعرفه من عرفه ويجهله من جهله، فالخلق والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته، وكل سليم العقل والفطرة يعرف قدر الصانع وحذقه وتبريزه على غيره؛ وتفرده بكمال لم يشاركه فيه غيره من مشاهدة صنعته، فكيف لا تعرف صفات من هذا العالم العلوي والسفلي؛ وهذه المخلوقات من بعض صنعه.

إذا اعتبرت المخلوقات والمأمورات: وجدتها بأسرها كلها دالة على النعوت والصفات وحقائق الأسماء الحسنى، وعلمت أن المعطلة من أعظم الناس عمى بمكابرة، ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصة، كما قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرب جل جلاله ونعوته وأسمائه، فهي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى وحقائقها، وتنادي عليها وتدل عليها، وتخبر بها بلسان النطق والحال، كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملك الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها لو تأملت خطها ألا كل شي ما خلا الله باطل

تشير بإثبات الصفات لربها فصامتها يهدي ومن هو قائل

فلست ترى شيئا أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها ونعوت كماله وحقائق أسمائه، وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلا وحسا وفطرة ونظرا واعتبارا "[1].

٢ـ ومن مقتضيات الإيمان باسمي الله الخالق والخلاق أن يتفكر العبد في مخلوقات الله تعالى؛ لأن التفكر فيها يدلنا على عظمة الخالق لها سبحانه وتعالى، ومن أعظم مخلوقات التي ينبغي أن نتفكر فيها، التفكر في خلق السموات والأرض؛ لأن خلقهما خلق شديد عظيم خلقه الله تعالى ليقيم الإنسان عليه حياته، قال تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النازعات: ٢٧ – ٣٣].

وقد دعا الله عباده إلى التفكر في خلقه للسموات والأرض فقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

[1] مدارج السالكين، لابن القيم٣/٣٥٥ .

ومما ينبغي أن يتفكر فيه التفكر في خلق الله تعالى لهذا الإنسان؛ فإن خلق الإنسان في منتهى الدقة التي تدلنا على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وقد أمرنا الله تعال بالنظر في خلقه لنا، قال تعالى:" ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الطارق: ٥ – ٨].

وقد فصل الله تعالى في كتابه الكريم مراحل خلقه لهذا الإنسان، فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٦].

٣- ومن مقتضيات الإيمان باسمي الله الخالق والخلاق دعاء الله تعالى باسميه الخالق والخلاق، وقد جاء في السنة النبوية جملة من الأدعية النبوية باسم الله الخالق، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قال ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة** " [١].

---

(١) صحيح البخاري، في الدعوات، باب أفضل الاستغفار ٥/٢٣٢٣ ، برقم(٥٩٤٧) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أمر رجلا إذا أخذ مضجعه أن يقول:" **اللهم خلقت نفسي وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها اللهم إني أسألك العافية،** فقال له رجل: أسمعت هذا من عمر؟ فقال: من خير من عمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم" [١].

وعن أبي صالح رضي الله عنه قال: سمعت رجلا من أسلم قال: كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله لدغت الليلة؛ فلم أنم حتى أصبحت، **قال:** ماذا؟ قال: عقرب، **قال:**" **أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك إن شاء الله** "[٢].

---

(١) صحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول ثم النوم وأخذ المضجع ٤/٢٠٨٣ ، برقم(٢٧١٢) .

(٢) صحيح ابن ماجة ، برقم(٣٥١٨).

٥٦ـ القوي ٥٧ـ المتين جل جلاله

القوي والمتين اسمين من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنهما في النقاط الآتية:

أولاً: معناهما في اللغة

قال أهل اللغة:" القوي في اللغة صفة مشبهة للموصوف بالقوة، وقد قوي وتقوى فهو قوي، يقال قوى الله ضعفك أي أبدلك مكان الضعف قوة،

والقوي: ذو القوة والأيد. ويقال لمن أطاق شيئا وقدر عليه: قد قوي عليه، ولمن لم يقدر عليه: قد ضعف عنه، فالله عز وجل قوي قادر على الأشياء كلها لا يعجزه شيء منها.

والقوي: هو الكامل القدرة على الشيء يقول: هو قادر على حمله، فإذا زدته وصفا قلت: هو قوي على حمله.

والقوة نقيض الضعف والوهن والعجز وهي الاستعداد الذاتي والقدرة على الفعل، وعدم العجز عن القيام به، قال تعالى لموسى – عليه السلام – عن الألواح: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ [الأعراف:١٤٥]، أي خذها بقوة في دينك وحجتك، وقال ليحي – عليه السلام –: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم:١٢]، أي بجد وعون من الله تعالى [١].

أما اسم الله المتين فقال أهل اللغة في تعريفه:" المتن من كل شيء ما صلب ظهره، والجمع متون، وأصل **المتين:** فعيل من المتن الذي هو العضو، ويقال ما

(١) لسان العرب، لابن منظور ٢٠٦/١٥، الصحاح، للجوهري، ٢٤٦٩/٦، اشتقاق الأسماء، للزجاجي، صـ ١٤٩، تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، صـ ٥٨.

تنته على ذلك الأمر إذا قاويته مقاوته، وهو يفيد في الله سبحانه التناهي في القوة والقدرة"[١].

ثانياً: معناهما في الاصطلاح

اسم الله **القوي** وردت له عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومنها ما ذكره الخطابي حيث قال: " القوي: هو الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال، والمخلوق وإن وصف بالقوة فإن قوته متناهية وعن بعض الأمور قاصرة"[٢].

وقال أبو سليمان الداراني: القوي قد يكون بمعنى القادر ومن قوي على شيء فقد قدر عليه، وقد يكون معناه التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال، والمخلوق وإن وصف بالقوة فإن قوته متناهية، وعن بعض الأمور قاصرة"[٣] .

وقال ابن القيم في نونيته:

وهو القوي له القوى جمعا تعالى رب ذي الأكوان والأزمان

وهو القوي بقوة هي وصفه وعليك يقدر يا أخا السلطان [٤].

وقال الإمام الغزالي:" القوة تدل على القدرة التامة، والله سبحانه وتعالى من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي وذلك يرجع إلى معاني القدرة" [١]

([١]) لسان العرب، لابن منظور، ٣٩٨/١٣، تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، صـ ٣٦، غريب الحديث، لابن الأثير صـ ٤٢.

([٢]) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٧٧.

([٣]) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٧٥.

([٤]) النونية، لابن القيم ٢١٨/٢.

وقد يقوق قائل ما الفرق بين القوة ولقدرة؟، وللإجابة عن هذا التساؤل، قال الشيخ ابن عثيمين:" القدرة يقابلها العجز، والقوة يقابلها الضعف، والفرق بينهما أن القدرة يوصف بها ذو الشعور، والقوة يوصف بها ذو الشعور وغيره.

ثانيا: أن القوة أخص فكل قوي من ذي الشعور قادر وليس كل قادر قويا"[٢].

أما التعريف الاصطلاحي لاسم الله المتين، فقد قال الإمام الخطابي في تعريفه:" **المتين**: القوي الشديد، الذي لا تنقطع قوته ولا تلحقه في أفعاله مشقة، ولا يمسه لغوب"[٣].

وقال الزجاج:" وقيل: **المتين**: القوي الشديد"[٤].

وقد يقوق قائل ما الفرق بين اسم الله القوي وبين اسمه المتين؟، وللإجابة عن هذا التساؤل، قال الإمام الغزالي:" **القوي**: يدل على القدرة التامة، **والمتين**: يدل على شدة القوة، والله سبحانه وتعالى من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي، ومن حيث إنه شديدة القوة متين، وذلك يرجع إلى معاني القدرة"[٥].

ثالثاً: ورودهما في القرآن والسنة

اسم الله القوي جل جلاله ورد في القرآن الكريم في تسعة مواضع، وهذه المواضع هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٠ – ٢١]،

---

(١) المقصد الأسنى ، للغزالي، صـ ١٧٣، باختصار.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، لبان عثيمين، صـ ١٦٧.

(٣) شأن الدعاء، للخطابي، صـ٧٧.

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، صـ ٣٦.

(٥) المقصد الأسنى ، للغزالي، صـ ١٧٣.

قال سيد قطب في ظلاله عند هاتين الآيتين:" هذا وعد الله الصادق الذي كان والذي لا بد أن يكون، على الرغم مما قد يبدو أحياناً من الظاهر الذي يخالف هذا الوعد الصادق.

فالذي وقع بالفعل أن الإيمان والتوحيد قد غلبا على الكفر والشرك، واستقرت العقيدة في الله في هذه الأرض؛ ودانت لها البشرية بعد كل ما وقف في طريقها من عقبات الشرك والوثنية، وبعد الصراع الطويل مع الكفر والشرك والإلحاد .

وإذا كانت هناك فترات عاد فيها الإلحاد أو الشرك إلى الظهور في بعض بقاع الأرض كما يقع الآن في الدول الملحدة والوثنية فإن العقيدة في الله ظلت هي المسيطرة بصفة عامة، فضلاً على أن فترات الإلحاد والوثنية إلى زوال مؤكد، لأنها غير صالحة للبقاء، والبشرية تهتدي في كل يوم إلى أدلة جديدة تهدي إلى الاعتقاد في الله والتمكين لعقيدة الإيمان والتوحيد.

والمؤمن يتعامل مع وعد الله على أنه الحقيقة الواقعة، فإذا كان الواقع الصغير في جيل محدود أو في رقعة محدودة يخالف تلك الحقيقة، فهذا الواقع هو الباطل الزائل، الذي يوجد فترة في الأرض لحكمة خاصة، لعلها استجاشة الإيمان وإهاجته لتحقيق وعد الله في وقته المرسوم .

وحين ينظر الإنسان اليوم إلى الحرب الهائلة التي شنها أعداء الإيمان على أهل الإيمان في صورها المتنوعة ،من بطش ومن ضغط ومن كيد بكل صنوف الكيد في عهود متطاولة، بلغ في بعضها من عنف الحملة على المؤمنين أن قتلوا وشردوا وعذبوا وقطعت أرزاقهم وسلطت عليهم جميع أنواع النكاية، ثم بقي الإيمان في قلوب المؤمنين، يحميهم من الانهيار، ويحمي شعوبهم كلها من

ضياع شخصيتها وذوبانها في الأمم الهاجمة عليها ، ومن خضوعها للطغيان الغاشم إلا ريثما تنقض عليه وتحطمه.

وحين ينظر الإنسان إلى هذا الواقع في المدى المتطاول يجد مصداق قول الله تعالى، يجده في هذا الواقع ذاته بدون حاجة إلى الانتظار الطويل، وعلى أية حال فلا يخالج المؤمن شك في أن وعد الله هو الحقيقة الكائنة التي لا بد أن تظهر في الوجود، وأن الذين يحادون الله ورسوله هم الأذلون، وأن الله ورسله هم الغالبون، وأن هذا هو الكائن والذي لا بد أن يكون، ولتكن الظواهر غير هذا ما تكون"[١].

ومن الآيات القرآنية التي تشبه الآية السابقة، حيث ختمت باسم الله القوي منكرا وبعده اسم الله العزيز منكرا أيضا قوله تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥]، قال الشيخ السعدي في تفسيره عند هذه الآية:" قوله تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ وهي الأدلة والشواهد والعلامات الدالة على صدق ما جاءوا به وحقيقته.

﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وهو اسم جنس يشمل سائر الكتب التي أنزلها الله لهداية الخلق وإرشادهم، إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ﴿ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ وهو

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٧/ ١٥٤.

العدل في الأقوال والأفعال، والدين الذي جاءت به الرسل، كله عدل وقسط في الأوامر والنواهي وفي معاملات الخلق، وفي الجنايات والقصاص والحدود؛ وذلك ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ قياما بدين الله، وتحصيلا لمصالحهم التي لا يمكن حصرها وعدها، وهذا دليل على أن الرسل متفقون في قاعدة الشرع، وهو القيام بالقسط، وإن اختلفت أنواع العدل، بحسب الأزمنة والأحوال،

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ من آلات الحرب، كالسلاح والدروع وغير ذلك، ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ وهو ما يشاهد من نفعه في أنواع الصناعات والحرف، والأواني وآلات الحرث، حتى إنه قل أن يوجد شيء إلا وهو يحتاج إلى الحديد.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ليقيم تعالى سوق الامتحان بما أنزله من الكتاب والحديد، فيتبين من ينصره وينصر رسله في حال الغيب، التي ينفع فيها الإيمان قبل الشهادة، التي لا فائدة بوجود الإيمان فيها، لأنه حينئذ يكون ضروريا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: لا يعجزه شيء، ولا يفوته هارب، ومن قوته وعزته أن أنزل الحديد الذي منه الآلات القوية، ومن قوته وعزته أنه قادر على الانتصار من أعدائه، ولكنه يبتلي أولياءه بأعدائه؛ ليعلم من ينصره بالغيب، وقرن تعالى في هذا الموضع بين الكتاب والحديد؛ لأنه بهذين الأمرين ينصر الله دينه، ويعلي كلمته بالكتاب الذي فيه الحجة والبرهان والسيف الناصر بإذن

الله، وكلاهما قيامه بالعدل والقسط، الذي يستدل به على حكمة الباري وكماله، وكمال شريعته التي شرعها على ألسنة رسله"[١] .

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله القوي مقرونا باسمه العزيز وفيها وعد من الله بنصر الله تعالى لمن ينصره قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" وقوله: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ ﴾ أي: وليعيننّ الله من يقاتل في سبيله، لتكون كلمته العليا على عدوّه؛ فنصْر الله عبده: معونته إياه، ونصر العبد ربه: جهاده في سبيله، لتكون كلمته العليا.

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله لقويّ على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته، عزيز في مُلكه، يقول: منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب"[٢]

ومن الآيات لتي ورد فيها اسم الله القوي قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ [الشورى: ١٩]، قال الشيخ المراغي في تفسيره لهذه لآية:" أي: إنه برّ تعالى برّ بعباده يرسل إليهم أعظم المنافع، ويدفع عنهم أكبر البلاء، فيرزق البرّ والفاجر، لا ينسى أحدا منهم، ويوسع الرزق حلى من يشاء

(١) تفسير السعدي صـ ٨٤٢.
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦٥١.

منهم، ويقتّره على من يشاء، ليمتحن الغنى بالفقير والفقير بالغنى، وليحتاج بعضهم إلى بعض.

ثم ذكر ما هو كالعلة لذلك فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ أي وهو القادر على ما يشاء، العزيز الذي لا يقدر أحد أن يمنعه عن شيء مما يريده"[1].

ومن الآيات القرآنية التي وصف الله تعالى نسه بأنه قوي قوله تعالى: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٧٤]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" أي: ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره، من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾ [البروج: ١٢ – ١٣] .

وقوله: ﴿ عَزِيزٌ ﴾ أي: قد عز كل شيء فقهره وغلبه، فلا يمانع ولا يغالب، لعظمته وسلطانه، وهو الواحد القهار "[2].

ومن الآيات لتي ورد فيها اسم الله القوي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [هود:٦٦]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" أي: فلما جاء ثمود عذابُنا نجينا صالحًا والذين آمنوا به معه برحمة من الله وفضله، ﴿ وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ﴾،

---

(1) تفسير المراغي ٢٥/ ٣٤.

(2) تفسير ابن كثير ٥/ ٤٥٤.

يقول: ونجيناهم من هوان ذلك اليوم ، وذلّه بذلك العذاب ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ﴾ ، في بطشه إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطَش بها ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ ، فلا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر ، بل يغلب كل شيء ويقهره"[١].

ومن الآيات لتي ورد فيها اسم الله القوي قوله تعالى:﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[الأنفال: ٥٢]، قال الشيخ رشيد رضا في تفسيره عند هذه الآية:" أي: دأب هؤلاء وشأنهم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم من الفراعنة، وسائر الملوك العتاة، وأقوام الرسل في التاريخ، وقد فسره بقوله تعالى:﴿ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ ولم يظلم أحدا منهم مثقال ذرة، ونصر رسله والمؤمنين بهم عليهم، على ما بين الفريقين من تفاوت في العدد والعدد وسائر الأسباب، فكما كان دأبهم واحدا كانت سنة الله فيهم واحدة.

فنصره تعالى لرسوله، والمؤمنين في بدر هو مقتضى تلك السنة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لمن يستحق عقابه، ولكن لكل شيء عنده أجلا.

وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [آل عمران: ١١]،إلا أنه قال فيها: ﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾، والفرق بين الموضعين أن آية

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ٣٧٣.

آل عمران في الكفار المغرورين بكثرة أموالهم وأولادهم، المحتقرين للرسل وأتباعهم من ضعفاء المؤمنين بفقرهم وضعف عصبيتهم النسبية، وأما آية الأنفال فهي في الكفار المغرورين بقوتهم وبأسهم، المحتقرين للمؤمنين بفقد ذلك وهي سابقة في النزول"(١).

ومن الآيات لتي ورد فيها اسم الله القوي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [غافر: ٢٢]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلت بهؤلاء الأمم الذين من قبل مشركي قريش من إهلاكهم بذنوبهم فعلنا بهم بأنهم كانت تأتيهم رسل الله إليهم بالبيّنات الدالات على حقيقة ما تدعوهم إليه من توحيد الله، والانتهاء إلى طاعته فَكَفَرُوا۟ يقول: فانكروا رسالتها، وجحدوا توحيد الله، وأبوا أن يطيعوا الله فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ يقول: فأخذهم الله بعذابه فأهلكهم إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ يقول: إن الله ذو قوّة لا يقهره شيء، ولا يغلبه، ولا يعجزه شيء أراده، شديد عقابه من عاقب من خلقه، وهذا وعيد من الله مشركي قريش، المكذّبين رسوله محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول لهم جلّ ثناؤه: فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم في تكذيب محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وجحود توحيد الله، ومخالفة أمره ونهيه فيسلك بكم في تعجيل الهلاك لكم مسلَكَهم"(٢).

(١) تفسير المنار، لرشيد رضا، ١٠/ ٣٢.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٣٧١.

ومن الآيات لتي ورد فيها اسم الله القوي قوله تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴾[الأحزاب: ٢٥]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" أي: رد الله الأحزاب خائبين، لم يحصل لهم الأمر الذي كانوا حنقين عليه، مغتاظين قادرين عليه جازمين، بأن لهم الدائرة، قد غرتهم جموعهم، وأعجبوا بتحزبهم، وفرحوا بِعَدَدِهِمْ وعُدَدِهِمْ. فأرسل اللّه عليهم، ريحًا عظيمة، وهي ريح الصبا، فزعزعت مراكزهم، وقوَّضت خيامهم، وكفأت قدورهم وأزعجتهم، وضربهم اللّه بالرعب، فانصرفوا بغيظهم، وهذا من نصر اللّه لعباده المؤمنين.

﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ ﴾ بما صنع لهم من الأسباب العادية والقدرية، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴾ لا يغالبه أحد إلا غُلِبَ، ولا يستنصره أحد إلا غَلَبَ، ولا يعجزه أمر أراده، ولا ينفع أهل القوة والعزة، قوتهم وعزتهم، إن لم يعنهم بقوته وعزته"(١).

أما اسم الله المتين فلم يرد في القرآن إلا في موضع واحد، وذلك في وله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، { ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } أي: الذي له القوة والقدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام العظيمة، السفلية والعلوية،

---

(١) تفسير السعدي، صـ ٦٦٠.

وبها تصرف في الظواهر والبواطن، ونفذت مشيئته في جميع البريات، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، ولا يخرج عن سلطانه أحد، ومن قوته، أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم، ومن قدرته وقوته، أنه يبعث الأموات بعد ما مزقهم البلى، وعصفت بترابهم (٢) الرياح، وابتلعتهم الطيور والسباع، وتفرقوا وتمزقوا في مهامه القفار، ولجج البحار، فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين"[١] .

رابعاً: الآثار الإيمانية لهذين الاسمين

لهذين الاسمين آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ أن يثق المؤمنون بنصر الله القوي المتين لهم، متى ما أخذوا بأسباب النصر والتمكين، وأن لا يهابوا قوة أهل الكفر، مهما بلغت قوتهم وعددهم وعتادهم فالله فوقهم وأقوى منهم، وقوتهم لا شيء في جنب قوة الله تعالى، ، ونواصي الخلق بيد الله تعالى وحده، وقد أهلك الله من الأمم المكذبة من كانت قوتها تفوق الخيال، قال الله – عز وجل –: { فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون (١٥) فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون (١٦) } [فصلت: ١٥ – ١٦]، وقال تعالى: { أولم يسيروا في الأرض فينظروا

---

(١) تفسير السعدي، صـ ٨١٣.

كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا } [فاطر:٤٤] .

٢- ومن الآثار الإيمانية باسمي الله القوي والمتين أن يتبرأ العبد من حوله وقوته، وأن يلجأ إلى حول الله وقوته؛ لأن العبد إذا ركن إلى حوله وقوته هلك ولخسر خسراناً مبيناً؛ لأنه لا قدرة له على فعل طاعة ولا صبر على معصية الله إلا بحول الله وقوته، عن مصعب بن سعد – رضي الله عنه – عن أبيه أنه قال: جاء أعرابي إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال علمني كلاما أقوله، قال: " **قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا سبحان الله رب العالمين لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم** قال: فهؤلاء لربي فما لي؟ قال:" **قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني**" "[١] .

وعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" **من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته** " [٢]

٣- ومن الآثار الإيمانية باسمي الله القوي والمتين أن يحرص على أن يكون قويا في إيمانه وفي أعماله وفي سائر أحواله؛ لأن الله يحب من عباده الأقوياء

---

(١) صحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٢٠٧٢/٤ ، برقم(٢٦٩٦) .

(٢) صحيح البخاري في التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى ٣٨٧/١ ، برقم(١١٠٣) .

في كل ذلك، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان**"[1].

وقد أمر الله نبيه يحيى عليه السلام بأن يأخذا الكتاب بقوة فقال له: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾ [مريم: ١٢]، وأمر الله نبيه موسى – عليه السلام – وقومه أن يأخذوا وحيه بعزيمة وقوة، فقال لهم: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ٦٣].

وحري بأهل الإيمان أن يتمسكوا بقوة بدين الله القويم وبحبله المتين، وأن يتركوا طرق أهل البدع والضلال؛ لأنها تؤدي بأصحابها إلى الزيغ والهلاك، فعن العرباض بن سارية – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:"... **وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم، فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**" "[2].

فدين الله قوي ومتين، ومن القوة الإيغال فيه برفق وحكمة، فعن أنس ابن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق** " [3].

---

(1) صحيح مسلم (١٣/ ١٤٢)، برقم(٤٨١٦).

(2) سنن الترمذي في العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة ٥/٤٤، برقم (٢٦٧٦)، السلسلة الصحيحة، للألباني، برقم (٢٧٣٥).

(3) مسند أحمد ١٩٨/٣ ، برقم(١٣٠٧٤)، صحيح الجامع، للألباني، برقم (٢٢٤٦).

٤ـ ومن الآثار الإيمانية باسمي الله القوي والمتين أن يدعو المسلم ربه بمقتضى اسمه القوي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الكهف:٣٩ـ٤٠]، وكذلك قوله عن نبيه هود – عليه السلام -: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود:٥٢]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أو قال لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم**" وأنا خلف دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعني وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لي:" **يا عبد الله بن قيس** قلت لبيك يا رسول الله قال:" **ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة** قلت بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي قال:" **لا حول ولا قوة إلا بالله**"[1] .

وعن أنس ابن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **من أكل طعاما ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن لبس**

([1]) صحيح البخاري، برقم(٣٨٨٣).

ثوبا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" (١) .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول في سجود القرآن بالليل يقول في السجدة مرارا:" **سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته**" (٢).

وعن شداد بن أوس – رضي الله عنه – أنه قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعلمنا أن نقول: **اللهم إني أسألك الثبات في الأمر وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك لسانا صادقا، وقلبا سليما، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم وأستغفرك مما تعلم، إنك أنت علام الغيوب** "(٣).

---

(١) سنن داود في كتاب اللباس ٤/٤٢ ، برقم(٤٠٢٣)، صحيح الجامع، برقم (٦٠٨٦).

(٢) سنن داود في الصلاة، باب ما يقول إذا سجد ٢/٦٠ و برقم(١٤١٤)، مشكاة المصابيح، برقم (١٠٣٥) .

(٣) سنن الترمذي في الدعوات ٥/٤٧٦، برقم (٣٤٠٧)، السلسلة الصحيحة، برقم (٣٢٢٨) .

٥٨- القاهر ٥٩- القهار جل جلاله

القاهر والقهَّار من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عننهما في النقاط التالية:

أولا: معناهما اللغوي

قال أهل اللغة:" القهر في وضع العربية الرياضة والتذليل يقال: قهر فلان الناقة إذا راضها وذللها، والقهر الغلبة والأخذ من فوق، وأقهر الرجل: صار أصحابه مقهورين، وتقول: أخذتهم قهرا، أي: من غير رضاهم، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في شأن يأجوج ومأجوج" **فيقولون قهرنا من في الأرض وعلونا من في السماء قسوة وعلوا**" [١].

والله تعالى قهر المعاندين بما أقام من الآيات والدلالات على وحدانيته وقهر جبابرة خلقه بعز سلطانه وقهر الخلق كلهم بالموت"[٢]

والقهار صيغة مبالغة، من اسم الفاعل القاهر، **والفرق بين القاهر والقهار**: أن القاهر هو الذي له علو القهر الكلي المطلق باعتبار جميع المخلوقات وعلى اختلاف تنوعهم فهو قاهر فوق عباده، له علو القهر مقترنا بعلو الشأن والفوقية أما القهار فهو الذي له علو القهر باعتبار الكثرة والتعيين في الجزء، أو باعتبار نوعية المقهور، ومن ثم فإن القهار هو كثير القهر للظالمين، وقهره عظيم أليم،

---

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة الكهف ، برقم(٣١٥٣)، وانظر السلسلة الصحيحة، برقم(٣١٥٣).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، صـ ١٨، وشرح أسماء الله الحسنى، للرازي صـ ٢٢٩.

يقصم ظهر الجبابرة من أعدائه فيقهرهم بالإماتة والإذلال، ويقهر من نازعه في ألوهيته وعبادته، وربوبيته وحاكميته وأسمائه وصفاته [١] .

ثانيا: معناهما الاصطلاحي

لاسمي الله القاهر والقهار عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومنه هذه التعاريف ما ذكره الحليمي، حيث قال:" **القاهر**": معناه أنه يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق ويثقل، ويغم ويحزن ويكون منه سلب الحياة أو بعض الجوارح فلا يستطيع أحد رد تدبيره والخروج من تقديره، **والقهار**: الذي يقهر ولا يقهر بحال."[٢].

وقال الخطابي: " **القهار**" هو الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت"[٣].

وقال الغزالي:" القهار هو الذي يقصم ظهور الجبابرة من أعدائه فيقهرهم بالإماتة والإذلال، بل الذي لا موجود إلا وهو مسخر تحت قهره ومقدرته عاجز في قبضته"[٤].

وقال ابن القيم في نونيته:

وكذلك القهار من أوصافه..... فالخلق مقهورون بالسلطان

لو لم يكن حيا عزيزا قادرا ..... ما كان من قهر ولا سلطان[١]

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٥/٣٧٦٤، تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، صـ ١٨، وشرح أسماء الله الحسنى، للرازي صـ ٢٢٩

(٢) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ١١٥.

(٣) شأن الدعاء، للخطابي صـ ٥٣.

(٤) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٩٧.

وقال أيضا: "لا يكون القهار إلا واحدا، إذ لو كان معه كفؤله فإن لم يقهره لم يكن قهارا على الإطلاق، وإن قهره لم يكن كفؤا، فكان القهار واحدا" [٢].

وقال الشيخ السعدي: "القهار لجميع العالم العلوي والسفلي، القهار لكل شيء الذي خضعت له المخلوقات وذلت لعزته وقوته وكمال اقتداره"[٣].

ثالثا: ورودهما في القرآن والسنة

ورد اسم الله **القهار** في القرآن الكريم في ستة مواضع، وهذه المواضع هي، قوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩]، قال سيد قطب في ظلاله:" لقد رسم يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة ، كل معالم هذا الدين، وكل مقومات هذه العقيدة، كما هز بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزا شديدا عنيفا، ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ﴾ ، إنه يتخذ منهما صاحبين، ويتحبب إليهما هذه الصفة المؤنسة؛ ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة وجسم العقيدة، وهو لا يدعوهما إليها دعوة مباشرة ، إنما يعرضها قضية موضوعية: ﴿ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾، وهو سؤال يهجم على الفطرة في أعماقها ويهزها هزا شديدا، إن الفطرة تعرف لها إلها واحدا ففيم إذن تعدد الأرباب؟.

إن الذي يستحق أن يكون ربا يعبد ويطاع أمره ويتبع شرعه هو الله الواحد القهار، ومتى توحد الإله وتقرر سلطانه القاهر في الوجود فيجب تبعا لذلك أن

([١]) نونية ابن القيم ٢/٢٣٢.

([٢]) الصواعق المرسلة، لابن القيم ٣/١٠١٨.

([٣]) تفسير السعدي ٥/٦٢٤ - ٦/٤٤٨.

يتوحد الرب وسلطانه القاهر في حياة الناس، وما يجوز لحظة واحدة أن يعرف الناس أن الله واحد ، وأنه هو القاهر، ثم يدينوا لغيره ويخضعوا لأمره ، ويتخذوا بذلك من دون الله ربا.

إن الرب لا بد أن يكون إلها يملك أمر هذا الكون ويسيره، ولا ينبغي أن يكون العاجز عن تسيير أمر هذا الكون كله ربا للناس يقهرهم بحكمه ، وهو لا يقهر هذا الكون كله بأمره، والله الواحد القهار خير أن يدين العباد لربوبيته من أن يدينوا للأرباب المتفرقة الأهواء الجاهلة القاصرة العمياء عن رؤية ما وراء المنظور القريب كالشأن في كل الأرباب إلا الله وما شقيت البشرية قط شقاءها بتعدد الأرباب وتفرقهم، وتوزع العباد بين أهوائهم وتنازعهم.

فهذه الأرباب الأرضية التي تغتصب سلطان الله وربوبيته؛ أو يعطيها الجاهليون هذا السلطان تحت تأثير الوهم والخرافة والأسطورة، أو تحت تأثير القهر أو الخداع أو الدعاية، هذه الأرباب الأرضية لا تملك لحظة أن تتخلص من أهوائها، ومن حرصها على ذواتها وبقائها، ومن الرغبة الملحة في استبقاء سلطانها وتقويته، وفي تدمير كل القوى والطاقات التي تهدد ذلك السلطان من قريب أو من بعيد؛ وفي تسخير تلك القوى والطاقات في تمجيدها والطبل حولها والزمر والنفخ فيها كي لا تذبل ولا تنفثىء نفختها الخادعة.

والله الواحد القهار في غنى عن العالمين؛ فهو سبحانه لا يريد منهم إلا التقوى والصلاح والعمل والعمارة وفق منهجه فيعد لهم هذا كله عبادة، وحتى الشعائر التي يفرضها عليهم إنما يريد بها إصلاح قلوبهم ومشاعرهم، لإصلاح حياتهم وواقعهم، وإلا فما أغناه سبحانه عن عباده أجمعين! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ

﴿ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٦]، ففرق بين الدينونة لله الواحد القهار والدينونة للأرباب المتفرقة بعيد"(١).

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله القهار قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥]، قال الإمام الألوسي في تفسيره لهذه الآية: "﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لمشركي مكة ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ ﴾ أنذرتكم عذاب الله تعالى للمشركين، والكلام رد لقولهم هذا ساحر كذاب فإن الإنذار ينافي السحر والكذب.

والمراد إنما أنا رسول منذر لا ساحر كذاب، وفيه من الحسن ما فيه فإن كل واحد من وصفي الرسالة والإنذار ينافي كل واحد من وصفي السحر والكذب لكن منافاة الرسالة للسحر أظهر وبينهما طباق فكذلك الإنذار للكذب، وضم إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ لإفادة أن له صلى الله عليه وسلم صفة الدعوة إلى توحيده عز وجل أيضا فالأمران مستقلان بالإفادة، و ﴿ مِنْ ﴾ زائدة للتأكيد أي ما إله أصلا إلا الله ﴿ ٱلْوَٰحِدُ ﴾ أي الذي لا يحتمل الكثرة في ذاته بحسب الجزئيات بأن يكون له سبحانه ماهية كلية ولا بحسب الأجزاء ﴿ ٱلْقَهَّارُ ﴾ لكل شيء"(٢).

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله القهار قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّاۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٤/ ٣٠٨.

(٢) تفسير الألوسي ١٧/ ٣٨١.

وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦]، قال الأمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أمر الله سبحانه رسوله أن يسأل الكفار : من رب السموات والأرض؟ ثم لما كانوا يقرون بذلك ويعترفون به كما حكاه الله سبحانه في قوله :﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩]، أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجيب، فقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ فكأنه حكى جوابهم وما يعتقدونه؛ لأنهم ربما تلعثموا في الجواب حذرا مما يلزمهم، ثم أمره بأن يلزمهم الحجة ويبكتهم فقال:﴿ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ والاستفهام للإنكار، أي: إذا كان رب السموات والأرض هو الله كما تقرون بذلك وتعترفون به، فما بالكم اتخذتم لأنفسكم من دونه أولياء عاجزين ﴿ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا ﴾ ينفعونها به ﴿ وَلَا ضَرًّا ۚ ﴾ يضرون به غيرهم أو يدفعونه عن أنفسهم، فكيف ترجون منهم النفع والضر وهم لا يملكونهما لأنفسهم، ثم ضرب الله سبحانه لهم مثلا وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقوله لهم . فقال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ أي: هل يستوي الأعمى في دينه وهو الكافر، والبصير فيه وهو الموحد ، فإن الأول جاهل لما يجب عليه وما يلزمه، والثاني عالم بذلك، ثم قال تعالى:﴿ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ ﴾ المراد بالظلمات: الكفر، وبالنور: الإيمان، والاستفهام للتقريع والتوبيخ ، أي: كيف يكونان مستويين وبينهما من التفاوت ما بين الأعمى والبصير، وما

بين الظلمات والنور؟ ووحد النور وجمع الظلمات ، لأن طريق الحق واحدة لا تختلف، وطرائق الباطل كثيرة غير منحصرة .

﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ﴾ ، أي: بل أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ، والاستفهام لإنكار الوقوع . أي: ليس الأمر على هذا حتى يشتبه الأمر عليهم ، بل إذا فكروا بعقولهم وجدوا الله هو المنفرد بالخلق، وسائر الشركاء لا يخلقون شيئا، ﴿ فَتَشَابَهَ ﴾بهذا السبب ﴿ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ حتى يستحقوا بذلك العبادة منهم، بل إنما جعلوا له شركاء الأصنام ونحوها، وهي بمعزل عن أن تكون كذلك ، ثم أمره الله سبحانه بأن يوضح لهم الحق ويرشدهم إلى الصواب فقال: ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ كائنا ما كان ليس لغيره في ذلك مشاركة بوجه من الوجوه ﴿ وَهُوَ الْوَاحِدُ ﴾ ، أي: المتفرد بالربوبية ﴿ الْقَهَّارُ ﴾ لما عداه، فكل ما عداه مربوب مقهور مغلوب"[1].

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله القهار قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٤]، قال الشيخ المراغي في تفسيره لهذه الآية:" أي لو أراد الله أن يتخذ ولدا، ولا ينبغي له ذلك لما رضى إلا بأكمل الأولاد وهم الأبناء، فكيف نسبتم إليه البنات؟ ثم نزه سبحانه نفسه عن أن يكون له ولد فقال: ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ أي تقدس الله أن يكون له ولد، فإنه هو الواحد الأحد الفرد الصمد، وكل ما سواه

(١) تفسير الشوكاني، ٤/ ٩٨، باختصار.

مفتقر إليه، وهو الغنى عما سواه، قهر الأشياء فدانت له، وتسلط على المخلوقات بقدرته فذلت له، تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا"(١).

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله القهار قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" وهذا التبديل للسماوات والأرض، تبديل صفات، لا تبديل ذات، فإن الأرض يوم القيامة تسوى وتمد كمد الأديم ويلقى ما على ظهرها من جبل ومعلم، فتصير قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، وتكون السماء كالمهل، من شدة أهوال ذلك اليوم ثم يطويها الله تعالى بيمينه (٢).

﴿ وَبَرَزُوا۟ ﴾ أي: الخلائق من قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم في محل لا يخفى منهم على الله شيء، ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ أي: المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله العظيمة، وقهره لكل العوالم فكلها تحت تصرفه وتدبيره، فلا يتحرك منها متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه"(٣).

---

(١) تفسير المراغي ٢٣/ ١٤٣.

(٢) وقد جاء في السنة ما يؤيد ذلك، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع فيقول: أنا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧]، والحديث رواه مسلم في صحيحه، برقم(٤٤٣٧).

(٣) تفسير السعدي، صـ ٤٢٨

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله القهار قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦]، قال الشيخ الزحيلي في تفسيره لهذه الآية:" إن يوم القيامة هو يوم التلاق، الذي يلتقي الأولون والآخرون، وهو اليوم الذي هم فيه ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء، لاستواء الأرض، وهم خارجون من قبورهم في العراء، لا يخفى على الله شيء من أعمال العباد التي عملوها في الدنيا، سرا أو علانية، كما في آية أخرى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨].

وفي هذا اليوم الملك المطلق والسلطان الشامل لله الواحد الأحد، القاهر عباده وكل شيء بقدرته، قهرهم بالموت، ثم بالبعث الشامل. وقد أورد هذا المعنى لتقريره في الأذهان بصورة سؤال يسأل فيه الرب تعالى، يقول: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ ﴾؟ أي يوم القيامة، فلا يجيبه أحد، فيجيب تعالى نفسه، فيقول: ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ "[١].

أما اسم الله "**القاهر**" فقد ذكر في القرآن الكريم في موضعين فقط، وهما قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٨]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" ﴿ ٱلْقَاهِرُ ﴾ المذلل المستعبد خلقه، العالي عليهم. وإنما قال: ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ ﴾ ؛ لأنه وصف نفسه تعالى ذكره بقهره إياهم، ومن صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه .

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي ٢٤/ ٩١، بتصرف يسير.

فمعنى الكلام إذا: والله الغالب عباده، المذللهم، العالي عليهم بتذليله لهم، وخلقه إياهم، فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: في علوه على عباده، وقهره إياهم بقدرته، وفي سائر تدبيره ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾، بمصالح الأشياء ومضارها، الذي لا يخفي عليه عواقب الأمور وبواديها، ولا يقع في تدبيره خلل، ولا يدخل حكمه دخل"[١].

ومن الملاحظ في هذه الآية أن اسم الله ﴿ ٱلْقَاهِرُ ﴾ اقتران باسميه ﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾: ووجه هذا الاقتران والله أعلم أن يقال:" إن اسمه ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ يلقي في القلب معنى القهر والفوقية لله تعالى، وأنهما مختصان بالله عز وجل، فيمتلئ القلب خوفا ووجلا من الله عز وجل حتى إذا أخذ الروع من النفس مأخذه أتته الجملة التالية التي فيها وصف الله تعالى لنفسه أنه﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾، فتلقي في القلب الراحة والاطمئنان؛ لأنهما تدلان على كمال سلطان الله تعالى ونفاذ أمره وجريان ذلك على مقتضى الحكمة والخبرة، والخير والسداد، فتطمئن النفوس من الخوف وتسكن عن القلق والاضطراب[٢].

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله القاهر قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ هو

([١]) تفسير الطبري ١١/ ٢٨٨.

([٢]) مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام في القرآن الكريم، لنجلاء الكردي، صـ ٥٠٧، بتصرف واختصار.

صاحب السلطان، وهم تحت سيطرته وقهره، هم ضعاف في قبضة هذا السلطان؛ لا قوة لهم ولا ناصر هم عباد والقهر فوقهم، وهم خاضعون له مقهورون.

وهذه هي العبودية المطلقة للألوهية القاهرة، وهذه هي الحقيقة التي ينطق بها واقع الناس مهما ترك لهم من الحرية ليتصرفوا، ومن العلم ليعرفوا، ومن القدرة ليقوموا بالخلافة إن كل نفس من أنفاسهم بقدر؛ وكل حركة في كيانهم خاضعة لسلطان الله بما أودعه في كيانهم من ناموس لا يملكون أن يخالفوه . وإن كان هذا الناموس يجري في كل مرة بقدر خاص حتى في النفس والحركة.

﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ لا يذكر النص هنا ما نوعهم، وفي مواضع أخرى أنهم ملائكة يحصون على كل إنسان كل ما يصدر عنه، أما هنا فالمقصود الظاهر هو إلقاء ظل الرقابة المباشرة على كل نفس، ظل الشعور بأن النفس غير منفردة لحظة واحدة، وغير متروكة لذاتها لحظة واحدة .

فهناك حفيظ عليها رقيب يحصي كل حركة وكل نأمة؛ ويحفظ ما يصدر عنها لا يند عنه شيء، وهذا التصور كفيل بأن ينتفض له الكيان البشري؛ وتستيقظ فيه كل خالجة وكل جارحة .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾، الظل نفسه، في صورة أخرى، فكل نفس معدودة الأنفاس، متروكة لأجل لا تعلمه فهو بالنسبة لها غيب لا سبيل إلى كشفه بينما هو مرسوم محدد في علم الله، لا يتقدم ولا يتأخر، وكل نفس موكل بأنفاسها وأجلها حفيظ قريب مباشر حاضر، لا يغفو ولا يغفل ولا يهمل فهو حفيظ من الحفظة وهو رسول من الملائكة، فإذا جاءت اللحظة

المرسومة الموعودة والنفس غافلة مشغولة، أدى الحفيظ مهمته، وقام الرسول برسالته، وهذا التصور كفيل كذلك بأن يرتعش له الكيان البشري؛ وهو يحس بالقدر الغيبي يحيط به؛ ويعرف أنه في كل لحظة قد يقبض ، وفي كل نفس قد يحين الأجل المحتوم "[1].

وقد ورد اسم الله القهار في السنة، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قلت يا رسول الله: إذا بدلت الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار أين الناس يومئذ؟ قال: "**على الصراط**" "[2].

وعنها رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تضور[3] من الليل قال: "**لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار**" [4].

رابعا: الآثار الإيمانية لهذين الاسمين

لهذين الاسمين الكريمين آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من مقتضيات الإيمان بهذين الاسمين الكريمين، شعور العبد بضعفه وذلته أمام قهر الله عز وجل وجبروته، كما أن على العبد أن يستعين بالله القاهر على قهر ألد أعدائه، وهي نفسه التي بين جنبيه، وأن يقهر وسواس الشيطان بالاستعاذة، وأن يقهر الشبهة والجهل باليقين ونور العلم، وقد أشار الإمام

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب٣/ ٧٠.

(٢) صحيح ابن حبان، برقم(٣٣٢).

(٣) أي تلوى وتقلب ظهرا لبطن.

(٤) صحيح الجامع، للألباني، برقم(٤٦٩٣).

الغزالي إلى هذا المعنى بقوله:" من العباد من قهر أعداءه وأعدى عدو الإنسان نفسه التي بين جنبيه فهي أعدى له من الشيطان الذي قد حذر عداوته ومهما قهر شهوات نفسه فقد قهر الشيطان إذ الشيطان يستهويه إلى الهلاك بواسطة شهواته وإحدى حبائك الشيطان النساء ومن فقد شهوة النساء لم يتصور أن ينعقل بهذه الأحبولة فكذلك من قهر هذه الشهوة تحت سطوة الدين وإشارة العقل.

ومهما قهر شهوات النفس فقد قهر الناس كافة فلم يقدر عليه أحد إذ غاية أعدائه السعي في إهلاك بدنه وذلك إحياء لروحه فإن من مات عن شهواته في حياته عاش في مماته، قال تعالى:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران :١٦٩] "[١].

كما أن على العبد أن يلين للفقراء، وأن يحنوا على اليتامى والمساكين، وأن لا يقهرهم إذا قصدوه سائلين وطالبين منه مما أعطاه الله من فضله، قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [الضحى: ٩ – ١٠].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **ثلاث والذي نفس محمد بيده إن كنت لحالفا عليهن، لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا يعفو عبد عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا رفعه الله بها عزا يوم القيامة، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر** "[٢] .

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٩٧.

(٢) مسند أحمد ، برقم(١٦٧٤)، قال شعيب الأرناؤوط : حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لجهالة قاص أهل فلسطين، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، برقم (٨١٤) .

٢ـ ومن مقتضيات الإيمان بهذين الاسمين الكريمين، إيمان العبد بأن الله عز وجل قادر على أن يقهر الظالمين والمتجبرين من أعدائه، والتاريخ خير شاهد على ذلك، فالله عز وجل أهلك قوم عاد وثمود وقهرهم، كما قهر قوم نوح فأغرقهم، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النجم:٥٠:٥٦].

وقهر أيضا فرعون وهامان والنمرود، وقهر قوم لوط، وقهر أبا جهل والمشركين وقهر الفرس والصليبيين واليهود وغيرهم من أعدائه ، والواحد القهار بالمرصاد لكل متكبر جبار، في كل زمان ومكان قال عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر: ٦ – ١٤].

وعندما يبذل المؤمنون جهدهم، ويأخذوا بالأسباب الممكنة، ويعدوا من القوة قدر استطاعتهم، فعند ذلك يتدخل القهار سبحانه في هلاك المجرمين، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المرسلات: ١٦ – ١٨].

كما أن الإيمان باسمي الله القاهر والقهار، يورثا عند المسلم الاستعلاء على الأعداء بعزة الإسلام ثقة منه ويقينا بنصر القاهر لأوليائه من عباده المؤمنين، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا

تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك " [1].

وقد وعد الله عز وجل عباده المؤمنين بالنصر والتمكين، والقهر والغلبة على أعدائهم قال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة:٢١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات:١٧٣،]، وقال عز وجل: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة:٥٦].

٣- ومن مقتضيات الإيمان بهذين الاسمين الكريمين، دعاء الله تعالى باسمية القاهر والقهار، وقد ورد دعاء الله باسمه القهار، قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف:٣٩]، وهو استفهام تقريري يدل على دعاء المسألة والعبادة معا أراد به يوسف عليه السلام دعاء الله وحده لا شريك له وعبادته وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدها قومهما، فهل دعاء الذي ذل كل شيء لعز جلاله وعظمة

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم:" لا تزال طائفة من أمتي" ٣ /١٥٢٤، برقم(١٩٢٤) .

سلطانه خير أم التي يعبدونها ويسمونها آلهة من تلقاء أنفسهم والتي تلقاها خلفهم عن سلفهم؟ [1] .

وعن أم المؤمنين عن عائشة رضي الله عنها في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إذا تضور من الليل قال: " **لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار** " [2] .

كما يمكن دعاء الله تعالى بمعنى اسميه القاهر والقهار، فالقاهر والقهار، هما بمعنى العلي في قهره وقوته؛ فكل شيء تحت قهره وسلطانه، وكل شيء خضع لجلاله وعظمته، وكبريائه وقدرته، فعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال: " **علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في قنوت الوتر: اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت** " [3].

٤ ـ اسمي الله "**القاهر والقهار**" خاصين بالله تعالى فلا يصلح أن يسمى بهما أحد من المخلوق أو يوصف بهما، بل هما صفة ذم للمخلوقين؛ لأنهما في الغالب لا يكونا إلا مصحوبة بالظلم والعدوان، قال سبحانه عن فرعون وملئه: ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٤٨٠، بتصرف .

(٢) صحيح الجامع، للألباني، برقم(٤٦٩٣)، وقد تقدم ذكره قبل قليل.

(٣) صحيح أبي داود ، برقم(١٢٨١)، وهو في مشكاة المصابيح، برقم(١٢٧٣) .

وقد نهى الله سبحانه عن قهر اليتيم ونهره قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى: ٩]، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر والظاهر، كما لا يجوز تسميتهم بالجبار والمتكبر، والأول والآخر، والباطن وعلام الغيوب"(١).

(١) تحفة المودود، لابن القيم صـ ١٠٨.

٦٠ ـ اللطيف ٦١ـ الرفيق جل جلاله

اللطيف جل جلاله من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناهما في اللغة

قال أهل اللغة:" اللطيف في اللغة صفة مشبهة للموصوف باللطف، فعله لطف يلطف لطفا، ولطف الشيء رقته واستحسانه وخفته على النفس أو احتجابه وخفاؤه، واللطيف من الكلام: ما غمض معناه وخفي.

واللطيف: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه والله أعلم: الرفيق بعباده. وقيل: اللطيف: الذي يوصل إليك أربك في رفق، يقال: لطف الله لك. أي: أوصل إليك ما تحب برفق.

ويقال: لطف فلان لفلان يلطف: إذا رفق لطفا، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت حين قال لها أهل الإفك ما قالوا:" ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي – صلى الله عليه وسلم – اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض"[١]، فاللطف في اللغة الرفق الرقة والحنان"[٢].

أما الرفيق في اللغة :" فهو من صيغ المبالغة، فعيل بمعنى فاعل، فعله رفق يرفق رفقا، والرفق هو اللطف وهو ضد العنف، ويعني لين الجانب ولطافة الفعل، رفق بالأمر وله وعليه، يرفق رفقا، ورفق يرفق، وكذلك ترفق به، وهو به

---

(١) صحيح البخاري في الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا ٩٤٣/٢ ، برقم (٢٥١٨)

(٢) اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ١٣٨، تهذيب اللغة، لابن الأعرابي، ٣٤٧/١٣، والنهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٢٥١/٤ .

رفيق يعني لطيف، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **ما كان الرفق في شيء قط إلا زانه ولا عزل عن شيء إلا شانه** " [1].

قال الليث: الرفق لين الجانب ولطافة الفعل وصاحبه رفيق، ويقال للمتطبب: مترفق ورفيق وكره أن يقال طبيب.

والرفيق هو الذي يتولى العمل برفق، أو يترفق بالمريض ويتلطف به، وعن أبى رمثة أن أباه قال للرسول – صلى الله عليه وسلم – : " أرني هذا الذي بظهرك فإني رجل طبيب قال – صلى الله عليه وسلم – : **الله الطبيب، بل أنت رجل رفيق، طبيبها الذي خلقها** " .

والمرفَق من مرافق الدار الأماكن المصاحبة للدار من خدمات مختلفة كمصاب الماء ونحوها.

والمرفِق من الإنسان والدابة أعلى الذراع وأسفل العضد [2].

ثانياً: معناهما في الاصطلاح

اسم الله **اللطيف** وردت له عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومن هذه التعاريف ما ذكره الإمام الغزالي حيث قال:" **اللطيف**: إنما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف، فإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في

---

(1) أحمد في المسند ٢٠٦/٦ ، برقم (٢٥٧٤٨) وهو في صحيح الجامع، للألباني، برقم (٥٦٥٤).

(2) لسان العرب، لابن منظور ١٦٩٤/٣، وتهذيب اللغة، للأزهري، ١٠٩/٩، وكتاب العين، للفراهيدي ١٤٩/٥.

الإدراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا لله سبحانه وتعالى، فأما إحاطته بالدقائق والخفايا فلا يمكن تفصيل ذلك بل الخفي مكشوف في علمه كالجلي من غير فرق، وأما رفقه في الأفعال ولطفه فيها فلا يدخل أيضا تحت الحصر إذ لا يعرف اللطف في الفعل إلا من عرف تفاصيل أفعاله وعرف دقائق الرفق فيها وبقدر اتساع المعرفة فيها تتسع المعرفة لمعنى اسم اللطيف وشرح ذلك يستدعي تطويلا ثم لا يتصور أن يفي بعشر عشيره مجلدات كثيرة وإنما يمكن التنبيه على بعض جمله"(١).

وقال الإمام ابن القيم:

وهو اللطيف بعبده ولعبده.... واللطف في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرة .... واللطف عند مواقع الإحسان

فيريك عزته ويبدي لطفه.... والعبد في الغفلات عن ذا الشان(٢)

وقال أبو سليمان الداراني:" **اللطيف**: هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون ، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون كقوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ [الشورى: ١٩] "(٣)

وقال الشيخ السعدي:" اللطيف: الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة. اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٠١.

(٢) نونية ابن القيم، صـ ٢٠٧، الأبيات رقم ٣٢٨٦ – ٣٢٨٨.

(٣) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ١١٧.

مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها. فهو بمعنى الخبير، وبمعنى الرؤوف.

ومن لطفه بعبده ووليه الذي يريد أن يتم عليه إحسانه، ويشمله بكرمه، ويرقيه إلى المنازل العالية، فييسره لليسرى، ويجنبه العسرى، ويجري عليه من أصناف المحن التي يكرهها وتشق عليه وهي عين صلاحه، والطريق إلى سعادته، كما امتحن الأنبياء بأذى قومهم، وبالجهاد في سبيله وكما ذكر الله عن يوسف – عليه السلام – وكيف ترقت به الأحوال ولطف الله به وله بما قدره عليه من تلك الأحوال التي حصلت له في عاقبتها حسن العقبى في الدنيا والآخرة.

وكما يمتحن أولياءه بما يكرهونه لينيلهم ما يحبون، وكم لله من لطف وكرم لا تدركه الأفهام ولا تتصوره الأوهام، وكم استشرف العبد على مطلوب من مطالب الدنيا من ولاية ورياسة أو سبب من الأسباب المحبوبة فيصرفه الله عنها، ويصرفها عنه رحمة به لئلا تضره في دينه، فيظل العبد حزينا من جهله، وعدم معرفته بربه، ولو علم ما دخر له في الغيب، وأريد إصلاحه، لحمد الله وشكره على ذلك، فإن الله بعباده رؤوف رحيم، لطيف بأوليائه"[1].

أما اسم الله الرفيق فقد قال العلامة ابن القيم في نونيته:

وهو الرفيق يحب أهل الرفق.... بل يعطيهم بالرفق فوق أمان"[2]

---

(1) تفسير السعدي ٥/٤٨٩، الحق الواضح المبين صـ ٦١، للسعدي أيضا.

(2) نونية ابن القيم ٢/٢٢٩ بشرح العيسى.

وقال الشيخ السعدي: "من أسماء الله **الرفيق**، فهو الله تعالى رفيق في أفعاله، خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئا فشيئا بحسب حكمته ورفقه، مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة.

والله رفيق في أفعاله وشرعه، وهذا قد أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:" **إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**:"[1] "[2].

ثالثاً: ورودهما في القرآن والسنة

اسم الله **اللطيف** ورد في القرآن الكريم في سبعة مواضع، وهذه المواضع هي:

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحج: ٦٣]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" نزول الماء من السماء، ورؤية الأرض بعده مخضرة بين عشية وصباح، ظاهرة واقعة مكرورة، قد تذهب الألفة بجدتها في النفوس، فأما حين يتفتح الحس الشاعر، فإن هذا المشهد في الأرض يستجيش في القلب شتى المشاعر والأحاسيس، وإن القلب ليحس أحياناً أن هذا النبت الصغير الطالع من سواد الطين، بخضرته وغضارته، أطفال صغار تبسم في غرارة لهذا الوجود الشائق البهيج، وتكاد من فرحتها بالنور تطير.

والذي يحس على هذا النحو يستطيع أن يدرك ما في التعقيب بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾، من لطف وعمق ومشاكلة للون هذا الإحساس، ولحقيقة ذلك

---

(١) صحيح الجامع، للألباني، برقم (١٧٧١).

(٢) الحق الواضح المبين، للسعدي، صـ ٦٣ .

المشهد وطبيعته، فمن اللطف الإلهي ذلك الدبيب اللطيف، دبيب النبتة الصغيرة من جوف الثرى، وهي نحيلة ضئيلة، ويد القدرة تمدها في الهواء، وتمدها بالشوق إلى الارتفاع على جاذبية الأرض وثقلة الطين، وبالخبرة الإلهية يتم تدبير الأمر في إنزال الماء بقدر في الوقت المناسب وبالقدر المطلوب ويتم امتزاج الماء بالتربة، وبخلايا النبات الحية المتطلعة إلى الانطلاق والنور"(١).

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله **اللطيف** قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾[لقمان: ١٦]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" الضمير في ﴿ إِنَّهَآ ﴾ عائد إلى الخطيئة، أي: إن الخطيئة إن تك مثقال حبة من خردل، وعبر بالخردلة؛ لأنها أصغر الحبوب، ولا يدرك بالحسّ ثقلها ولا ترجح ميزاناً، ثم زاد في بيان خفاء الحبة مع خفتها فقال: ﴿ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ ﴾ فإن كونها في الصخرة قد صارت في أخفى مكان وأحرزه ﴿ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: أو حيث كانت من بقاع السماوات، أو من بقاع الأرض ﴿ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ ﴾ أي يحضرها، ويحاسب فاعلها عليها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ ﴾ لا تخفى عليه خافية ، بل يصل علمه إلى كل خفيّ ﴿ خَبِيرٞ ﴾ بكل شيء لا يغيب عنه شيء"(٢).

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٥/ ٢١٢.

(٢) تفسير الشوكاني ٥/ ٤٨٩.

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله اللطيف قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم، فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم، فإنه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة.

فإنه لو أراد نفي الرؤية، لقال "لا تراه الأبصار" ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم.

﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ ﴾ أي: هو الذي أحاط علمه، بالظواهر والبواطن، وسمعه بجميع الأصوات الظاهرة، والخفية، وبصره بجميع المبصرات، صغارها، وكبارها، ولهذا قال: ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ الذي لطف علمه وخبرته، ودق حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن.

ومن لطفه، أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، ويوصلها إليه بالطرق التي لا يشعر بها العبد، ولا يسعى فيها، ويوصله إلى السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي، من حيث لا يحتسب، حتى أنه يقدر عليه الأمور، التي يكرهها العبد، ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها، لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم بالمؤمنين"(١).

---

(١) تفسير السعدي صـ ٢٦٨.

والمتأمل في هذه الآية يجد أن اسم الله اللطيف اقترن باسمه الخبير، وعن وجه الاقتران بينهما:" أن أفعاله التي لطفت عن أن تدركها العقول والأفهام قد أحاطت بما تعبت في إدراكه العقول والأفهام، وأن لطفه وصنائعه وبره وإحسانه، إنما دقت على العقول والأفهام؛ لأنها جارية على مقتضى خبرته التي هي فوق إدراك العقول والأفهام، فلطفه – عز وجل – وهو رفقه وإحسانه إنما هو لطف الخبير [1].

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله **اللطيف** قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣ – ١٤]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" أي: أسروا أو اجهروا فهو مكشوف لعلم الله سواء . وهو يعلم ما هو أخفى من الجهر والسر . ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ التي لم تفارق الصدور عليم بها، فهو الذي خلقها في الصدور ، كما خلق الصدور ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ألا يعلم وهو الذي خلق؟ ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الذي يصل علمه إلى الدقيق الصغير والخفي المستور .

إن البشر وهم يحاولون التخفي من الله بحركة أو سر أو نية في الضمير، يبدون مضحكين! فالضمير الذي يخفون فيه نيتهم من خلق الله ، وهو يعلم دروبه وخفاياه . والنية التي يخفونها هي كذلك من خلقه وهو يعلمها ويعلم أين تكون . فماذا يخفون؟ وأين يستخفون؟

---

(١) مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام، د. نجلاء كردي صـ ٦١٤ بتصرف يسير.

والقرآن يعنى بتقرير هذه الحقيقة في الضمير؛ لأن استقرارها فيه ينشئ له إدراكاً صحيحاً للأمور، فوق ما يودعه هناك من يقظة وحساسية وتقوى، تناط بها الأمانة التي يحملها المؤمن في هذه الأرض، أمانة العقيدة وأمانة العدالة، وأمانة التجرد لله في العمل والنية.

وهو لا يتحقق إلا حين يستيقن القلب أنه هو وما يكمن فيه من سر ونية هو من خلق الله الذي يعلمه الله . وهو اللطيف الخبير، عندئذ يتقي المؤمن النية المكنونة، والهاجس الدفين ، كما يتقي الحركة المنظورة ، والصوت الجهير . وهو يتعامل مع الله الذي يعلم السر والجهر، الله الذي خلق الصدور فهو يعلم ما في الصدور "[1].

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله **اللطيف** قوله تعالى:﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" قال يوسف: إن ربي ذو لطف وصنع لما يشاء، ومن لطفه وصنعه أنه أخرجني من السجن، وجاء بأهلي من البَدْوِ بعد الذي كان بيني وبينهم من بُعد الدار، وبعد ما كنت فيه من العُبُودة والرِّق والإسار، وقوله:: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ ، بمصالح خلقه وغير ذلك، لا يخفى عليه مبادي الأمور وعواقبها ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾، في تدبيره"[2].

---

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٧/ ٢٦٨.

(2) تفسير الطبري ١٦/ ٢٧٧.

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله **اللطيف** قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[الأحزاب: ٣٤]، قال الشيخ المراغي في تفسيره لهذه الآية:" أي: واذكرن نعمة الله عليكن، بأن جعلكن فى بيوت تتلى فيها آيات الله وما ينزل على الرسول من أحكام الدين ولم ينزل به قرآن، فاحمدن الله على ذلك واشكرنه على جزيل فضله عليكن.

ولا يخفى ما فى هذا من الحث على الانتهاء والائتمار فيما كلّفنه، كما لا يخفى ما فى تسمية ما نزل عليه من الشرائع بالحكمة، إذ فيه الحكمة فى صلاح المجتمع فى معاشه ومعاده، فمن استمسك به رشد، ومن تركه ضلّ عن طريق الهدى، وسلك سبيل الردى.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ أي إن الله كان ذا لطف بكنّ إذ جعلكن فى البيوت التي تتلى فيها آياته وشرائعه، خبيرا بكنّ إذ اختار كن لرسوله أزواجا"[1].

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله **اللطيف** قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [الشورى: ١٩]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى مخبرا عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم، لا ينسى أحدا منهم، سواء في رزقه البرّ والفاجر.

وقوله: ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ٱلْعَزِيزُ ۖ ﴾ أي: يوسع على من يشاء، ﴿ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ أي: لا يعجزه شيء:[1].

---

(1) تفسير المراغي (٢٢/ ٧)

وقد ورد اسم الله اللطيف في السنة النبوية، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لها: " **لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير** " (٢).

أما اسم الله **الرفيق** فلم يرد في القرآن الكريم وإنما ورد في السنة النبوية، فعن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت: "استأذن رهط من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال: "**يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**"، قلت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: "**قلت وعليكم**" "(٣) .

وعنها رضي الله عنها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لها: " **يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي علي الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي علي ما سواه** " (٤).

.رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله اللطيف

لاسمي الله **اللطيف والرفيق** آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله اللطيف، أن يحبه العبد ربه اللطيف؛ لكثر الطاف الله على عباده منذ أن خلقهم في الأرحام إلى أن أدخلهم الدنيا وهيألهم

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/ ١٩٧.

(٢) صحيح مسلم في كتاب الجنائز، باب ما يقال ثم دخول القبور والدعاء لأهلها ٢/٦٧٠ ، برقم (٩٧٤) .

(٣) صحيح البخاري، برقم (٦٠٢٤).

(٤) صحيح مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق ٤/٢٠٠٣ ، برقم(٢٥٩٣) .

أسباب حياتهم ومعاشهم، قال الإمام الغزالي:" فمن لطفه خلقه الجنين في بطن أمه في ظلمات ثلاث وحفظه فيها وتغذيته بواسطة السرة إلى أن ينفصل فيستقل بالتناول بالفم ثم إلهامه إياه عند الانفصال التقام الثدي وامتصاصه ولو في ظلام الليل من غير تعليم ومشاهدة.

بل يتفقأ البيضة عن الفرخ وقد ألهمه التقاط الحب في الحال ثم تأخير خلق السن عن أول الخلقة إلى وقت الحاجة للاستغناء في الاغتذاء باللبن عن السن ثم إنباته السن بعد ذلك عند الحاجة إلى طحن الطعام ثم تقسيم الأسنان إلى عريضة للطحن وإلى أنياب للكسر وإلى ثنايا حادة الأطراف للقطع ثم استعمال اللسان الذي الغرض الأظهر منه النطق في رد الطعام إلى المطحن كالمجرفة ولو ذكر لطفه في تيسير لقمة يتناولها العبد من غير كلفة يتجشمها وقد تعاون على إصلاحها خلق لا يحصى عددهم من مصلح الأرض وزارعها وساقيها.

ومن لطفه بعباده أنه أعطاهم فوق الكفاية وكلفهم دون الطاقة ومن لطفه أنه يسر لهم الوصول إلى سعادة الأبد بسعي خفيف في مدة قصيرة وهي العمر فإنه لا نسبة لها بالإضافة إلى الأبد.

ومن لطفه إخراج اللبن الصافي من بين الفرث والدم وإخراج الجواهر النفيسة من الأحجار الصلبة وإخراج العسل من النحل والإبريسم من الدود والدر من الصدف وأعجب من ذلك خلقه من النطفة القذرة مستودعا لمعرفته وحاملا لأمانته ومشاهدا لملكوت سمواته وهذا أيضا لا يمكن إحصاؤه"[١].

---

(١) المقصد الأسنى ، صـ ١٠١، باختصار.

وهذه المحبة ينبغي أن تثمر عند المؤمن التقرب إلي الله سبحانه بأنواع العبوديات والطاعات، والبعد عن كل المعاصي والسيئات، فيعظم حرمات الله سبحانه وتعالى فلا يغشاها، ويعظم حدوده فلا يقربها، وهذه المحبة ينبغي أن تثمر عند المؤمن دعوته للخلق إلى الله تعالى وتعريفهم بربهم اللطيف بهم.

٢- ومن الآثار الإيمانية لاسمي الله **اللطيف والرفيق** أن يتخلق المؤمن بخلق اللطف والرفق، فيكون المؤمن لطيفاً في تعامله مع خلق الله، وأن يحسن إليهم بدعوتهم إلى الله تعالى ويوصل إليهم الحق بكل لطف ورفق، قال الإمام الغزالي:" حظ العبد من هذا الوصف الرفق بعباد الله عز و جل والتلطف بهم في الدعوة إلى الله تعالى والهداية إلى سعادة الآخرة من غير إزراء وعنف ومن غير تعصب وخصام وأحسن وجوه اللطف فيه الجذب إلى قبول الحق بالشمائل والسيرة المرضية والأعمال الصالحة فإنها أوقع وألطف من الألفاظ المزينة"[١].

وقد جاءت نصوص نبوية كثيرة تحث على اللطف والرفق وتثني على أهلهما، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**"[٢].

وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" **من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير** " [٣] .

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي ، صـ ١٠١.

(٢) صحيح مسلم، في البر، برقم (٢٥٩٤).

(٣) سنن الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في الرفق ٤/٣٦٧ (٢٠١٣)، وهو في صحيح الجامع (٦٠٥٥) .

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار على كل قريب هين لين سهل**" [١].

وعن جرير ابن عبد الله – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **إن الله – عز وجل – ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق، وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق ما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا** " [٢].

وعن عبد الله – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس** " [٣].

وعن عبد الله بن الحارث – رضي الله عنه – قال: " ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله – صلى الله عليه وسلم " [٤]

وقد أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على أشج عبد القيس بقوله:" **إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**"[٥].

وأولى الناس باللطف والرفق، الأهل والأرحام، قال صلى الله عليه وسلم :" **إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق**"[٦].

---

(١) سنن الترمذي في صفة القيامة ٤/٦٥٤ ، برقم(٢٤٨٨)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، برقم (٢٦٧٦) .

(٢) الطبراني ٢/٣٠٦ (٢٢٧٤)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، برقم (٢٦٦٦) .

(٣) مسند أحمد ١/٤١٥ ، برقم(٣٩٣٨)، وهو في صحيح الجامع، للألباني، برقم (٣١٣٥) .

(٤) سنن الترمذي في المناقب، باب في بشاشة النبي صلى الله عليه وسلم، ٥/٦٠١)، برقم(٣٦٤١)

(٥) صحيح مسلم، في الإيمان، برقم (١٨).

(٦) مسند أحمد ٦/٧١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٣٠٣).

واللطف والرفق الممدوحان وسط بين العجلة والطيش، وبين الكسل وتفويت الفرص، وفي ذلك قال العلامة ابن القيم:" والفرق بين المبادرة والعجلة: أن المبادرة انتهاز الفرص في وقتها ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها، فهو لا يطلب الأمور في إدبارها ولا قبل وقتها، بل إذا حضر وقتها بادر إليها، ووثب عليها وثوب الأسد على فريسته، فهو بمنزلة من يبادر إلى أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وإدراكها.

والعجلة طلب أخذ الشيء قبل وقته؛ فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل أوان إدراكها، فالمبادرة وسط بين خلقين مذمومين أحدهما: التفريط والإضاعة، والثاني: الاستعجال قبل الوقت. ولهذا كانت العجلة من الشيطان؛ فإنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعا من الشرور وتمنعه من الخير، وهي قرين الندامة؛ فقل من استعجل إلا ندم، كما أن الكسل قرين الفوت والإضاعة"[1] .

كما أن المحمود من العبد أن يكون وسطا بين العنف والرفق، قال الإمام الغزالي:" لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر؛ فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف، وإن كان العنف في محله حسنا كما أن الرفق في محله حسن، وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواضع العنف فيعطي كل أمر حقه، فإن كان قاصر

([1]) كتاب الروح، لابن القيم، صـ ٥٤٦.

البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعه من الوقائع؛ فليكن ميله إلى الرفق فإن النجاح معه في الأكثر[1].

٣- ومن الآثار الإيمانية لاسمي الله **اللطيف والرفيق** أن يتعرف المؤمن على أنواع الطاف الله تعالى ورفقه به، فإن ذلك أجدى في أن يعظم المؤمن ربه اللطف والرفيق جل جلاله، وقد ذكر الشيخ السعدي جملة من الطاف الله تعالى بعباده، حيث قال:" ومن لطف الله تعالى بعباده المؤمنين، أنه يتولاهم بلطفه، فيخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن ظلمات الجهل، والكفر، والبدع، والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعة.

ومن لطفه: أنه يرحمهم من طاعة أنفسهم الأمارة بالسوء التي هذا طبعها وديدنها، فيوفقهم لنهي النفس عن الهوى ويصرف عنهم السوء والفحشاء فتوجد أسباب الفتنة، وجوانب المعاصي وشهوات الغي، فيرسل الله عليها برهان لطفه ونور إيمانهم الذي من به عليهم فيدعونها مطمئنين لذلك منشرحة لتركها صدورهم.

ومن لطفه بعباده: أنه يقدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم لا بحسب مراداتهم، فقد يريدون شيئا وغيره أصلح فيقدر لهم الأصلح وإن كرهوه لطفا بهم وبرا وإحسانا: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ [الشورى: ١٩].

ومن لطفه بهم: أنه يقدر عليهم أنواع المصائب، وضروب المحن، والابتلاء بالأمر والنهي الشاق رحمة بهم، ولطفا، وسوقا إلى كمالهم، وكمال نعيمهم: ﴿

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣/١٨٦بتصرف

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن لطيف لطفه بعبده إذ أهله للمراتب العالية، والمنازل السامية التي لا تدرك بالأسباب العظام التي لا يدركها إلا أرباب الهمم العالية، والعزائم السامية: أن يقدر له في ابتداء أمره بعض الأسباب المحتملة المناسبة للأسباب التي أهل لها ليتدرج من الأدنى إلى الأعلى، ولتتمرن نفسه ويصير له ملكة من جنس ذلك الأمر، وهذا كما قدر لموسى، ومحمد وغيرهما من الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – في ابتداء أمرهم رعاية الغنم، ليتدرجوا من رعاية الحيوان البهيم وإصلاحه، إلى رعاية بني آدم ودعوتهم وإصلاحهم.

ومن لطفه بعبده: أن يقدر له أن يتربى في ولاية أهل الصلاح، والعلم، والإيمان، وبين أهل الخير ليكتسب من أدبهم، وتأديبهم ولينشأ على صلاحهم وإصلاحهم كما امتن الله على مريم في قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧] إلى آخر قصتها، ومن ذلك إذا نشأ بين أبوين صالحين وأقارب أتقياء، أو في بلد صلاح، أو وفقه الله لمقارنة أهل الخير وصحبتهم، أو لتربية العلماء الربانيين، فإن هذا من أعظم لطفه بعبده، فإن صلاح العبد موقوف على أسباب كثيرة منها، بل من أكثرها وأعظمها نفعا هذه الحالة .

ومن لطف الله بعبده: أن يجعل رزقه حلالا في راحة وقناعة يحصل به المقصود، ولا يشغله عما خلق له من العبادة والعلم والعمل، بل يعينه على ذلك

ويفرغه ويريح خاطره وأعضاءه، ولهذا من لطف الله تعالى لعبده أنه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية التي يظن فيها إدراك بغيته، فيعلم الله تعالى أنها تضره وتصده عما ينفعه فيحول بينه وبينها فيظل العبد كارها، ولم يدر أن ربه قد لطف به حيث أبقى له الأمر النافع، وصرف عنه الأمر الضار، ولهذا كان الرضى بالقضاء في مثل هذه الأشياء من أعلى المنازل.

ومن لطف الله بعبده: إذا قدر له طاعة جليلة لا تنال إلا بأعوان أن يقدر له أعوانا عليها ومساعدين على حملها؛ قال موسى عليه السلام: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [طه: ٢٩ - ٣٦].

وكذلك امتن على سيد الخلق في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٢]، وهذا لطف لعبده خارج عن قدرته.

ومن هذا لطف الله بالهادين إذا قيض الله من يهتدي بهداهم ويقبل إرشادهم فتتضاعف بذلك الخيرات والأجور التي لا يدركها العبد بمجرد فعله، بل هي مشروطة بأمر خارجي.

ومن لطف الله بعبده: أن يبتليه ببعض المصائب فيوفقه للقيام بوظيفة الصبر فيها فينيله درجات عالية لا يدركها بعمله، وقد يشدد عليه الابتلاء بذلك كما فعل بأيوب - عليه السلام - ويوجد في قلبه حلاوة روح الرجاء وتأميل الرحمة، وكشف الضر فيخف ألمه وتنشط نفسه، ولهذا من لطف الله بالمؤمنين أن جعل

في قلوبهم احتساب الأجر فخفت مصائبهم، وهان ما يلقون من المشاق في حصول مرضاته.

ومن لطف الله بعبده: أن يعطي عبده من الأولاد، والأموال، والأزواج ما به تقر عينه في الدنيا، ويحصل له السرور، ثم يبتليه ببعض ذلك ويأخذه، ويعوضه عليه الأجر العظيم إذا صبر واحتسب، فنعمة الله عليه بأخذه على هذا الوجه أعظم من نعمته عليه في وجوده وقضاء مجرد وطره الدنيوي منه، وهذا أيضا خير وأجر خارج عن أحوال العبد بنفسه، بل هو لطف من الله له أن قيض له أسبابا أعاضه عليها الثواب الجزيل، والأجر الجميل.

ومن لطف الله بعبده المؤمن الضعيف: أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تضعف إيمانه وتنقص إيقانه، كما أن من لطفه بالمؤمن القوي: تهيئة أسباب الابتلاء والامتحان، ويعينه عليها ويحملها عنه، ويزداد بذلك إيمانه ويعظم أجره فسبحان اللطيف في ابتلائه، وعافيته، وعطائه، ومنعه.

ومن لطف الله تعالى بعبده: أن يجعل ما يبتليه به من المعاصي سببا لرحمته، فيفتح له عند وقوع ذلك باب التوبة والتضرع، والابتهال إلى ربه وازدراء نفسه واحتقارها، وزوال العجب والكبر من قلبه ما هو خير له من كثير من الطاعات.

ومن لطفه بعبده الحبيب عنده: إذا مالت نفسه مع شهوات النفس الضارة، واسترسلت في ذلك أن ينغصها عليه ويكدرها، فلا يكاد يتناول منها شيئا إلا مقرونا بالمكدرات، محشوا بالغصص لئلا يميل معها كل الميل، كما أن من لطفه به أن يلذذ له التقربات، ويحلي له الطاعات ليميل إليها كل الميل.

ومن لطيف لطف الله بعبده: أن يأجره على أعمال لم يعملها، بل عزم عليها فيعزم على قربة من القرب ثم تنحل عزيمته لسبب من الأسباب فلا يفعلها فيحصل له أجرها. فانظر كيف لطف الله به فأوقعها في قلبه وأدارها في ضميره وقد علم تعالى أنه لا يفعلها سوقا لبره لعبده وإحسانه بكل طريق.

وألطف من ذلك أن يقيض لعبده طاعة أخرى غير التي عزم عليها هي أنفع له منها، فيدع العبد الطاعة التي ترضي ربه لطاعة أخرى هي أرضى لله منها فتحصل له المفعولة بالفعل، والمعزوم عليها بالنية وإذا كان من يهاجر إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل حصول مقصوده قد وقع أجره على الله مع أن قطع الموت بغير اختياره، فكيف بمن قطعت عليه نيته الفاضلة طاعة قد عزم على فعلها وربما أدار الله في ضمير عبده عدة طاعات كل طاعة لو انفردت لفعلها العبد لكمال رغبته، ولا يمكن فعل شيء منها إلا بتفويت الأخرى، فيوفقه للموازنة بينها وإيثار أفضلها فعلا مع رجاء حصولها جميعها عزما ونية.

وألطف من هذا أن يقدر تعالى لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية ويوفر له دواعيها وهو تعالى علم أنه لا يفعلها، ليكون تركه لتلك المعصية التي توفرت أسباب فعلها من أكبر الطاعات.

كما لطف بيوسف – عليه السلام – في مراودة المرأة، وكما لطف بأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: **"إني أخاف الله رب العالمين"**[1] .

---

(1) صحيح البخاري، برقم(٦٢٠).

ومن لطف الله بعبده أن يجري بشيء من ماله شيئا من النفع وخيرا لغيره فيثيبه من حيث لا يحتسب، فمن غرس غرسا أو زرع زرعا فأصابت منه روح من الأرواح المحترمة شيئا آجر الله صاحبه وهو لا يدري خصوصا إذا كانت عنده نية حسنة وعقد مع ربه عقدا في أنه مهما ترتب على ما له شيء من النفع فأسألك يارب أن تأجرني، وتجعله قربة لي عندك، وكذلك لو كان له بهائم انتفع بدرها، وركوبها، والحمل عليها، أو مساكن انتفع بسكناها ولو شيئا قليلا، أو ماعون ونحوه انتفع به، أو عين شرب منها، وغير ذلك ككتاب انتفع به في تعلم شيء منه، أو مصحف قرئ فيه، والله ذو الفضل العظيم.

ومن لطف الله بعبده: أن يفتح له بابا من أبواب الخير لم يكن له على بال، وليس ذلك لقلة رغبته فيه، وإنما هو غفلة منه وذهول عن ذلك الطريق فلم يشعر إلا وقد وجد في قلبه الداعي إليه والملفت إليه، ففرح بذلك وعرف أنها من ألطاف سيده، وطرقه التي قيض وصولها إليه فصرف لها ضميره ووجه إليها فكره وأدرك منها ما شاء الله"[١] .

٤ـ ومن الآثار الإيمانية للإيمان باسمي الله **اللطيف** و**الرفيق** أن يدعو المؤمن ربهم بهذين الاسمين أو بما يقتضيه هذين الاسمين، وقد ورد في ذلك بعض الأدعية، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعا: "**اللهم الطف بي في تيسير كل عسير؛ فإن تيسير كل عسير عليك يسير، وأسألك اليسر والمعافاة في الدنيا والآخرة**"[٢].

---

(١) المذاهب الربانية من الآيات القرآنية، للشيخ السعدي، صـ ٧١ ، باختصار وتصرف يسير.

(٢) المعجم الأوسط، للطبراني ٢/٦١ ، برقم(١٢٥٠)، وهو في ضعيف الجامع، للألباني، برقم(١١٨١).

ويمكن الدعاء بمقتضى اسم الله اللطيف، ومما ورد في قوله تعالى عن يوسف – عليه السلام –: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف:١٠٠] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يكثر أن يدعو بهذا الدعاء:" **اللهم اجعلني أخشاك حتى كأني أراك أبدا حتى ألقاك، وأسعدني بتقواك ،ولا تشقني بمعصيتك، وخر لي في قضائك ، وبارك لي في قدرك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت، واجعل غنائي في نفسي، وأمتعني بسمعي وبصري ، واجعلهما الوارث مني، وانصرني على من ظلمني، وأرني فيه ثأري، وأقر بذلك عيني**"[1] .

ومن الأدعية المشتهرة بين على ألسن الناس قولهم:" اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه.

ومن الدعاء باسم الله **الرفيق** ما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:" سمعت من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، يقول في بيتي هذا:" **اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به**"[2].

([1]) المعجم الأوسط، للطبراني ١٣/ ٢٢٢، برقم (٦١٤٤)، وهو في ضعيف الجامع، للألباني، برقم(١١٦٥).

([2]) صحيح مسلم، في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ٣/١٤٥٨و برقم(١٨٢٨).

وكذلك دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – : " **اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى**" [١].

من ذلك دعاء أهل الكهف حين دعوا ربهم قائلين:﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ١٠]، ثم بعد ذلك آووا إلى الكهف رجاء أن يرحمهم الله وأن يرفق بهم، قال تعالى:﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٦].

قال الإمام ابن القيم في سرده لبعض الحكم في تخلية العبد بينه وبين الذنب "الحادي عشر: أن يعامل عباده في إساءتهم إليه وزلاتهم معه بما يحب أن يعامله الله به"[٢].

---

(١) صحيح البخاري كتاب المرضى، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ٤/ ١٦١٤ ، برقم(٤١٧٦) .

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم، صـ ١٦١ .

٦٢ـ الرزاق ٦٣. الرازق جل جلاله

" **الرزاق** والرازق من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عننه في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة:" الرزاق في اللغة من صيغ المبالغة على وزن فعال من اسم الفاعل الرازق، فعله رزق يرزق رزقا، والمصدر الرزق، وهو ما ينتفع به والجمع أرزاق والرزق يقال: للعطاء الجاري تارة، دنيويا كان أم أخرويا، وللنصيب تارة، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة، يقال: أعطى السلطان رزق الجند، ورزقت علما، ويقال: رزق الجند رزقة واحدة ورزقوا رزقتين أي: مرتين، وارتزق القوم، إذا أخذوا أرزاقهم، والرازق يقال لخالق الرزق ومعطيه والمسبب له وهو الله تعالى، ويقال للإنسان الذي يصير سببا في وصول الرزق، والرزاق لا يقال إلا لله تعالى"[1].

ثانيا: معناه اللغوي

وردت تعريفات متقاربه لاسم الله الرزاق، قال الإمام الغزالي:" الرزاق هو الذي خلق الأرزاق والمرتزقة وأوصلها إليهم وخلق لهم أسباب التمتع بها، والرزق رزقان: ظاهر وهي الأقوات والأطعمة وذلك للظواهر وهي الأبدان وباطن وهي المعارف والمكاشفات وذلك للقلوب والأسرار وهذا أشرف الرزقين فإن ثمرته حياة الأبد وثمرة **الرزق الظاهر** قوة الجسد إلى مدة قريبة الأمد والله عز وجل هو

---

(1) لسان العرب، لابن منظور ١١٥/١٠، تهذيب اللغة، للأزهري ٤٣٠/٨، ، المفردات، للراغب الأصفهاني صـ ١٩٤ .

المتولي لخلق الرزقين والمتفضل بالإيصال إلى كلا الفريقين ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر"(١).

وقال الخطابي رحمه الله تعالى:" الرزاق: هو المتكفل بالرزق القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته فلم يختص بذلك مؤمنا دون كافر ولا وليا دون عدو، يسوقه إلى الضعيف الذي لا حيلة له ولا متكسب فيه، كما يسوقه إلى الجلد القوي ذي المرة السوي، قال سبحانه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [هود: ٦] "(٢).

وقال الإمام ابن القيم في نونيته:

وكذلك الرزاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان

رزق على يد عبده ورسوله نوعان أيضا ذان معروفان

رزق القلوب العلم والإيمان والـ رزق المعد لهذه الأبدان

هذا هو الرزق الحلال وربنا رزاقه والفضل للمنان

والثاني سوق القوت للأعضاء في تلك المجاري سوقه بوزان

هذا يكون من الحلال كما يكون من الحرام كلاهما رزقان

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١٠٤.

(٢) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٥٤.

والله رازقه بهذا الاعتبار وليس بالإطلاق دون بيان"[1]، قال شارح النونية:" ذكر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أن الرزق نوعان رزق القلوب العلم والايمان على يد عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم **والنوع الثاني**: الرزق المعد للأبدان والله تعالى هو رازقه لكنه يساق الى الاعضاء ويكون من الحلال والحرام والله رازقه بهذا الاعتبار.

وهذه المسألة قد اختلف فيها فقيل إن الحرام رزق وكل يستوفي رزقه حلالا كان أو حراما لحصول التغذي بها جميعا غير ان العبد يستحق الذم والعقاب على أكل الحرام خلافا للمعتزلة فانهم قالوا الحرام ليس برزق وفسروه تارة بمملوك يأكله المالك وتارة بما لا يمنع عن الانتفاع به وذلك لا يكون الا حلالا فيلزمهم على التفسير الأول أن ما يأكله الدواب ليس برزق مع ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾، فيكون مصادما للقرآن؛ لأنه يقتضي أن تكون كل دابة مرزوقة ولا ينفعهم زعمهم ان تسمية ما يأكله الدواب رزقا مبني على تشبيهه بما هو مملوك الانسان فيأكله فيكون لفظ الرزق مجازا عما تأكله الدواب فلا يلزم أن تكون كل دابة مرزوقة حقيقة؛ لأنا نقول هذا التأويل مخالف لظاهر القرآن وهو خلاف المتعارف في اللغة فلا يصح ارتكابه من غير ضرورة.

ثم إن تفسيرهم الرزق بذلك ليس بمطرد ولا منعكس لدخول ملك الله تعالى وخروج رزق الدواب والعبيد والإماء يلزمهم أيضا على الوجهين أن من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلا وهو خلاف الاجماع الحاصل من

([1]) نونية ابن القيم، ٢/٢٣٤.

الامة قبل ظهور المعتزلة ان لا رازق الا الله وإن استحق العبد اللوم والذم على اكل الحرام والإضافة إلى الله تعالى معتبرة في مفهوم الرزق وكل أحد مستوف رزق نفسه حلالا كان او حراما ولا يتصور ان يأكل الانسان رزقه أو يأكل غير رزقه لأن ما قدر الله تعالى غذاء لشخص يجب أن يأكله ويمتنع أن يأكله غيره والله أعلم"[١]

وقال ابن الأثير: "**الرزاق**": وهو الذي أعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم"[٢]

قال الأبشيهي في مستطرفه:" ومن العجيب في قسمة الأرزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها والأفعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذي أتقن ما صنع"[٣].

ثالثا: ورودهما الاسمين في القرآن والسنة

اسم الله "**الرازق**" ورد في القرآن الكريم خمس مرات؛ بصيغة التفضيل، وهذه المواطن هي: قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المائدة: ١١٤]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" لما سمع عيسى عليه الصلاة والسلام طلب بني إسرائيل أن يسأل ربه أن بنزل عليهم آية ، وعلم مقصودهم، أجابهم

([١]) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم، لأحمد بن عيسى ٢/ ٢٣٤.
([٢]) النهاية في غيب الحديث، لابن الأثير، ٢/٢١٩.
([٣]) المستطرف في كل فن مستظرف، للأشبيهي ١/ ٣٤٢.

إلى طلبهم في ذلك، فقال: { ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [المائدة: ١١٤] أي: يكون وقت نزولها عيدا وموسما، يتذكر به هذه الآية العظيمة، فتحفظ ولا تنسى على مرور الأوقات وتكرر السنين.

كما جعل الله تعالى أعياد المسلمين ومناسكهم مذكرا لآياته، ومنبها على سنن المرسلين وطرقهم القويمة، وفضله وإحسانه عليهم. ﴿ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ } أي: اجعلها لنا رزقا، فسأل عيسى عليه السلام نزولها وأن تكون لهاتين المصلحتين، مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الدنيا، وهي أن تكون رزقا"[1].

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله **الرازق**، قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝٥٨ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝٥٩ ﴾ [الحج: ٥٨ – ٥٩]، قال سيد قطب عند هذه الآية:" الهجرة في سبيل الله تجرد من كل ما تهفو له النفس، ومن كل ما تعتز به وتحرص عليه: الأهل والديار والوطن والذكريات، والمال وسائر أعراض الحياة وإيثار العقيدة على هذا كله ابتغاء رضوان الله، وتطلعا إلى ما عنده وهو خير مما في الأرض جميعا؛ لهذا قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ

---

(1) تفسير السعدي، صـ ٢٤٩، بتصرف يسير.

ﱡﭐ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ ﱠ ، سواء لاقوا الله شهداء بالقتل ، أو لاقوه على فراشهم بالموت، فلقد خرجوا من ديارهم وأموالهم في سبيله مستعدين لكل مصير، واستروحوا الشهادة في هجرتهم عن أي طريق ، وضحوا بكل عرض الحياة وتجردوا بهذا الله . فتكفل الله لهم بالعوض الكريم عما فقدوه : ﱡﭐ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﱠ، وهو رزق أكرم وأجزل من كل ما تركوا: ﱡﭐ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ ﱠ فقد خرجوا مخرجا يرضي الله، فتعهد لهم الله بأن يدخلهم مدخلا يرضونه، وإنه لمظهر لتكريم الله لهم بأن يتوخى ما يرضونه فيحققه لهم، وهم عباده، وهو خالقهم سبحانه ﱡﭐ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﱠ، عليم بما وقع عليهم من ظلم واذى ، وبما يرضي نفوسهم ويعوضها . حليم يمهل . ثم يوفي الظالم والمظلوم الجزاء الأوفى"(١).

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله **الرازق**، قوله تعالى: ﱡﭐ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﱠ [المؤمنون: ٧٢]، قال الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" بين سبحانه أن دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم ليست مشبوهة بأطماع الدنيا فقال: ﱡﭐ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا ﱠو" أم " هي المنقطعة، والمعنى: أم يزعمون أنك تسألهم خرجا تأخذه على الرسالة، والخرج: الأجر والجعل، فتركوا الإيمان بك وبما جئت به لأجل ذلك ، مع أنهم يعلمون أنك لم تسألهم ذلك ولا طلبته منهم ﱡﭐ فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ ﱠ أي فرزق ربك الذي يرزقك في الدنيا، وأجره الذي يعطيكه

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب٥/ ٢١٠.

في الآخرة خير لك مما ذكر، والخرج : هو الذي يكون مقابلا للدخل، قال النضر بن شميل: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الفرق بين الخرج والخراج فقال : الخراج ما لزمك ، والخرج ما تبرعت به، وروي عنه أنه قال : الخرج من الرقاب ، والخراج من الأرض ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ هذه الجملة مقررة لما قبلها من كون خراجه سبحانه خير الرازقين"[1]

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله **الرازق**، قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" أي: قل يا محمد إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة، ويقدر على من يشاء منهم فيضيقه ويقتره إهانة له وغير إهانة، بل محنة واختبارا ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ يقول: وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله، فإن الله يخلفها عليكم، وقوله:﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ يقول: وهو خير من قيل إنه يرزق ووصف به، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه فيقال: فلان يرزق أهله وعياله"[2]

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله **الرازق**، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[الجمعة: ١١]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" يعاتب

---

(١) تفسير الشوكاني، ٥/ ١٦٩.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٤١٣.

تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ ﴾ قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه:" بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فقدمت عير إلى المدينة، فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا، وكان في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر، وعمر، رضي الله عنهما، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة ﴿ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ أي: لمن توكل عليه، وطلب الرزق في وقته"(١)

أما اسم الله "**الرزاق**" فقد ورد في القرآن مرة واحدة، وذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨]، قال الشيخ السعدي في تفسيره :"هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم.

فما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطعموه، تعالى الله الغني المغني عن الحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه، وإنما جميع الخلق، فقراء إليه، في جميع

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ١٢٤.

حوائجهم ومطالبهم، الضرورية وغيرها، ولهذا قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾ أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، ﴿ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ أي: الذي له القوة والقدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام العظيمة، السفلية والعلوية، وبها تصرف في الظواهر والبواطن، ونفذت مشيئته في جميع البريات، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، ولا يخرج عن سلطانه أحد، ومن قوته، أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم، ومن قدرته وقوته، أنه يبعث الأموات بعد ما مزقهم البلى، وعصفت بترابهم الرياح، وابتلعتهم الطيور والسباع، وتفرقوا وتمزقوا في مهامه القفار، ولجج البحار، فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين"(١).

قد يقول قائل: وصف الله نفسه بأنه﴿ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ ومعنى ذلك أن هناك من البشر من يرزق غيره ، فكيف نجمع بين رزق الله تعالى لعباده وبين رزق العباد بعضهم بعضا؟ وللجواب عن ذلك قال العلامة الشنقيطي:" وأما الصفات الفعلية، فإن وصف الخالق والمخلوق بها كثير في القرآن، ومعلوم أن فعل الخالق مناف لفعل المخلوق كمنافاة ذاته لذاته، فمن ذلك وصفه جل وعلا نفسه بأنه يرزق خلقه، قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ

(١) تفسير السعدي صـ ٨١٣.

فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [هود : ٦]، وقال في وصف الإنسان الحادث بذلك فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ [النساء : ٨]، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ [البقرة : ٢٣٣]. فما وصف به الله من هذه الأفعال فهو ثابت له حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله . وما وصف به المخلوق منها فهو ثابت له أيضا، على الوجه المناسب لحاله، وبين وصف الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق"(١)

وقد ورد اسم الله الرزاق في السنة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: " غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله سعر لنا؟ فقال: إن الله هو المسعر القابض الباسط الرزاق وإني لأرجو أن ألقى ربى وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال" (٢).

رابعا الآثار الإيمانية لهذين الاسمين

لا سمي الله **الرزاق والرازق** آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١- ومن مقتضيات الإيمان باسم الله **الرزاق** أن لا يخاف العبد على رزقه، وليعلم أن الله تعالى قد كتب رزقه وهو لا يزال جنينا في رحم أمه، وأن الله قد قسم بين الناس أرزاقهم، وأن ما كتبه الله له فإنه سوف يصل إليه، فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن الله قسم

(١) تفسير الشنقيطي، ٢/ ١٠٨.

(٢) صحيح، ابن ماجة ، برقم(٢٢٠٠).

بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله عز وجل يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الإيمان إلا من أحب" [١].

وعليه أن يتوكل على الله في مسألة الرزق وليكن حاله كحال الطير التي يرزقها الله تعالى، فعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطانا** [٢]، قال الإمام الغزالي وهو يبين حظ العبد من اسم الله الرزاق:" وغاية حظ العبد من هذا الوصف أمران **أحدهما**: أن يعرف حقيقة هذا الوصف وأنه لا يستحقه إلا الله عز وجل فلا ينتظر الرزق إلا منه ولا يتوكل فيه إلا عليه كما روي عن حاتم الأصم رحمه الله أنه قال له رجل من أين تأكل فقال من خزانته فقال الرجل أيلقي عليك الرزق من السماء فقال لو لم تكن الأرض له لكان يلقيه من السماء فقال الرجل إنكم تقولون الكلام فقال لأنه لم ينزل من السماء إلا الكلام فقال الرجل إني لا أقوى على مجادلتك فقال لأن الباطل لا يقوى مع الحق **الثاني**: أن يرزقه علما هاديا ولسانا مرشدا معلما ويدا منفقة متصدقة ويكون سببا لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله وأعماله ووصول الأرزاق إلى الأبدان بأفعاله وأعماله وإذا أحب الله عبدا أكثر حوائج الخلق إليه ومهما كان واسطة بين الله وبين العباد في وصول الأرزاق إليهم فقد نال حظا من هذه الصفة ،عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) مسند أحمد، برقم (٣٦٧٢)، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده ضعيف لضعف الصباح بن محمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٢٧١٤) .

(٢) الترمذي في الزهد، باب في التوكل على الله ٤/ ٥٧٣ ، برقم (٢٣٤٤)، وهو في صحيح الجامع، برقم (٥٢٥٤) .

وسلم: " **إن الخازن الأمين، الذي يعطي ما أمر به كاملا موفرا، طيبة به نفسه؛ حتى يدفعه إلى الذي أمر له به: أحد المتصدقين** "[1]، وأيدي العباد خزائن الله تعالى فمن جعلت يده خزانة أرزاق الأبدان ولسانه خزانة أرزاق القلوب فقد أكرم بشوب من هذه الصفة"[2] .

٢- ومن مقتضيات الإيمان باسم الله **الرزاق** أن يوقن العبد أن الله تعالى وحده هو المتكفل بأرزاق جميع خلقه، وأنه لا مانع لما أعطي ولا معطي لما منع، وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، إن هذا اليقين يثمر الطمأنينة في القلب والسكينة وعدم الهلع والخوف على الرزق؛ لأن الله عز وجل هو المتكفل بأرزاق عباده، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [هود:٦]، قال سيد قطب:" هذه الدواب وكل ما تحرك على الأرض فهو دابة من إنسان وحيوان وزاحفة وهامة، ما من دابة من هذه الدواب التي تملأ وجه البسيطة ، وتكمن في باطنها ، وتخفى في دروبها ومساربها، ما من دابة من هذه الدواب التي لا يحيط بها حصر ولا يكاد يلم بها إحصاء، إلا وعند الله علمها . وعليه رزقها ، وهو يعلم أين تستقر وأين تكمن . من أين تجيء وأين تذهب، وكل منها كل من أفرادها مقيد في هذا العلم الدقيق.

---

(١) صحيح أبي داود، برقم (١٤٧٨).

(٢) المقصد الأسنى، الغزالي، صـ ١٠٤.

إنها صورة مفصلة للعلم الإلهي في حالة تعلقه بالمخلوقات ، يرتجف لها كيان الإنسان حين يحاول تصورها بخياله الإنساني فلا يطيق ويزيد على مجرد العلم ، تقدير الرزق لكل فرد من أفراد هذا الحشد الذي يعجز عن تصوره الخيال . وهذه درجة أخرى ، الخيال البشري عنها أعجز إلا بإلهام من الله .

وقد أوجب الله سبحانه على نفسه مختارا أن يرزق هذا الحشد الهائل الذي يدب على هذه الأرض، فأودع هذه الأرض القدرة على تلبية حاجات هذه المخلوقات جميعا، وأودع هذه المخلوقات القدرة على الحصول على رزقها من هذا المودع في الأرض في صورة من صوره . ساذجا خامة ، أو منتجا بالزرع ، أو مصنوعا، أو مركبا، إلى أخر الصور المتجددة لإنتاج الرزق وإعداده . حتى إن بعضها ليتناول رزقه دما حيا مهضوما ممثلا كالبعوضة والبرغوث.

وهذه هي الصورة اللائقة بحكمة الله ورحمته في خلق الكون على الصورة التي خلقه بها؛ وخلق هذه المخلوقات بالاستعدادات والمقدرات التي أوتيتها، وبخاصة الإنسان . الذي استخلف في الأرض ، وأوتي القدرة على التحليل والتركيب ، وعلى الإنتاج والإنماء، وعلى تعديل وجه الأرض ، وعلى تطوير أوضاع الحياة؛ بينما هو يسعى لتحصيل الرزق ، الذي لا يخلقه هو خلقا ، وإنما ينشئه مما هو مذخور في هذا الكون من قوى وطاقات أودعها الله؛ بمساعدة النواميس الكونية الإلهية التي تجعل هذا الكون يعطي مدخراته وأقواته لكافة الأحياء! وليس المقصود ان هناك رزقا فرديا مقدرا لا يأتي بالسعي ، ولا يتأخر بالقعود ، ولا يضيع بالسلبية والكسل، كما يعتقد بعض الناس! وإلا فأين الأسباب التي أمر الله بالأخذ بها، وجعلها جزءا من نواميسه؟ وأين حكمة الله في إعطاء

المخلوقات هذه المقدرات والطاقات؟ وكيف تترقى الحياة في مدارج الكمال المقدر لها في علم الله، وقد استخلف عليها الإنسان ليؤدي دوره في هذا المجال؟ إن لكل مخلوق رزقا"[1].

٣- ومن مقتضيات الإيمان باسم الله **الرزاق** أن يأخذ العبد بالأسباب الشرعية الموجبة لزيادة الرزق، ومن هذه الأسباب تقوى الله تعالى قال تعالى:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، قال الأمام ابن كثير:" أي ومن يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي: من جهة لا تخطر بباله.

قال قتادة: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ أي: من شبهات الأمور والكرب عند الموت، ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

ومن حيث لا يرجو أو لا يأمل.

وقال ابن مسعود، ومسروق:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ يعلم أن الله إن شاء منع، وإن شاء أعطى ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ أي من حيث لا يدري.

وقال السدي: إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له: "عوف بن مالك الأشجعي" كان له ابن، وأن المشركين أسروه، فكان فيهم، وكان أبوه يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر، ويقول له:"إن

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٤/ ١٩٥.

الله سيجعل لك فرجا" فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا أن انفلت ابنه من أيدي العدو فمر بغنم من أغنام العدو، فاستاقها فجاء بها إلى أبيه، فنزلت فيه هذه الآية: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ "[1].

ومن الأسباب الشرعية الموجبة للرزق الاستقامة على دين الله، قال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ ﴾ [الجن: ١٦ - ١٧] ، قال الشيخ المراغي في تفسيره لهذه الآية:" أي لو استقام الإنس والجن على ملة الإسلام، لوسعنا عليهم أرزاقهم، ولبسطنا لهم فى الدنيا.

وإنما خص الماء الغدق بالذكر؛ لأنه أصل المعاش، وكثرته أصل السعة ومن ثم قيل حيثما كان الماء كان المال، وحيثما كان المال كانت الفتنة، ونحو الآية قوله: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وسر هذا أن الخصب وسعة الأرزاق لا يوجدان إلا حيث نوجد الطمأنينة والعدل ويزول الظلم، وتكون الناس سواسية فى نيل الحقوق، فلا ظلم ولا إرهاق، ولا محاباة ولا رشا فى الأحكام.

ثم ذكر سبب البسط حينئذ فقال: ﴿ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ ﴾ أي: لنختبرهم أي لنعاملهم معاملة المختبر لنرى هل يشكروننا على هذه الأرزاق والنعم، فإن وفوها حقها كان لهم منى الجزاء الأوفى، وإن نكصوا على أعقابهم استدرجناهم وأمهلناهم، ثم أخذناهم أخذ عزيز مقتدر "[2].

---

(1) تفسير ابن كثير ٨/ ١٤٦.

(2) تفسير المراغي ٢٩/ ١٠١.

٤- ومن الآثار الإيمانية للإيمان باسم الله الرزاق دعاء باسمه الرزاق، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: "**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا** "[١] .

وعن أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه أنه قال: " **كان الرجل إذا أسلم علمه النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني**" [٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء، لا مكره له** " [٣] .

وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه قال: " **اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم** " [٤].

---

(١) صحيح مسلم في الزهد والرقائق، باب في الكفاف والقناعة ٢/ ٧٣٠ ، برقم(١٠٥٥).

(٢) صحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٢٠٧٣/٤ ، برقم(٢٦٩٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة ٢٧١٨/٦ ، برقم(٧٠٣٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي أن تعرى المدينة ٦٦٨/٢، برقم(١٧٩١).

٦٤ـ الشكور ٦٥ـ الشاكر جل جلاله

الشكور والشاكر من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذه الاسماء في النقاط التالية:

أولا: المعني اللغوي لهذين الاسمين

قال أهل اللغة:" أصل الشكر الزيادة والنماء والظهور، وحقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه، والشكر عرفان الإحسان ونشره، نقول: ورجل شكور: كثير الشكر. وفي التنزيل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾ [الإسراء: ٢].

والشكر من شكرت الإبل تشكر إذا أصابت مرعى فسمنت عليه. والشكور من الدواب ما يكفيه العلف القليل، وقيل الشكور من الدواب: الذي يسمن على قلة العلف، كأنه يشكر وإن كان ذلك الإحسان قليلا.

الشكور فعول من صيغ المبالغة، فعله شكر يشكر شكرا وشكورا وشكرانا، فالشكور فعول من الشكر، والشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظف عليه من عبادته

والشكور من أسماء الله تعالى ومعناه: أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، والشكر من الله تعالى هو إثابته الشاكر على شكره فجعل ثوابه للشكر وقبوله للطاعة شكرا على طريقة"[1] .

وقد يقول قائل ما لفرق بين اسم الله الشاكر واسمه الشكور؟ وللإجابة عن هذا التساؤل يقول المناوي:" الشكور الباذل وسعه في أداء الشكر بقلبه ولسانه

([1]) لسان العرب، لابن منظور، ٢٣٠٥/٤، ، وينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج ، صـ ٢٨.

وجوارحه اعتقادا واعترافا، وقيل: الشاكر من يشكر على الرخاء، والشكور على البلاء، والشاكر من يشكر على العطاء، والشكور من يشكر على المنع " [١].

فاسم الله الشكور أبلغ من اسمه الشاكر وهو المبالغ في الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه.

وقد يقول قائل ما لفرق بين الشكر والحمد؟ وللإجابة عن هذا التساؤل قال الامام ابن القيم:" والفرق بينهما أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب.

ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافا، وبالجوارح طاعة وانقيادا، ومتعلقه: النعم دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم.

فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان".[٢]

أولا: المعني الاصطلاحي لهذين الاسمين

وردت عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة لهذين الاسمين الكريمين، ومن هذه التعاريف ما ذكره الإمام الغزالي، حيث قال:" **الشكور** هو الذي يجازي بيسير

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، صـ٤٣٧ .

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم ٢/٢٤٦.

الطاعات كثير الدرجات ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيما في الآخرة غير محدود ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال: إنه شكر تلك الحسنة، ومن أثنى على المحسن أيضا يقال إنه شكر.

فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا الله عز وجل؛ لأن زياداته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة، فإن نعيم الجنة لا آخر له والله سبحانه وتعالى يقول لهم: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٢٤]، وإن نظرت إلى معنى الثناء فثناء كل مثن على فعل غيره والرب عز وجل إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه؛ لأن أعمالهم من خلقه، فإن كان الذي أعطى فأثنى شكورا، فالذي أعطى وأثنى على المعطي أحق بأن يكون شكورا وثناء الله تعالى على عباده كقوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[الأحزاب: ٣٥]، وكقوله تعالى عن أيوب:﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤] وما يجري مجراه فكل ذلك عطية منه"[1].

قال الخطابي:" **الشكور:** هو الذي يشكر اليسير من الطاعة فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعمة، فيرضى باليسير من الشكر كقوله سبحانه:﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٤].

ومعنى الشكر المضاف إليه: الرضا بيسير الطاعة من العبد والقبول له، وإعظام الثواب عليه والله أعلم. وقد يحتمل أن يكون معنى الثناء على الله عز

---

(1) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٣٦.

وجل بالشكور ترغيب الخلق في الطاعة، قلت أو كثرت، لئلا يستقلوا القليل من العمل فلا يتركوا اليسير من جملته إذا أعوزهم الكثير منه" أهـ[1] .

وقال ابن القيم:" سمى الله نفسه شاكرا وشكورا، الشكور: من يوصل الشاكر إلى مشكوره، بل يعيد الشاكر مشكورا، وهو غاية الرب من عبده، وأهله هم القليل من عباده، وهذا يدل على أنهم هم خواصه، وقلة أهله في العالمين، كما قال تعالى:﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣].

وسمى الله الشاكرين بهذين الاسمين، فأعطاهم من وصفه، وسماهم باسمه وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلا، وأخبر بأنه عد للشاكر مشكورا، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإنسان:٢٢]، ورضى الله عن الشاكرين، كقوله: ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر:٧]، [2] .

وقال الشيخ السعدي: "ومن أسمائه تعالى الشاكر والشكور وهو الذي يشكر القليل من العلم الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل ولا يضيع أجر من أحسن عملا، بل يضاعفه أضعافا مضاعفة بغير عد ولا حساب، ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وقد يجزي الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل. وليس عليه حق واجب بمقتضى أعمال العباد وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه

---

(١) شأن الدعاء، للخطابي صـ ٦٥ .

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم ٢/٢٤٢، باختصار وتصرف.

كرما منه وجودا، والله لا يضيع أجر العاملين إذا أحسنوا في أعمالهم وأخلصوا لله تعالى"(١) .

ثالثا: ورود هذين الاسمين في القرآن والسنة

ورد اسم الله الشكور في القرآن الكريم في أربعة مواضع، وهذه المواضع قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٤]، قال العلامة ابن القيم في تفسيره لهذه الآية:" أهل شكره أهل زيادته؛ وأهل ذكره أهل مجالسته؛ وأهل طاعته أهل كرامته؛ وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته، إن تابوا فهو حبيبهم؛ وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم، يبتليهم بأنواع المصائب: ليكفر عنهم الخطايا؛ ويطهرهم من المعائب: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

فيا من عزم على السفر إلى الله والدار الآخرة قد رفع لك علم فشمر إليه فقد أمكن التشمير، واجعل سيرك بين مطالعة منته وشكر نعمه، ومشاهدة عيب النفس والتقصير في الأعمال الصالحة، فما تساوي أعمالك – لو سلمت مما يبطلها – أدنى نعمة من نعمه عليك، وأنت مرتهن بشكرها من حين أرسل بها إليك، فهل رعيتها بالله حق رعايتها وهي في تصريفك وطوع يديك؟ فتعلق بحبل الرجاء، وادخل من باب التوبة والعمل الصالح: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

نهج للعبد طريق النجاة وفتح له أبوابها، وعرفه طريق تحصيل السعادة وأعطاه أسبابها، وحذره من وبال معصيته وأشهده على نفسه وعلى غيره شؤمها وعقابها،

---

(١) توضيح الكافية الشافية، صـ ١٢٥، والحق الواضح المبين صـ ٧٠، وكلاهما للسعدي.

وقال: إن أطعت فبفضلي؛ وأنا أشكر، وإن عصيت فبقضائي، وأنا أغفر: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

أعطى الله العبد ما يشكر عليه ثم يشكره على إحسانه إلى نفسه لا على إحسانه إليه، ووعده على إحسانه لنفسه أن يحسن جزاءه ويقربه لديه، وأن يغفر له خطاياه إذا تاب منها ولا يفضحه بين يديه: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

وثقت بعفوه هفوات المذنبين فوسعتها، وعكفت بكرمه آمال المحسنين فما قطع طمعها، وخرقت السبع الطباق دعوات التائبين والسائلين فسمعها، ووسع الخلائق عفوه ومغفرته ورزقه ، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

يجود على عبيده بالنوال قبل السؤال، ويعطي سائله ومؤمله فوق ما تعلقت به منهم الآمال، ويغفر لمن تاب إليه ولو بلغت ذنوبه عدد الأمواج والحصى والتراب والرمال: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأفرح بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا وجدها، وأشكر للقليل من جميع خلقه، فمن تقرب إليه بمثقال ذرة من الخير شكرها وحمدها﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

تعرف إلى عباده بأسمائه وأوصافه، وتحبب إليهم بحلمه وآلائه، ولم تمنعه معاصيهم بأن جاد عليهم بآلائه، ووعد من تاب إليه وأحسن طاعته بمغفرة ذنوبه يوم لقائه: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

يطاع فيشكر؛ وطاعته من توفيقه وفضله، ويعصى فيحلم؛ ومعصية العبد من ظلمه وجهله، ويتوب إليه فاعل القبيح فيغفر له حتى كأنه لم يكن قط من أهله:

﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾، الحسنة عنده بعشر أمثالها أو يضاعفها بلا عدد ولا حسبان، والسيئة عنده بواحدة ومصيرها إلى العفو والغفران، وباب التوبة مفتوح لديه منذ خلق السماوات والأرض إلى آخر الزمان: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

بابه الكريم مناخ الآمال ومحط الأوزار، وسماء عطاه لا تقلع عن الغيث، بل هي مدرار، ويمينه ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

لا يلقى وصاياه إلا الصابرون، ولا يفوز بعطاياه إلا الشاكرون، ولا يهلك عليه إلا الهالكون، ولا يشقى بعذابه إلا المتمردون: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

فإياك أيها المتمرد أن يأخذك على غرة فإنه غيور، وإذا أقمت على معصيته وهو يمدك بنعمته فاحذره فإنه لم يهملك لكنه صبور، وبشراك أيها التائب بمغفرته ورحمته:﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾"[1].

ومن الآيات التي جاء فيها ذكر اسم الله الشكور قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ذكره: إن الذين يقرءون كتاب الله الذي أنزله على محمد

([1]) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم صـ ٤١٩، باختصار، وتصرف.

صلى الله عليه وسلم ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يقول: وأدوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها، وقوله: ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ يقول: وتصدقوا بما أعطيناهم من الأموال سرا في خفاء وعلانية جهارا، وإنما معنى ذلك أنهم يؤدون الزكاة المفروضة، ويتطوعون أيضا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه.

وقوله ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾أي: يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور: لن تكسد ولن تهلك.

وقوله ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ﴾ أي: ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾أي: وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل، وكان مطرف بن عبد الله يقول: هذه آية القراء.

وقوله ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ أي: إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم شكور لحسناتهم.

وقال قتادة ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ إنه غفور لذنوبهم، شكور لحسناتهم"[1].

ومن الآيات التي جاء فيها ذك اسم الله الشكور قوله تعالى:﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الشورى: ٢٣]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" أصل القرف الكسب، والاقتراف: الاكتساب، والمعنى: من يكتسب حسنة نزد له هذه الحسنة حسنا بمضاعفة ثوابها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

(1) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٦٣، باختصار.

أي : كثير المغفرة للمذنبين، كثير الشكر للمطيعين، قال قتادة : غفور للذنوب شكور للحسنات "[1].

ومن الآيات التي جاء فيها ذلك اسم الله الشكور قوله تعالى:﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٧]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" أي: مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه، ونزل ذلك منزلة القرض له، وقوله تعالى: ﴿ يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ ﴾ كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٥]، ومعنى قوله تعالى:﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ أي: ويكفر عنكم السيئات. ولهذا قال: ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ ﴾ أي: يجزي على القليل بالكثير ﴿ حَلِيمٌ ﴾ أي: يعفو ويصفح ويغفر ويستر، ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات"[2].

أما اسم الله "**الشاكر**"، فلم يرد في القرآن الكريم إلا في موضعين فقط، الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:"

---

(١) تفسير الشوكاني ٦/ ٣٧٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٨/ ١٤١.

أقر الإسلام معظم شعائر الحج والعمرة التي كان العرب يؤدونها، ونفى كل ما يمت إلى الأوثان وإلى أوهام الجاهلية، وربط الشعائر التي أقرها بالتصور الإسلامي الجديد، بوصفها شعائر إبراهيم التي علمه ربه إياها.

ثم يختم الآية بتحسين التطوع بالخير إطلاقا : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾، فيلمح إلى أن هذا الطواف من الخير، وبذلك ينفي من النفوس كل حرج، ويطيب القلوب بهذه الشعائر، ويطمئنها على أن الله يعدها خيرا، ويجازي عليها بالخير . وهو يعلم ما تنطوي عليه القلوب من نية وشعور.

ولا بد أن نقف لحظة أمام ذلك التعبير الموحي: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾، إن المعنى المقصود أن الله يرضى عن ذلك الخير ويثيب عليه، وكلمة ﴿شَاكِرٌ﴾ تلقي ظلالا ندية وراء هذا المعنى المجرد، تلقي ظلال الرضى الكامل، حتى لكأنه الشكر من الرب للعبد، ومن ثم توحي بالأدب الواجب من العبد مع الرب .

فإذا كان الرب يشكر لعبده الخير، فماذا يصنع العبد ليوفي الرب حقه من الشكر والحمد؟؟ تلك ظلال التعبير القرآني التي تلمس الحس بكل ما فيها من الندى والرفق والجمال"[1].

والمواضع الثاني الذي جاء فيه ذكر اسم الله الشاكر، هو قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[النساء: ١٤٧]، قال الشيخ رشيد رضا في تفسيره عند هذه الآية:" الاستفهام في قوله

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب١/ ١٢٠.

تعالى:﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾؟،استفهام إنكاري بين الله لنا به أنه سبحانه لا يعذب أحدا من عباده تشفيا منه ولا انتقاما، بالمعنى الذي يفهمه الناس من الانتقام بحسب استعمالهم إياه فيما بينهم، وإنما ذلك جزاء كفرهم بنعم الله عليهم بالحواس والعقل والوجدان والجوارح، باستعمالها في غير ما خلقت لأجله من الاهتداء بها إلى تكميل نفوسهم بالعلوم والفضائل والأعمال النافعة، وكفرهم بالله تعالى باتخاذ شركاء له، وإن سماهم بعضهم وسطاء وشفعاء.

فبكفرهم بالله تعالى وبنعمه عليهم في الآفاق وفي أنفسهم تفسد فطرتهم، وتتدنس أرواحهم فتهبط بهم في دركات الهاوية ويكونون هم الجانين على أنفسهم، ولو شكروا وآمنوا لطهرت أرواحهم من دنس الشرك والوثنية، وظهرت آثار عقولهم وسائر قواهم بالأعمال الصالحة المصلحة لمعاشهم ومعادهم، لعرجت بهم تلك الأرواح القدسية إلى المقام الكريم، والرضوان الكبير في دار النعيم، وقدم الشكر هنا على الإيمان ؛ لأن معرفة النعم والشكر عليها طريق إلى معرفة المنعم والإيمان به.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾، يثيب المؤمنين الشاكرين المصلحين على حسب علمه بحالهم، لا أنه يعذبهم، بل يعطيهم أكثر مما يستحقون على شكرهم وإيمانهم، وسمى ثباتهم على الشكر شكرا، وهم إنما يحسنون بشكره إلى أنفسهم، وهو غني عنهم وعن شكرهم وإيمانهم، ولكن قضت حكمته، ومضت سنته، بأن يكون للإيمان الصحيح والأعمال الصالحة أثر صالح في النفس، يترتب عليه

الجزاء الحسن والعكس بالعكس، فنسأله تعالى أن يجعلنا من المؤمنين الشاكرين، وأن يشكر لنا ذلك في الدارين"[١].

رابعا: الآثار الإيمانية لهذين الاسمين

لاسمي الله **الشاكر والشكور** آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن ومن هذه الآثار ما يلي:

١- من الآثار الإيمانية لاسمي الله الشاكر والشكور محبة الله تعالى؛ لأنه الشكور والشاكر على الحقيقة، قال ابن القيم:" إن الله سبحانه وتعالى هو أولى بصفة الشكر من كل شكور، بل هو الشكور على الحقيقة؛ فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى، ويلقي له الشكر بين عباده، ويشكره بفعله، فإذا ترك له شيئا أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئا رده عليه أضعافا مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك.

ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتى مزقها أعداؤه شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيرا خضرا أقر أرواحهم فيها، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث، فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه، ومن شكره سبحانه أنه يجازي عدوه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا ويخفف به عنه يوم القيامة، فلا يضيع عليه ما يعمله من الإحسان وهو من أبغض خلقه إليه، ومن

---

(١) تفسير المنار، لرشيد رضا٥/ ٣٨٦.

شكره أنه غفر للمرأة البغي بسقيها كلبا كان قد جهده العطش حتى أكل الثرى (١).

٢- ومن الآثار الإيمانية لاسمي الله الشاكر والشكور، أن يقوم العبد بشكر الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بشكره فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ ﴾[البقرة:١٧٢].

ومدح الله – تعالى – رسله وعباده الصالحين الشاكرين له، كما في قوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾ [الإسراء: ٣]، وقال عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ ﴾ [النحل: ١٢١].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن منزلة العبد الطاعم الشاكر،فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر**" (٢). وقد ذكر الامام ابن القيم خمس قواعد يقوم عليها شكر الله تعالى، وهذه القواعد هي" خضوع الشاكر للمشكور وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها وأن لا يستعمله فيما يكره، فهذه الخمس هي

(١) عدة الصابرين، لابن القيم، صـ٢٤٠ .

(٢) سنن الترمذي في صفة القيامة ٤/٦٥٣ ، برقم (٢٤٨٦)، وهو في صحيح الجامع، للألباني، برقم (٣٩٤٣)

أساس الشكر وبناؤه عليها فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع، وعليها يدور"[1].

وشكر العبد لله تعالى ينبغي أن يكون باللسان وبالقلب وبالجوارح، فشكر اللسان هو الثناء على المنعم بذكر فضله ومنته وحمده على نعمته،، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – أنه قال: مطر الناس على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال:" **أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا**، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٥ – ٨٢][2].

وأما شكر الجوارح فهو خضوعها وانقيادها لأوامر الله تعالى واستجابتها لأحكامه وطاعته، قال تعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣]، وقال – تعالى– في عن لقمان: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان:١٢].

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم ٢/٢٤٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ١/٨٤ ، برقم(٧٣) .

وعند البخاري من حديث المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – قال: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له فيقول: "**أفلا أكون عبدا شكورا** " [١].

وعن ابن عباس – رضي الله عنه –: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوما يعني عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون فصام موسى شكرا لله، فقال:" **أنا أولى بموسى منهم، فصامه وأمر بصيامه**" [٢].

أما شكر القلب فيكون بالاعتراف القلب بنعم الله على عبده، وهذا الاعتراف ينبغي أن يقود يقوده شكر العبد لربه على كل أحواله التي يمر بها ففي كلها خير له، فعند مسلم من حديث صهيب الرومي – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**" [٣].

والمؤمن لا يستطيع شكر ربه سبحانه إلا بأن يعينه الله – عز وجل – على ذلك، ولذا أوصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل ابن جبل – رضي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه ٣٨٠/١ ، برقم(١٠٧٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وهل أتاك حديث موسى ١٢٤٤/٣، برقم(٣٢١٦) .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير ٢٢٩٥/٤ ، برقم(٢٩٩٩).

الله عنه – أن يقول دبر كل صلاة: "**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**"[١].

وعن شداد بن أوس – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعلمنا أن نقول: **اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك لسانا صادقا وقلبا سليما، وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسألك من خير ما تعلم، وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب**" [٢].

وجاء في الحديث: "**اللهم اجعلني لك شكارا لك ذكارا.. الحديث**"[٣].

٣ـ ومن الآثار الإيمانية لاسمي الله الشاكر والشكور أن يتصف العبد بموجب هذين الاسمين الكريمين، فيرحم بني الإنسان والحيوان، فقد يشكرون له صنيعه هذا فيكون ذلك سببا في أن يرضى الله عنه ويدخله الجنة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – : **أن رجلا رأى كلبا يأكل الثرى من العطش، فأخذ الرجل خفه؛ فجعل يغرف له به حتى أرواه فشكر الله له؛ فأدخله الجنة** " [٤] .

---

(١) سنن أبي داود ، برقم(١٥٢٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٤٧).

(٢) سنن الترمذي في الدعوات، وهو في السلسلة الصحيحة، للألباني، برقم (٣٢٢٨) .

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب من أدعية النبي صلى الله عليه وسلم وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح أبي داوود، برقم (١٣٣٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان ١/٧٥ ، برقم(١٧١) .

وعنه أيضا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له؛ فغفر له** " [1].

وإذا اتصف العبد بما يقتضيه اسمي الله الشاكر والشكور أحبه الله تعالى، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها واتصف بضدها.

وهذا شأن أسمائه الحسنى، أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها، ولهذا يبغض: الكفور، والظالم، والجاهل، والقاسي القلب، والبخيل، والجبان، والمهين، واللئيم.

وهو سبحانه جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين، جواد يحب أهل الجود، ستار يحب أهل الستر، قادر يلوم على العجز، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، عفو يحب العفو، وتر يحب الوتر، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها، وكل ما يبغضه فهو ما يضادها وينافيها".[2].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر ١/٢٣٣ ، برقم(٦٢٤) .

(2) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم صـ ٣٣٧.

٤- ومن الآثار الإيمانية لاسمي الله الشاكر والشكور أن يشكر الإنسان من أحسن إليه من الخلق وقد قال صلى الله عليه وسلم: "**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**"[١].

وأولى الناس بهذا الشكر الوالدين قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤] ففي هذه الآية أمر الله تعالى بشكره ثم بشكر الوالدين؛ لأنهما كانا سبب في جود الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وسهرا وتعبا في تربيته ولديهما، ، فمن لم يشكرهما فقد عقهما، ولم يشكر الله الذي أجرى تلك النعم على أيديهما.

ومما يدخل فيه الشكر شكر الزوجة لزوجها على ما يقوم به تجاهها، فعن عبد الرحمن بن شبل – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **إن الفساق هم أهل النار، قيل: يا رسول الله ومن الفساق؟ قال: النساء، قال رجل: يا رسول الله أولسن أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا؟ قال: بلى، ولكنهن إذا أعطين لم يشكرن، وإذا ابتلين لم يصبرن**" [٢].

ومما يدخل فيه الشكر شكر أصحاب الأموال لله تعالى على ما وهبهم من أموال، فينفقونها في أوجه الخير ويعطون منها للفقير والمسكين، فعن ثوبان –

---

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، وقال: حديث حسن صحيح (١٩٥٤).

(٢) مسند الإمام أحمد (١١/ ٨٤)، برقم(١٥٥٧٠)، قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي راشد الحبراني فقد روى له البخاري في " الأدب المفرد " وأبو داود والترمذي وابن ماجة وروى عنه جمع، وهو في السلسلة الصحيحة، للألباني، برقم (٣٠٥٨).

رضي الله عنه – أنه قال: لما نزلت: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة:٣٤] قال: كنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه – رضي الله عنهم –: أنزل في الذهب والفضة ما أنزل، لو علمنا أي المال خير فنتخذه، فقال صلى الله عليه وسلم: " **أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه** " (١) .

٥- ومن الآثار الإيمانية لاسمي الله الشاكر والشكو دعاء الله بهذين الاسمين وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، فعن معاذ ابن جبل – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخذ بيده وقال:" **يا معاذ والله إني لأحبك، والله إني لأحبك فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**" (٢).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء، قولوا: اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك** (٣) .

---

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة ٢٧٧/٥ (٣٠٩٤)، وهو في صحيح الترغيب، للألباني، برقم (١٩١٣).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار ٨٦/٢ ، برقم(١٥٢٢)، وهو في صحيح الجامع، للألباني، برقم (٧٩٦٩).

(٣) مسند الإمام أحمد (٧/ ٢٨)، برقم (٧٩٦٩)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي قرة الزبيدي، وهو في مستدرك الحاكم ٦٧٧/١، برقم(١٨٣٨)، وهو في صحيح الجامع، للألباني، برقم (٨١).

وقال شقيق كان عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه يكثر أن يدعو بهؤلاء الدعوات:" ربنا أصلح بيننا واهدنا سبيل الإسلام ونجنا من الظلمات إلى النور، واصرف عنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها قائلين بها وأتممها علينا"[1].

وعن أبي سعيد – رضي الله عنه – قال: رأيت فيما يرى النائم كأني تحت شجرة، وكأن الشجرة تقرأ ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾ [ص: ١]، فلما أتت على السجدة سجدت، فقالت في سجودها: اللهم اغفر لي بها، اللهم حط عني بها وزرا، وأحدث لي بها شكرا، وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته، فغدوت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته فقال: **سجدت يا أبا سعيد؟** قلت: لا، قال: **فأنت أحق بالسجود من الشجرة**، ثم قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سورة ص، ثم أتى على السجدة، فسجد وقال في سجوده: ما قالت الشجرة في سجودها"[2].

وكان علي بن حسين بمنى فقال في دعائه أن قال:" يارب كم من نعمة أنعمتها علي قل لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قل لك عندها صبري، فيا من قل شكري عند نعمه فلم يحرمني، ويا من قل صبري عند بلائه فلم يخذلني، ويا من رآني على المعاصي والذنوب العظام فلم يهتك ستري ويا ذا المعروف

---

(١) الأدب المفرد، للبخاري، برقم(٦٣٠)، قال الألباني: صحيح موقوفا، وقد صح مرفوعا.

(٢) مسند أبي يعلى ٢/٣٣٠ ، برقم(١٠٦٩)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، برقم (١٤٤٢) .

الذي لا ينقضي ويا ذا النعم التي لا تحول ولا تزول صل على محمد وعلى آل محمد و اغفر لنا و ارحمنا"[١].

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي٤/ ١٤٠، برقم(٤٥٨٨).

٦٦ـ الكريم ٦٧ـ الأكرم جل جلاله

الكريم والأكرم من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذه الاسماء في النقاط التالية:

أولا: المعني اللغوي لهذين الاسمين

قال أهل اللغة: **الكريم** صفة مشبهة للموصوف بالكرم، والكرم نقيض اللؤم، يكون في الرجل بنفسه وإن لم يكن له آباء، ويستعمل في الخيل والإبل والشجر وغيرها من الجواهر إذا عنوا العتق وأصله في الناس.

والكريم هو الشيء الحسن النفيس الواسع السخي، والفرق بين الكريم والسخي أن الكريم هو كثير الإحسان بدون طلب والسخي هو المعطى عند السؤال، والكرم السعة والعظمة والشرف والعزة والسخاء عند العطا.

الكريم: الكثير الخير، والعرب تسمي الشيء النافع الذي يدوم نفعه ويسهل تناوله كريما، ولذلك قيل للناقة الحوار: كريمة وذلك لغزارة لبنها وكثرة درها.

الكريم: الجواد. والكريم: العزيز، والكريم: الصفوح، هذه ثلاثة أوجه للكريم في كلام العرب، كلها جائز وصف الله – عز وجل – بها.

والكرم سرعة إجابة النفس، نقول: كريم الخلق وكريم الأصل.

ومن أسماء الله تعالى الأكرم، وهو:"اسم دل على المفاضلة في الكرم، فعله كرم يكرم كرما، والأكرم هو الأحسن والأنفس والأوسع، والأعظم والأشرف، والأعلى

من غيره في كل وصف، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] "(١).

ثانيا: المعني الاصطلاحي لهذين الاسمين

لهذين الاسمين عدة تعاريف اصطلاحية متقاربة، ومن هذه التعاريف ما ذكره الإمام البيهقي، حيث قال:" الكريم: الكثير الخير، وقيل: المحسن بما لا يجب عليه، والصفوح عن حق وجب له، وهو على هذا المعنى من صفات فعله، وقيل: الكريم: هو المنزه عن الدناءة، وهذه صفة يستحقها الله بذاته"(٢).

وقال الإمام الغزالي، حيث قال:" الكريم الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جفي عاتب، وما استقصى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف، فهو الكريم المطلق، وذلك لله سبحانه وتعالى فقط"(٣).

وقال ابن القيم:" إن الكريم هو البهي الكثير الخير العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله. والله سبحانه وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره(٤).

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ١٢/٥١٠، والمفردات، للراغب الأصفهاني، صـ٧٠٧، اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ٣٠٢، شأن الدعاء، للخطابي ، صـ ٧٠، ٧١، تفسير أسماء الله، للزجاج، صـ ٥٠.

(٢) الاعتقاد، للبيهقي صـ ٢١.

(٣) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٩٦.

(٤) البيان في أقسام القرآن، لابن القيم، صـ ٢٨٦.

وقال أبو سليمان الداراني الكريم:" الذي يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة ، ويغفر الذنب ويعفو عن المسيء ، ويقول الداعي في دعائه : يا كريم العفو.

ومن من كرم عفو الله تعالى أن العبد إذا تاب عن السيئة، محاها عنه، وكتب له مكانها حسنة "[1].

أما اسم الله **الأكرم** فقد قال الامام البيهقي في تعريف بأنه:" الذي لا يوازيه كريم، ولا يعادله نظير، وقد يكون بمعنى الكريم، هو أكرم الأكرمين "[2].

وقال ابن القيم:" **الأكرم**، وهو الأفعال من الكرم، وهو كثرة الخير، ولا أحد أولى بذلك منه سبحانه، فإن الخير كله بيده، والخير كله منه، والنعم كلها هو موليها، والكمال كله والمجد كله له فهو الأكرم حقا.

و"**الأكرم**" الذي فيه كل خير، وكل كمال، فله كل كمال وصفا، ومن كل خير فعلا فهو "**الأكرم**" في ذاته وأوصافه وأفعاله""[3].

وقد جاء في الفرق بين اسم الله "**الكريم**" واسمه "**الأكرم**" أن:" **الكريم** دل على الصفة الذاتية والفعلية معا كدلالته على معاني الحسب والعظمة والسعة والعزة والعلو والرفعة وغير ذلك من صفات الذات، وأيضا دل على صفات الفعل فهو الذي يصفح عن الذنوب، ولا يمن إذا أعطى فيكدر العطية بالمن، وهو الذي تعددت نعمه على عباده بحيث لا تحصى وهذا كمال وجمال في الكرم.

---

(1) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٩٩، وينظر: شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٧٠.

(2) الاعتقاد، للبيهقي صـ ٢١، وينظر: شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٣٠٤.

(3) مفتاح دار السعادة، لابن القيم ١/٣٤٢، نفس المصدر ١/٢٤١.

أما **الأكرم** فهو المنفرد بكل ما سبق في أنواع الكرم الذاتي والفعلي، فهو سبحانه أكرم الأكرمين له العلو المطلق على خلقه في عظمة الوصف وحسنه، ومن ثم له جلال الشأن في كرمه وهو جمال الكمال وكمال الجمال [١].

والفرق بين الكريم والسخي أن:" الكريم هو كثير الإحسان بدون طلب والسخي هو المعطى عند السؤال، والكرم السعة والعظمة والشرف والعزة والسخاء عند العطاء [٢]، وعند الترمذي وصححه الألباني من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – **أن** رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم**" [٣].

ثالثا: ورود هذين الاسمين في القرآن والسنة

اسم الله الكريم ورد في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، وهذه المواضع هي قوله تعالى، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾[الانفطار: ٦]، قال الإمام ابن كير في تفسيره لهذه الآية:" أي: ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم–أي: العظيم–حتى أقدمت على معصيته، وقابلته بما لا يليق؟ كما جاء في الحديث: "يقول الله يوم القيامة: ابن آدم، ما غرك بي؟ ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين؟"[٤].

---

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ١/١١٢.

(٢) لسان العرب، لابن منظور ١٢/٥١٠، والمفردات، للراغب الأصفهاني، صـ٧٠٧.

(٣) صحيح الترغيب والترهيب، برقم (٢٦٠٩)، ومعنى "غر كريم " أي: ليس بذي مكر فهو ينخدع لانقياده ولينه وهو ضد الخب هو المخادع الذي يسعى بين الناس بالفساد، انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس الحق ابادي ١٣/١٠٢ .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٣٩) وعزاه لابن المنذر وسعيد بن منصور أيضا.

وسمع عمر رجلا يقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ فقال عمر: الجهل. وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ لقلت: غرني كرم الكريم.

وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي:﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ لقلت: ستورك المرخاة.

وقال قتادة: ما غر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان.

وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال: ﴿ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ دون سائر أسمائه وصفاته، كأنه لقنه الإجابة،وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل؛ لأنه إنما أتى باسمه ﴿ٱلۡكَرِيمِ ﴾؛ للتنبيه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة، وأعمال السوء.

وقد حكى الكلبي ومقاتل أنهما قالا نزلت هذه الآية في الأسود بن شريق، ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعاقب في الحالة الراهنة، فأنزل الله: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ "[1].

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر اسم الله الكريم، قوله تعالى:﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾ [النمل: ٤٠]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" أي: ومن شكر نعمة الله عليه، وفضله عليه، فإنما يشكر طلب نفع نفسه؛ لأنه ليس ينفع بذلك غير نفسه؛ لأنه لا حاجة لله إلى أحد من

---

(1) تفسير ابن كثير ٨/ ٣٤٢، باختصار وتصرف يسير.

خلقه، وإنما دعاهم إلى شكره تعريضا منه لهم للنفع، لا لاجتلاب منه بشكرهم إياه نفعا إلى نفسه، ولا دفع ضر عنها.

﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ أي: ومن كفر نعمه وإحسانه إليه، وفضله عليه، لنفسه ظلم، وحظها بخس، والله غني عن شكره، لا حاجة به إليه، لا يضره كفر من كفر به من خلقه، كريم، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه"[1].

والمتأمل في هذه الآية يجد أن اسم الله الكريم اقترن باسمه الغني، وعن السر في هذا الاقتران قال ابن القيم:" الله سبحانه غني كريم، عزيز رحيم، فهو محسن إلى عبده مع غناه عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه من العبد، ولا لدفع مضرة، بل رحمة منه وإحسانا، فهو سبحانه لم يخلق خلقه ليتكثر بهم من قلة، ولا ليعتز بهم من ذلة، ولا ليرزقوه ولا لينفعوه، ولا ليدفعوا عنه، كما قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨]، وقال تعالى:﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ ﴾ [الإسراء: ١١١].

فهو سبحانه لا يوالي من يواليه من الذل، كما يوالي المخلوق المخلوق، وإنما يوالي أولياءه إحسانا ورحمة ومحبة لهم، وأما العباد فإنهم كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [محمد: ٣٨].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٤٦٨.

فهم لفقرهم وحاجاتهم إنما يحسن بعضهم إلى بعض لحاجته إلى ذلك وانتفاعه به عاجلا أو آجلا، ولولا تصور ذلك النفع لما أحسن إليه، فهو في الحقيقة إنما أراد الإحسان إلى نفسه، وجعل إحسانه إلى غيره وسيلة وطريقا إلى وصول نفع ذلك الإحسان إليه، فإنه إما أن يحسن إليه لتوقع جزائه في العاجل، فهو محتاج إلى ذلك الجزاء، أو معاوضة بإحسانه، أو لتوقع حمده وشكره، وهو أيضا إنما يحسن إليه ليحصل منه ما هو محتاج إليه من الثناء والمدح.

فهو محسن إلى نفسه بإحسانه إلى الغير، وإما أن يريد الجزاء من الله تعالى في الآخرة، فهو أيضا محسن إلى نفسه بذلك، وإنما أخر جزاءه إلى يوم فقره وفاقته، فهو غير ملوم في هذا القصد، فإنه فقير محتاج، وفقره وحاجته أمر لازم له من لوازم ذاته، فكماله أن يحرص على ما ينفعه ولا يعجز عنه، وقال تعالى:﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ ﴾ [الإسراء: ٧]، وقال: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى، فيما رواه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم: "**يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني؛ يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**" [(١)]"[(٢)].

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر اسم الله **الكريم**، قوله تعالى:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

(١) صحيح مسلم، برقم (٢٥٧٧).

(٢) إغاثة اللهفان، لابن القيم ٤١/١.

﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٥ – ١١٦]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" المعنى: أفحسبتم أنا خلقناكم للإهمال كما خلقت البهائم ولا ثواب ولا عقاب، وأنكم إلينا لا ترجعون بالبعث والنشور فنجازيكم بأعمالكم، ثم نزه سبحانه نفسه فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي : تنزه عن الأولاد والشركاء أو عن أن يخلق شيئا عبثا، أو عن جميع ذلك ، وهو ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ الذي يحق له الملك على الإطلاق ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في جميع أفعاله وأقواله ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ فكيف لا يكون إلها وربا، لما هو دون العرش الكريم من المخلوقات؟ ووصف العرش بالكريم؛ لنزول الرحمة والخير منه، أو باعتبار من استوى عليه، كما يقال: بيت كريم: إذا كان ساكنوه كراما . قرأ أبو جعفر وابن محيصن وإسماعيل وأبان بن ثعلب: "**الكريم**" بالرفع على أنه نعت لرب ، وقرأ الباقون بالجر على أنه نعت للعرش"(١).

أما اسم الله الأكرم فلم يرد إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ – ٥]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" إن سورة العلق هي السورة الأولى من هذا القرآن، فهي تبدأ باسم الله، وتوجه الرسول صلى الله عليه وسلم أول ما توجه، في أول لحظة من لحظات اتصاله بالملأ الأعلى، وفي أول خطوة من خطواته في طريق الدعوة التي اختير لها.

---

(١) تفسير الشوكاني، ٥/ ١٧٨، باختصار.

توجهه إلى أن يقرأ باسم الله : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾، وتبدأ من صفات الرب بالصفة التي بها الخلق والبدء : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾، ثم تخصص: خلق الإنسان ومبدأه: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾، من تلك النقطة الدموية الجامدة العالقة بالرحم، من ذلك المنشأ الصغير الساذج التكوين، فتدل على كرم الخالق فوق ما تدل على قدرته.

فمن كرمه رفع هذا العلق إلى درجة الإنسان الذي يعلم فيتعلم : ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ ، وإنها لنقلة بعيدة جدا بين المنشأ والمصير، ولكن الله قادر، ولكن الله كريم، ومن ثم كانت هذه النقلة التي تدير الرؤوس.

وإلى جانب هذه الحقيقة تبرز حقيقة التعليم تعليم الرب للإنسان ﴿ بِٱلۡقَلَمِ ﴾؛ لأن القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرا في حياة الإنسان، ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية، ولكن الله سبحانه كان يعلم قيمة القلم، فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية، في أول سورة من سور القرآن الكريم، هذا مع أن الرسول الذي جاء بها لم يكن كاتبا بالقلم، وما كان ليبرز هذه الحقيقة منذ اللحظة الأولى لو كان هو الذي يقول هذا القرآن، لولا أنه الوحي، ولولا أنها الرسالة، ثم تبرز مصدر التعليم .

إن مصدره هو الله، منه يستمد الإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم، وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود، ومن أسرار هذه الحياة، ومن أسرار نفسه، فهو من هناك، من ذلك المصدر الواحد، الذي ليس هناك سواه.

وبهذا المقطع الواحد الذي نزل في اللحظة الأولى من اتصال الرسول صلى الله عليه وسلم بالملأ الأعلى، بهذا المقطع وضعت قاعدة التصور الإيماني العريضة كل أمر، كل حركة، كل خطوة، كل عمل، باسم الله، وعلى اسم الله، باسم الله تبدأ، وباسم الله تسير، وإلى الله تتجه، وإليه تصير.

والله هو الذي خلق، وهو الذي علم، فمنه البدء والنشأة، ومنه التعليم والمعرفة، والإنسان يتعلم ما يتعلم، ويعلم ما يعلم، فمصدر هذا كله هو الله الذي خلق والذي علم ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾، وهذه الحقيقة القرآنية الأولى، التي تلقاها قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللحظة الأولى هي التي ظلت تصرف شعوره ، وتصرف لسانه ، وتصرف عمله واتجاهه ، بعد ذلك طوال حياته، بوصفها قاعدة الإيمان الأولى"[1].

وقال الإمام ابن القيم:" أعاد الأمر بالقراءة فقال: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾[العلق: ٣] للإخبار عن نفسه بأنه الأكرم، وهو الأفعل من الكرم، وهو كثرة الخير ولا أحد أولى بذلك منه سبحانه، فإن الخير كله بيده والخير كله منه والنعم كلها هو موليها، والكمال كله والمجد كله له فهو الأكرم حقا"[2] .

وقد ورد اسم الله الكريم في السنة النبوية، فعن سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا**"[3].

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٨/ ٦٧.

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم ١/٣٤٢.

(٣) صحيح أبي داود، للألباني، برقم (١٣٢٠).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إن الله كريم يحب الكرماء، جواد يحب الجودة، يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها**"[1] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:" قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال قولي:" **اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني**"[2] .

وعن على ابن أبي طالب– رضي الله عنه – أنه قال: قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم:" **ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك وإن كنت مغفورا لك؟**، قال: **قل لا إله إلا الله العلى العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله سبحان الله رب العرش العظيم**":[3].

وقد جاء في بعض الأحاديث النبوية والآثار وصف الله تعالى بأنه كريم، فعن زيد بن ثابت – رضي الله عنه – أن أم العلاء رضي الله عنها قالت عند موت عثمان بن مظعون – رضي الله عنه –:" رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : "**وما يدريك أن الله قد أكرمه**، فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال:" **أما هو فقد**

---

(1) صحيح الجامع، لألباني، برقم (١٨٠٠).

(2) صحيح سنن ابن ماجة ، برقم(٣٨٥٠)

(3) سنن الترمذي في كتاب الدعوات ٥/٥٢٩ ، برقم(٣٥٠٤) وهو في صحيح الجامع ، برقم(٢٦٢١) .

جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي؟ قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا " [١].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن سعد بن عبادة – رضي الله عنه – قال:" يا رسول الله أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقتله؟ قال رسول الله: **لا**، قال سعد: بلى والذي أكرمك بالحق، فقال رسول الله: "**اسمعوا إلى ما يقول سيدكم** " [٢].

رابعا: الآثار الإيمانية لهذين الاسمين

لاسمي الله الكريم والأكرم آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من مقتضيات الإيمان بهذين الاسمين محبة الله تعالى **الكريم الأكرم** على كرمه وجوده، وعلى نعمه التي لا تعد ولا تحصى، والعمل على تحويل هذه المحبة إلى واقع ملموس، فيعمل العبد ما يحبه الله ويرضاه، ويترك العبد ما يسخطه الله ويأباه.

ومن لوازم محبة **الكريم الأكرم** سبحانه وتعالى التعلق به وحده، والتوكل عليه، وتفويض الأمور إليه، وطلب الحاجات منه وحده سبحانه؛ لأنه الكريم الذي لا نهاية لكرمه بخلاف المخلوق والذي ولو كان كريما فإن كرمه محدود، وقد يريد التكرم على غيره ولكن عجزه يحول دون، وقد يموت قبل أن يصل كرمه إلى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت ٤١٩/١ ، برقم(١١٨٦) .

(٢) صحيح مسلم في اللعان ١١٣٥/٢ ، برقم(١٤٩٨) .

غيره بخلاف الكريم سبحانه وتعالى، وصدق الله القائل: ذلك قال الله تعالى:﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾.

ومن لوازم محبة **الكريم الأكرم** سبحانه وتعالى الحياء منه؛ لأن الله تعالى مع كثرة معاصي عباده له إلا أنه لم يمنع عنهم كرمه وجوده، وهذا الكرم العظيم يورث في قلب العبد المؤمن الحياء من الله تعالى والبعد عما يسخطه سبحانه وتعالى.

٢ـ ومن مقتضيات الإيمان بهذين الاسمين أن يتخلق المسلم بخلق الكرم؛ لأن الله – عز وجل – كريم يحب من عباده الكرماء الذين يفرج الله بهم كرب المحتاجين ويغيث بهم الملهوفين. وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم سمى المسلم بالكريم فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم**"[١]، قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث:" قال العلماء: سبب كراهة ذلك أن لفظة " الكرم" كانت العرب تطلقها على شجر العنب، وعلى العنب، وعلى الخمر المتخذة من العنب، سموها كرما لكونها متخذة منه ؛ولأنها تحمل على الكرم والسخاء، فكره الشرع إطلاق هذه اللفظة على العنب وشجره؛ لأنهم إذا سمعوا اللفظة ربما تذكروا بها الخمر، وهيجت نفوسهم إليها، فوقعوا فيها، أو قاربوا ذلك، وقالوا: إنما يستحق هذا الاسم الرجل المسلم؛ لأن الكرم مشتق من الكرم بفتح الراء، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات: ١٣].

---

(١) صحيح مسلم ، برقم(٤١٧٢).

وفي رواية: " **فإن الكرم قلب المؤمن**" فسمي قلب المؤمن كرما لما فيه من الإيمان والهدى والنور والتقوى والصفات المستحقة لهذا الاسم، وكذلك الرجل المسلم"[١].

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى أن يكرموا الناس عامة وأهل الكرم منهم خاصة، فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه** " [٢].

وخلق الكرم الذي يحبه الله تعالى وينبغي أن يتخلق به المسلم ينبغي أن يكون وسطا بين الإسراف والتبذير، وبين البخل والشح، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "وقد مدح تعالى أهل التوسط بين الطرفين المنحرفين في غير موضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٦]، فمنع ذي القربى والمسكين وابن السبيل حقهم انحراف في جانب الإمساك، والتبذير انحراف في جانب البذل، ورضا الله فيما بينهما"[٣] .

وليكن قدوة المسلم في كرمه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فعن أنس ابن مالك – رضي الله عنه –: أن رجلا سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – غنما

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي ٧/ ٤٢٤، باختصار وتصرف يسير.

(٢) السلسلة الصحيحة، للألباني، برقم (١٢٠٥).

(٣) الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم، صـ٢٢٦.

بين جبلين؟ فأعطاه إياه؛ فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله إن محمدا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر؛ فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها " [1].

٣- ومن مقتضيات الإيمان بهذين الاسمين دعاء الله تعالى بهذين الاسمين، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:" قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال قولي:" **اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني**"[2].

وعن عوف بن مالك – رضي الله عنه – أنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصلي على **ميت** فسمعت من دعائه وهو يقول: **اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله، وأوسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس**" [3].

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: كانت الأنصار يوم الخندق تقول: نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما حيينا أبدا فأجابهم النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال **اللهم لا عيش إلا عيش الآخره فأكرم الأنصار والمهاجره** "[4].

وصح منه موقوفا على ابن مسعود وابن عمر أنهما كانا يدعوان في السعي بين الصفا والمروة قائلين:" **اللهم اغفر وارحم واعف عما تعلم وأنت الأعز الأكرم، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**" [1].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم٤/١٨٠٦(٢٣١٢) .

(2) صحيح سنن ابن ماجة ، برقم(٣٨٥٠)

(3) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة ٢/، برقم ٦٦٢(٩٦٣) .

(4) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب البيعة في الحرب أن لا يفروا ٣/١٠٨١ ، برقم (٢٨٠١) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال:" **اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا**، ثم قال:" **لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ علينا** ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[المؤمنون: ١] **حتى ختم العشر**"(٢).

وهذا الكرم المطلوب من العبد لا يتوقف على الكرم بالمال فقط، وإنما يدخل فيه الكرم بالجاه والكرم بالعلم، والشفاعة الحسنة، وغير ذلك من أنواع الكرم.

٤- ومن مقتضيات الإيمان بهذين الاسمين أن يدرك المسلم أن الإكرام الحقيقي إنما ينال بتقوى الله والإيمان به، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات:١٣] .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه –: " قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: **أتقاهم**، فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: **فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله**، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: **فعن معادن العرب تسألون**؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " (٣).

---

(١) سنن البيهقي، كتاب الحج، باب الخروج إلى الصفا والمروة ٥/٩٥ ، برقم(٩١٣٤).

(٢) مسند أحمد برقم(٢٢٣)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

(٣) البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا ٣/١٢٢٤ (٣١٧٥) .

فالمكرم الحقيقي من أكرمه الله تعالى بالإيمان والتقوى ولو كان فقيرا معدما، والمهان من أهانه الله تعالى بالكفر والعصيان ولو كان غنيا ذا مال وبنين، وصدق الله القائل: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج: ١٨].

٥ـ ومن مقتضيات الإيمان بهذين الاسمين أن يعلم العبد أن إكرام الله له بالنعم إنما هو للابتلاء وهذا يستوجب منه الشكر والطاعة لله تعالى، أن لا يظن العبد أن هذه النعم من الله له دليل على محبة الله له ورضاه عته قال تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ ﴾ [الفجر: ١٥ – ١٩].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " فيلقى العبد فيقول أي فل:"**ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟** فيقول: بلى، قال فيقول:" **أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني**" [1].

وإذا أكرم الله عبدا من عباده ببعض النعم فعلى العبد أن يظهر آثار نعم الكريم عليه؛ فإن ذلك نوع من أنواع شكر الله تعالى على تلك النعم، فعن أبي الأحوص عن أبيه – رضي الله عنه – أنه أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – في ثوب دون فقال:" **ألك مال؟** قال: نعم؟ قال: **من أي المال؟** قال: قد أتاني الله

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق ٤/٢٢٧٩ ، برقم (٢٩٦٨).

من الإبل والغنم والخيل والرقيق، قال: **فإذا أتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته** "[١].

(١) أبو داود في كتاب اللباس، باب في غسل الثوب ٤/٥١ (٤٠٦٣)، مشكاة المصابيح (٤٣٥٢) .

٦٨ـ الحافظ ٦٩. الحفيظ جل جلاله

الحافظ والحفيظ من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذه الاسماء في النقاط التالية:

أولا: المعني اللغوي لهذين الاسمين

قال أهل اللغة:" حفظ الشيء صيانته من التلف والضياع، أو تعاهد الشيء وقلة الغفلة عنه، والحافظ والحفيظ أيضا هو الموكل بالشيء يحفظه، ومنه الحفظة من الملائكة كما في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد:١١]، أي تحفظ الأنفس بأمر الله حتى يأتي أجلها وكذلك الحفظة الذين يحصون الأعمال ويكتبونها على بني آدم، كما قال تعالى:﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ ﴾ [الانفطار: ١٠ – ١٢].

وحفظت الشيء حفظا، أي: حرسته، وحفظته أيضا بمعنى استظهرته، والمحافظة: المراقبة.

الحفظ نقيض النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة، ويستعمل الحفظ في العلم على معنى الضبط وعدم النسيان، ورجل حافظ وقوم حفاظ هم الذين رزقوا حفظ ما سمعوا وقلما ينسون شيئا يعونه.

ويقال حفظ المال والسر حفظا رعاه وصانه، واحتفظ بالشيء لنفسه يعني خصها به والتحفظ قلة الغفلة في الأمور والكلام.

أحفظت الرجل: إذا أغضبته، أحفظه إحفاظا، والحفظة: الحقد والضغينة" [١].

وقد يقول قائل ما الفرق بين اسم الله الحفيظ واسمه الحافظ؟ ، وللإجابة عن هذا التساؤل قال أهل اللغة:" الحفيظ في اللغة مبالغة من اسم الفاعل الحافظ، فعله حفظ يحفظ حفظا، والحفيظ: الحافظ، فعيل بمعنى فاعل"[٢].

وقال الإمام البيهقي:" الحفيظ : هو الحافظ لكل ما أراد حفظه ومن أراد ، وقيل : هو الذي لا ينسى ما علم ، فيرجع معناهما إلى صفة العلم"[٣].

أولا: المعني الاصطلاحي لهذين الاسمين

وردت عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة لهذين الاسمين الكريمين، ومن هذه التعاريف ما ذكره أبو سليمان الداراني، حيث قال:" الحفيظ هو الحافظ، فعيل بمعنى فاعل كالقدير والعليم يحفظ السماوات والأرض وما فيهما لتبقى مدة بقائها فلا تزول ولا تدثر ، قال الله عز وجل﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقال جل وعلا :﴿ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴾ [الصافات: ٧].

وهو الذي يحفظ عباده من المهالك والمعاطب ويقيهم مصارع الشر وقال الله عز وجل : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾[الرعد: ١١] أي بأمره.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٧/٤٤١، والمفردات، للراغب الأصفهاني، صـ٢٤٤، الصِّحَاحِ في اللغة، للجوهري ٣/١١٧٢، اشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي، صـ ١٤٦.

(٢) لسان العرب، لابن منظور ٧/٤٤١، ١٤٦ اشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي، صـ ١٤٦.

(٣) الاعتقاد، للبيهقي، صـ ٢١.

ويحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، ويعلم نياتهم وما تكن صدورهم ، فلا تغيب عنه غائبة ، ولا تخفى عليه خافية.

ويحفظ أولياءه فيعصمهم عن مواقعة الذنوب، ويحرسهم من مكائد الشيطان، ليسلموا من شره وفتنته"[1].

وقال الإمام الغزالي:" الحفيظ هو الحافظ جدا، ولن يفهم ذلك إلا بعد فهم معنى الحفظ، وهو على وجهين **أحدهما:** إدامة وجود الموجودات وإبقاؤها ويضاده الإعدام والله تعالى هو الحافظ للسموات والأرض والملائكة والموجودات التي يطول أمد بقائها والتي لا يطول أمد بقائها مثل الحيوانات والنبات وغيرهم

والوجه الثاني: وهو أظهر المعنيين أن الحفظ صيانة المتعاديات والمتضادات بعضها عن بعض وأعني بهذا التعادي ما بين الماء والنار فإنهما يتعاديان بطباعهما فإما أن يطفئ الماء النار وإما أن تحيل النار الماء إن غلبت الماء بخارا ثم هواء.

وقد جمع الله عز وجل بين هذه المتضادات المتنازعة في إهاب الإنسان وبدن الحيوانات والنبات وسائر المركبات ولولا حفظه تعالى إياها لتنافرت وتباعدت وبطل امتزاجها واضمحل تركيبها وبطل المعنى الذي صارت مستعدة لقبوله بالتركيب والمزاج، وحفظ الله تعالى إياها بتعديل قواها مرة وبإمداد المغلوب منها ثانيا"[2].

---

(١) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ١٢٧.

(٢) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١٤٤، باختصار وتصرف.

ثالثاً: ورود هذين الاسمين في القرآن والسنة

ورد اسمه سبحانه "**الحافظ**" في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى، وهذه الموضع هي قوله تعالى ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" أي: قال يعقوب عليه السلام لأبنائه:﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ أي: تقدم منكم التزام، أكثر من هذا في حفظ يوسف، ومع هذا لم تفوا بما عقدتم من التأكيد، فلا أثق بالتزامكم وحفظكم، وإنما أثق بالله تعالى.

﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ أي: يعلم حالي، وأرجو أن يرحمني، فيحفظه ويرده علي، وكأنه في هذا الكلام قد لان لإرساله معهم"(١).

ومن المواضع التي ورد فيها اسم الله الحافظ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" أي: نحن نزلنا ذلك الذكر الذي أنكروه، ونسبوك بسببه إلى الجنون ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ عن كل ما لا يليق به من تصحيف وتحريف وزيادة ونقص ونحو ذلك.

---

(١) تفسير السعدي، صـ ٤٠١.

وفيه وعيد شديد للمكذبين به، المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل: الضمير في ﴿ لَهُۥ ﴾ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأول أولى بالمقام"(١) .

ومن المواضع التي ورد فيها اسم الله الحافظ قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٢]، قال الامام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ذكره: وسخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر، ويعملون عملا دون ذلك من البنيان والتماثيل والمحاريب ﴿ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴾، يقول: وكنا لأعمالهم ولأعدادهم حافظين، لا يئودنا حفظ ذلك كله."(٢).

أما اسم الله **الحفيظ** فقد ورد في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع أيضا، وهذه المواضع هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾ [هود: ٥٧]، قال سيد قطب في تفسيره لهذه الآية:" تفسير سيد قطب:" أي: يحفظ دينه وأولياءه وسننه من الأذى والضياع ، ويقوم عليكم فلا تفلتون ولا تعجزونه هرباً، وكانت هي الكلمة الفاصلة. وانتهى الجدل والكلام، ليحق الوعيد والإنذار"(٣) .

ومن المواضع التي ورد فيها اسم الله الحفيظ قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾ [سبأ: ٢١]، قال الإمام ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية:" الحفيظ

(١) تفسير الشوكاني ٤/ ١٦٦.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٤٨٢.

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٤/ ٢٤١.

الذي يحفظ عباده من المَهالك، ويحفظ عليهم أعمالهم، ويعلم نيَّاتِهم، ويحفظ أولياءه عن مواقعة الذُّنوب، ويحرسُهم من مكايد الشيطان، والحفيظ الذي يحفظ السماوات والأرض بما فيها لتبقى مدَّة بقائها، "[1].

ومن المواضع التي ورد فيها اسم الله الحفيظ قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴾ [الشورى: ٦]، قال الشيخ المراغي في تفسيره لهذه الآية:" أي: والمشركون الذين اتخذوا آلهة من الأصنام والأوثان يعبدونها- الله هو المراقب لأعمالهم، المحصي لأفعالهم وأقوالهم، المجازي لهم يوم القيامة على ما كانوا يفعلون، ولست أنت أيها الرسول بالحفيظ عليهم، إنما أنت نذير تبلغهم ما أرسلت به إليهم، إن عليك إلا البلاغ وعلينا الحساب، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فإنك لست بمدرك ما تريد من هدايتهم إلا إذا شاء ربك"[2].

رابعاً: الآثار الايمانية لهذين الاسمين

لاسمي الله **الخالف والخلاق** آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على العبد، وهذه الآثار سوف نتناولها فيما يلي:

١ـ من الآثار الإيمانية لاسمي الله الحافظ والحفيظ محبة الله تعالى؛ لأنه هو الخالق لنا والموجد لأسباب وجودنا وحفظنا على هذه الحياة، فالإنسان معرض لأسباب الهلاك والفناء الداخلية والخارجية، لولا حفظ الله تعالى له، فلو خلي بين الناس وبين هذه المهلكات؛ لهلكوا جميعا، لكن الله حفظهم، وصدق الله القائل:

---

(١) تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٦٢، باختصار وتصرف.

(٢) تفسير المراغي ٢٥/ ١٦.

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١] وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]، قال الامام الغزالي وهو يتحدث عن حفظ الله لعباده فقال:" الإنسان معرض للهلاك من أسباب خارجة كسباع ضارية وأعداء متنازعة فحفظه من ذلك بما خلق له من الجواسيس المنذرة بقرب العدو وهي طلائعه كالعين والأذن وغيرهما ثم خلق له اليد الباطشة والأسلحة الدافعة كالدرع والترس والقاضية كالسيف والسكين ثم ربما يعجز مع ذلك عن الدفع فأمده بآلة الهرب وهي الرجل للحيوان الماشي والجناح للطائر.

وكذلك شمل حفظه جلت قدرته كل ذرة في ملكوت السموات والأرض حتى الحشيش الذي ينبت في الأرض يحفظ لبابه بالقشر الصلب وطراوته بالرطوبة وما لا يحفظ بمجرد القشر يحفظه بالشوك النابت منه ليندفع به بعض الحيوانات المتلفة له فالشوك سلاح النبات كالقرون والمخالب والأنياب للحيوانات بل كل قطرة من ماء فمعها ملك حافظ يحفظها عن الهواء المضاد لها فإن الماء إذا جعل في إناء وترك مدة استحال هواء وسلب الهواء المضاد له صفة المائية عنه ولو غمست الإصبع في ماء ورفعتها ونكستها تدلت منها قطرة ماء تبقى منكسة لا تنفصل مع أن من شأنها الهوي إلى أسفل ولكنها لو انفصلت وهي صغيرة استولى الهواء عليها وأحالها ولا تزال تمكث متدلية حتى يجتمع إليها بقية البلل فتكبر القطرة فتستجري على خرق الهواء بسرعة ولا يستولي الهواء على إحالتها وليس ذلك حفظا منها لنفسها عن معرفة بضعفها وقوة

ضدها وحاجة استمدادها من بقية البلل وإنما ذلك حفظ من ملك موكل بها بواسطة معنى متمكن من ذاتها.

وقد ورد في الخبر أنه لا تنزل قطرة من المطر إلا ومعها ملك يحفظها إلى أن تصل إلى مستقرها من الأرض؛ وذلك حق والمشاهدة الباطنة لأرباب البصائر قد دلت عليه وأرشدت إليه فآمنوا بالخبر لا عن تقليد بل عن بصيرة"(١).

٢- **ومن** الآثار الإيمانية لاسمي الله الحافظ والحفيظ تعظيم الخلق الله تعالى؛ وذلك من خلال معرفة نوعي حفظ الله تعالى لخلقه، قال الشيخ السعدي:" حفظ لخلقه نوعان عام وخاص: فالعام حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايته، وإلى مصالحها بإرشاده، وهدايته العامة التي قال عنها: ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[طه: ٥٠]، أي: هدى كل مخلوق إلى ما قدر له وقضى له من ضروراته وحاجاته، كالهداية للمأكل، والمشرب، والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، وكدفعه عنهم أصناف المكاره، والمضار، وهذا يشترك فيه البر، والفاجر، بل الحيوانات، وغيرها، فهو الذي يحفظ السماوات، والأرض أن تزولا، ويحفظ الخلائق بنعمه، وقد وكل بالآدمي حفظة من الملائكة الكرام يحفظونه من أمر الله، أي: يدفعون عنه كل ما يضره مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله

والنوع الثاني: حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه، والفتن، والشهوات فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم عليهم

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٤٨.

ويدفع عنهم كيدهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، وهذا عام في دفع جميع ما يضرهم في دينهم ودنياهم فعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه، وفي الحديث: "احفظ الله يحفظك"[١]،أي: احفظ أوامره بالامتثال ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها، يحفظك في نفسك ودينك ومالك وولدك، وفي جميع ما آتاك الله من فضله"[٢].

٣- ومن الآثار الإيمانية لاسمي الله الحافظ والحفيظ أن يراقب العبد ربه في كل أقواله وأفعاله؛ لأن الله تعالى قد جعل على الخلق حفظة من الملائكة يحصون عليه أعمالهم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾[الانفطار: ١٠ – ١٢] ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "المراقبة: هي التعبد باسمه الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة"[٣].

وقال الشيخ السعدي:" الله قد حفظ على عباده ما عملوه من خير، وشر، وطاعة، ومعصية، فإن علمه محيط بجميع أعمالهم ظاهرها، وباطنها وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ووكل بالعباد ملائكة كراما كاتبين يعلمون ما يفعلون، فهذا المعنى من حفظه يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد، كلها ظاهرها، وباطنها، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي في أيدي الملائكة،

---

(١) سنن الترمذي، برقم(٢٥١٦)، وقال عنه الترمذي: حسن صحيح.

(٢) توضيح الكافية الشافية ضـ ١٢٢، والحق الواضح المبين صـ ٥٩ ، وكلاهما للسعدي.

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/٦٩.

وعلمه بمقاديرها، وكمالها، ونقصها، ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ثم مجازاته عليها بفضله، وعدله"[١].

٤ـ ومن الآثار الإيمانية لاسمي الله الحافظ والحفيظ تعظيم الخلق الله تعالى أن يأخذ العبد حظه من هذين الاسمين، فيحافظ على أوامر الله تعالى وطاعته؛ حتى يحفظه الله تعالى في دنياه وأخراه، فعن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال:" **يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك ،احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**"[٢].

وقد بين الله تعالى في كتابه الكريم أن من أسباب دخول أهل الجنة أنهم حفظوا أوامر الله تعالى في الدنيا وخشوه بالغيب فاستحقوا دخول الجنة، قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[ق: ٣١ - ٣٥]، قال الامام الغزالي:" الحفيظ من العباد من يحفظ جوارحه وقلبه ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وخلابة الشهوة وخداع النفس

(١) توضيح الكافية الشافية صـ ١٢٢، والحق الواضح المبين صـ ٥٩.

(٢) سبق تخريجه قبل قليل.

وغرور الشيطان فإنه على شفا جرف هار وقد اكتنفته هذه المهلكات المفضية إلى البوار"[١].

٥- ومن الآثار الإيمانية لاسمي الله الحافظ والحفيظ تعظيم الخلق الله تعالى دعاء العبد ربه بهذين الاسمين، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، فعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يدعو:" **اللهم احفظني بالإسلام قائما، واحفظني بالإسلام قاعدا واحفظني بالإسلام راقدا، ولا تشمت بي عدوا حاسدا، اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك** " [٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح:" **اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة:" اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**" [٣].

وعند البخاري من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي قال: " **إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه**

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٥٠.

(٢) صحيح الجامع، للألباني، برقم (١٢٦٠) .

(٣) صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، برقم (٦٥٩).

ثم يقول: باسمك رب وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين" [١].

وعن أبي قتادة – رضي الله عنه – أنه قال:" خطبنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: "**إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء إن شاء الله غدا**"، فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد، قال أبو قتادة: فبينما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسير حتى ابهار الليل وأنا إلى جنبه قال: فنعس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فمال عن راحلته، فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه، حتى اعتدل على راحلته قال: ثم سار حتى تهور الليل مال عن راحلته، قال: فدعمته من غير أن أوقظه، حتى اعتدل على راحلته، قال: ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الأوليين، حتى كاد ينجفل، فأتيته فدعمته، فرفع رأسه، فقال: **من هذا**؟، قلت: أبو قتادة، قال: متى كان هذا مسيرك مني؟ قلت: ما زال هذا مسيري منذ الليلة، قال:" **حفظك الله بما حفظت به نبيه**"[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها ٦/٢٦٩١ ، برقم(٦٩٥٨) .

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة ٤٧٣/١ ، برقم(٦٨١) ومعنى "جامين" مستجمين مستريحين .

٧٠ـ الوكيل ٧١. الكفيل جل جلاله

الوكيل والكفيل من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عننهما في النقاط التالية:

أولا: معناهما اللغوي

قال أهل اللغة:" وكل بالله وتوكل عليه واتكل: استسلم له، يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، والوكيل فعيل من قولك: وكلت أمري إلى فلان وتوكل به أي: جعلته يليه دوني وينظر فيه، ووكل فلان فلانا: إذ استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه، ووكل إليه الأمر: سلمه، ووكله إلى رأيه وكلا ووكولا: تركه.

وحقيقة الوكيل أنه يستقل بأمر الموكول إليه، يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلانا إذا استكفاه أمره، إما ثقة بكفايته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه، ووكيلك في كذا إذا سلمته الأمر وتركته له وفوضته إليه واكتفيت به [١]".

وقال الراغب في المفردات:" التوكيل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبا عنك، والوكيل: فعيل بمعنى المفعول"[٢] .

(١) لسان العرب، لابن منظور ٦/٤٩٠٩، وكتاب العين، للفراهيدي ٥/ ٤٠٥، واشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ١٣٦، والمفردات، للأصفهاني، صـ ٨٨٢ .

(٢) المفردات ص ٥٣١، ٥٣٢.

اما اسم الكفيل، فهو بمعنى اسمه الوكيل، إلا ان اسم الله الوكيل أعم من اسمه الكفيل، قال الراغب الأصفهاني: "وربما فسر الوكيل بالكفيل، والوكيل أعم؛ لأن كل كفيل وكيل وليس كل وكيل كفيلا"[١].

ثانيا: معناهما الاصطلاحي

اسم الله **الوكيل** وردت له عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومن ذلك ما قاله الحليمي حيث قال:" الوكيل هو الموكول والمفوض إليه، علما بأن الخلق والأمر له لا يملك أحد من دونه شيئا، وقيل: الوكيل: هو الكافي وهو الذي يستقل بالأمر الموكول إليه ، وقيل: هو الكفيل بالرزق والقيام على الخلق بما يصلحهم [٢]

وقال الراغب في المفردات:" التوكيل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبا عنك، والوكيل: فعيل بمعنى المفعول"[٣] .

وقال الجوهري: "والتوكل إظهار العجز والاعتماد على غيرك والاسم التكلان"[٤].

قال الإمام الشوكاني في تفسيره لقوله تعالى:﴿ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [يوسف:٦٦] أي : قال يعقوب: الله على ما قلناه من طلبي الموثق منكم وإعطائكم لي ما طلبته منكم مطلع رقيب لا يخفى عليه منه خافية، فهو

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ ٥٣١.
(٢) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ١٥٧، الاعتقاد، للبيهقي صـ٢١.
(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ ٥٣١.
(٤) الصِّحَاحِ في اللغة، للجوهري ٥/١٨٤٤.

المعاقب لمن خاس في عهده ، وفجر في الحلف به، أو موكول إليه القيام بما شهد عليه منا"[1].

وقال الشيخ السعد:" **الوكيل** المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي يتولى أولياءه فيسرهم لليسرى وجنبهم العسرى وكفاهم الأمور "[2].

وقال ابن الأعرابي:" الكفيل: هو الكافل الذي كفل إنسانا يعوله وينفق عليه"[3].

وقد ذكر الإمام الغزالي فروقا بين وكالة الله عز وجل ووكالة المخلوق فقال:

"الوكيل: هو الموكول إليه الأمور، لكن الموكول إليه ينقسم إلى:

١- من وكل إليه بعض الأمور وذلك ناقص.

٢- وإلى من وكل إليه الكل وليس ذلك إلا الله تعالى.

والموكول إليه ينقسم إلى:

١- من يستحق أن يكون موكولا إليه لا بذاته ولكن بالتوكيل والتفويض، وهذا ناقص لأنه فقير إلى التفويض والتولية.

٢- وإلى من يستحق بذاته أن تكون الأمور موكولة إليه، والقلوب متوكلة عليه، لا بتولية وتفويض من جهة غيره، وذلك هو الوكيل المطلق.

والوكيل أيضا ينقسم إلى:

١- من يفي بما يوكل إليه وفاء تاما من غير قصور.

٢- وإلى من لا يفي بالجميع.

---

(١) تفسير الشوكاني ٤/ ٥٠.

(٢) تفسير السعدي صـ ٩٤٧ .

(٣) اللسان العرب، لابن منظور، ٥/٣٩٠٦.

والوكيل المطلق هو الذي توكل إليه الأمور، وهو ملي بالقيام بها وفي بإتمامها، وذلك هو الله تعالى فقط. وقد فهمت من هذا المقدار مدخل العبد في هذا الاسم[١].

ثالثا: ورودهما في القرآن والسنة

ورد اسمه سبحانه "الوكيل" في القرآن الكريم في عدة مواضع، ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من "أحد" إلى المدينة، وسمع أن أبا سفيان ومن معه من المشركين قد هموا بالرجوع إلى المدينة، ندب أصحابه إلى الخروج، فخرجوا على ما بهم من الجراح استجابة لله ولرسوله، وطاعة لله ولرسوله، فوصلوا إلى "حمراء الأسد" وجاءهم من جاءهم وقال لهم: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ وهموا باستئصالكم، تخويفا لهم وترهيبا، فلم يزدهم ذلك إلا إيمانا بالله واتكالا عليه، ﴿ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ ﴾ أي: كافينا كل ما أهمنا ﴿ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ المفوض إليه تدبير عباده، والقائم بمصالحهم.

﴿ فَٱنقَلَبُواْ ﴾ أي: رجعوا ﴿ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ﴾، وجاء الخبر المشركين أن الرسول وأصحابه قد خرجوا إليكم، وندم من تخلف منهم، فألقى الله

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٨١.

الرعب في قلوبهم، واستمروا راجعين إلى مكة، ورجع المؤمنون بنعمة من الله وفضل، حيث من عليهم بالتوفيق للخروج بهذه الحالة والاتكال على ربهم، ثم إنه قد كتب لهم أجر غزاة تامة، فبسبب توكلهم على ربهم، وتقواهم له، كتيب لهم أجرا عظيما، وهذا فضل الله عليهم"[١].

وقد جاء في السيرة النبوية بيان للحالة التي كان عليها المسلمون أثناء خروجهم لملاقات عدوهم بعد غزوة أحد، قال ابن إسحاق:" فحدثني عبدالله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان: أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من بني عبد الأشهل كان شهد أحدا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم أنا وأخ لي فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه و سلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي أو قال لي : أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم وكنت أيسر جرحا فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون"[٢]

فالتوكل على الله تعالى سمة المؤمنين الصادقين في أوقات الأزمات والملمات، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال:" حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم –

(١) تفسير السعدي، صـ ١٥٧، باختصار.
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام ٤/ ٥٢.

عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد حين قالوا: ﴿ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [1].

ومن الآيات التي جاء فيها ذكر اسم الله الوكيل، قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، قال سيد قطب:" لم يكن العرب في جاهليتهم ينكرون أن الله هو خالق هذا الكون، وخالق الناس، ورازقهم كذلك من ملكه، الذي ليس وراءه ملك تقتات منه العباد، لذلك لم يكن الإسلام يواجه في الجاهلية العربية إلا الانحراف في التوجه بالشعائر التعبدية لآلهة مع الله على سبيل الزلفى والقربى من الله! – وإلا الانحراف في تلقي الشرائع والتقاليد التي تحكم حياة الناس.

إن تفرد الله سبحانه بالخلق ، وتفرده سبحانه بالملك، والمتفرد بالخلق والملك يتفرد كذلك بالتوكل والرزق، فهو خالق خلقه ومالكهم، فهو كذلك يرزقهم من ملكه الذي ليس لأحد شرك فيه . فكل ما يقتاته الخلق وكل ما يستمتعون به فإنما هو من هذا الملك الخالص لله ، فإذا تقررت هذه الحقائق، الخلق والملك والرزق، تقرر معها ضرورة وحتما أن تكون الربوبية له سبحانه، فتكون له وحده خصائص الربوبية وهي القوامة والتوجيه والسلطان الذي يخضع له ويطاع ، والنظام الذي يتجمع عليه العباد وتكون له وحده العبادة بكل مدلولاتها، ومنها الطاعة والخضوع والاستسلام.."[2].

([1]) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الآية ٤/١٦٦٢ ، برقم (٤٢٨٧) .

([2]) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣/ ١١٣، باختصار وتصرف.

ومن الآيات التي جاء فيها ذكر اسم الله الوكيل، قوله تعال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [هود: ١٢]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فلعلك يا محمد ، تارك بعض ما يوحي إليك ربك أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك، وضائق بما يوحى إليك صدرك فلا تبلغه إياهم، مخافة ﴿ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [هود: ١٢]، له مصدق بأنه لله رسول، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾، فبلغهم ما أوحيته إليك، فإنك إنما أنت نذير تنذرهم عقابي، وتحذرهم بأسي على كفرهم بي، وإنما الآيات التي يسألونكها عندي وفي سلطاني، أنزلها إذا شئت، وليس عليك، إلا البلاغ والإنذار ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي: والله القيم بكل شيء وبيده تدبيره، فانفذ لما أمرتك به، ولا تمنعك مسألتهم إياك الآيات، من تبليغهم وحيي والنفوذ لأمري:[1].

ومن الآيات التي جاء فيها ذكر اسم الله الوكيل، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٥]، قال سيد قطب في ظلاله:" متى اتصل القلب بالله ، واتجه إليه بالعبادة . متى ارتبط بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها . متى ايقظ في روحه النفخة العلوية فأشرقت وأنارت، فلا سلطان حينئذ للشيطان على ذلك القلب الموصول بالله ، وهذا الروح المشرق بنور الإيمان، ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ يعصم وينصر ويبطل كيد الشيطان .

(١) تفسير الطبري ١٥/ ٢٥٨.

وانطلق الشيطان ينفذ وعيده، ويستذل عبيده، ولكنه لا يجرؤ على عباد الرحمن، فما له عليهم من سلطان، ذلك ما يبيته للناس من شر واذى؛ ثم يوجد في الناس من يتبعون هذا الشيطان ، ويستمعون إليه ، ويعرضون عن نداء الله لهم وهدايته"[١].

ومن الآيات التي جاء فيها ذكر اسم الله الوكيل، قوله تعالى: وقال تعالى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص: ٢٨]، قال ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية:" أي: قال له موسى ذلك الذي وصفت وشرطت علي فلك وما شرطت لي من تزويج إحداهما فلي، فالأمر كذلك بيننا، وتم الكلام هاهنا، ثم قال ﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ ﴾ يعني: الثماني أو العشر، ﴿ قَضَيْتُ ﴾ أي: أتممت ﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ﴾ أي: لا سبيل علي؛ والمعنى: لا تعتد علي بأن تلزمني أكثر منه ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ قال الزجاج: أي: والله شاهدنا على ما عقد بعضنا على بعض"[٢].

ومن الآيات التي جاء فيها ذكر اسم الله الوكيل قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٣][٣] ، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" فإن وقع في قلبك، أنك إن لم تطع الكافرين والمنافقين في أهوائهم المضلة، حصل عليك منهم ضرر، أو حصل نقص في هداية الخلق، فادفع

([١]) في ظلال القرآن، لسيد قطب٥/ ٣٣.

([٢]) تفسير ابن الجوزي، ٥/ ٤٦.

([٣]) وقد وردت هذه الآية في موطنين آخرين في سورة النساء: ٨١ ، وفي سورة الأحزاب:٤٨ .

ذلك عن نفسك، واستعمل ما يقاومه ويقاوم غيره، وهو التوكل على الله، بأن تعتمد على ربك، اعتماد من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة، ولا نشورا، في سلامتك من شرهم، وفي إقامة الدين، الذي أمرت به، وثق بالله في حصول ذلك الأمر على أي: حال كان.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ توكل إليه الأمور، فيقوم بها، وبما هو أصلح للعبد، وذلك لعلمه بمصالح عبده، من حيث لا يعلم العبد، وقدرته على إيصالها إليه، من حيث لا يقدر عليها العبد، وأنه أرحم بعبده من نفسه، ومن والديه، وأرأف به من كل أحد، خصوصا خواص عبيده، الذين لم يزل يربيهم ببره، ويدر عليهم بركاته الظاهرة والباطنة، خصوصا وقد أمره بإلقاء أموره إليه، ووعده، فهناك لا تسأل عن كل أمر يتيسر، وصعب يسهل، وخطوب تهون، وكروب تزول، وأحوال وحوائج تقضى، وبركات تنزل، ونقم تدفع، وشرور ترفع.

وهناك ترى العبد الضعيف، الذي فوض أمره لسيده، قد قام بأمور لا تقوم بها أمة من الناس، وقد سهل الله عليه ما كان يصعب على فحول الرجال وبالله المستعان"[١]. ومن الآيات التي جاء فيها ذكر اسم الله الوكيل، قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الزمر: ٦٢]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" أي: الله الذي له الألوهة من كل خلقه الذي لا تصلح العبادة إلا له، خالق كل شيء، لا ما لا يقدر على خلق شيء، وهو على كل شيء وكيل، أي: وهو على كل شيء قيم بالحفظ والكلاءة"[٢].

---

(١) تفسير السعدي صـ ٦٥٧ .

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٣٢٠.

أما اسم الله "**الكفيل**" فقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة فقط، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النحل: ٩١، ٩٢]، قال سيد قطب عند هذه الآية:" الوفاء بعهد الله يشمل بيعة المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم ويشمل كل عهد على معروف يأمر به الله والوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس، وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع ، ولا تقوم إنسانية .

والنص يخجل المتعاهدين أن ينقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله كفيلا عليهم ، وأشهدوه عهدهم ، وجعلوه كافلا للوفاء بها، ثم يهددهم خفيا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ ، وقد تشدد الإسلام في مسألة الوفاء بالعهود فلم يتسامح فيها أبدا؛ لأنها قاعدة الثقة التي ينفرط بدونها عقد الجماعة ويتهدم.

والنصوص القرآنية هنا لا تقف عند حد الأمر بالوفاء والنهي عن النقض إنما تستطرد لضرب الأمثال، وتقبيح نكث العهد، ونفي الأسباب التي قد يتخذها بعضهم مبررات: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾، فمثل من ينقض العهد مثل امرأة حمقاء ملتاثة ضعيفة العزم والرأي، تفتل غزلها ثم تنقضه وتتركه مرة أخرى

قطعا منكوثة ومحلولة وكل جزئية من جزيئات التشبيه تشي بالتحقير والترذيل والتعجب، وتشوه الأمر في النفوس وتقبحه في القلوب، وهو المقصود، وما يرضى إنسان كريم لنفسه أن يكون مثله كمثل هذه المرأة الضعيفة الإرادة الملتاثة العقل ، التي تقضي حياتها فيما لا غناء فيه"[1].

وقد ورد واسم الله **الوكيل** في السنة النبوية بعدة معاني، فقد يأتي بمعنى الاعتماد على الغير والركون إليه ومنه ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق:٣] .

وقد يأتي بمعنى تولي الإشراف على الشيء ومراقبته وتعهده ومنه حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **من توكل لي ما بين رجليه وما بين لحييه توكلت له بالجنة**" [2].

وربما يفسر الوكيل بالكفيل، والوكيل أعم؛ لأن كل كفيل وكيل وليس كل وكيل كفيلا، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**" [3].

أما اسم الله الكفيل فقد ورد في السنة النبوية الحديث الصحيح في قصة الإسرائيلي الذي قال: "**كفى بالله كفيلا**" وسيأتي ذكره بتمامه فيما سيأتي.

([1]) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٤/ ٤٨٤.

([2]) صحيح البخاري، كتاب المحاربين، باب فضل من ترك الفواحش ٦/٢٤٩٧ ، برقم (٦٤٢٢) .

([3]) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله ٤/٥٧٣ ، برقم(٢٣٤٤)، وهو في صحيح، ابن ماجة (٤١٦٤).

رابعا: الآثار الإيمانية لهذين الاسمين

لهذين الاسمين الكريمين آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١- من مقتضيات الإيمان بهذين الاسمين الكريمين، صدق التوكل على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، وهذا التوكل لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب المشروعة؛ لأن الله عز وجل أمر بالأخذ بها، والله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها، وهذا يقتضي عدم التعلق بالأسباب بعد فعلها؛ وذلك أن تأثير الأسباب يعود إلى الله تعالى وحده، وهو الذي إن شاء نفع بها، وإن شاء أبطلها.

ومن جميل ما ورد في هذا المقام قصة رجل صالح من بني إسرائيل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: "عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل **سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدا، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت، فدفعها إليه على أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبا، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانا بألف دينار فسألني كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدا فقلت: كفي بالله شهيدا، فرضي بذلك. وإني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر**

حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال: والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدا"[١].

وأعظم من توكل على الله تعالى هم أنبياء الله ورسله، وعلى رأسهم خليل الله إبراهيم عليه السلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا:﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] [٢].

وأعظم من توكل على الله تعالى بعد أنبياء الله ورسله أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر الله تعالى حال توكلهم عليه في غزوة أحد: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٢].

([١]) صحيح البخاري، برقم (٢٢٩١).

([٢]) صحيح البخاري، برقم (٤٥٦٣).

وقال عز وجل عن توكلهم عليه يوم في غزوة الأحزاب: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

٢ـ أن يوقن العبد أن الله تعالى إذا توكل بشيء حفظه، الألباني من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **توكل الله عز وجل بحفظ امرئ خرج في سبيل الله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيل الله وتصديق بكلمات الله حتى يوجب له الجنة أو يرجعه إلى بيته أو من حيث خرج** " [1].

وعن ابن حوالة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده؛ فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله** " [2].

٣ـ دعاء الله بهذين الاسمين الكريمين، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ

---

(1) مسند أحمد، برقم(٩١٦٣) ، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو صحيح الجامع حديث، برقم (٥٨٥١) .

(2) مسند أحمد، برقم(١٧٠٤٦)، قال شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح بطرقه وهذا إسناد ضعيف، لضعف بقية ابن الوليد فهو يدلس ويسوي وقد عنعن، وبقية رجاله ثقات، وهو في صحيح الجامع ، برقم(٣٦٥٩) .

﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩]

وقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩]، وقوله سبحانه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك:٢٩].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوكل على الله تعالى في سائر أحواله، في صباحه وفي مسائه، وعند دخوله من منزله وعند خروجه، وعند نومه وعند قيامه في صلاة الليل، وكان يوصي أصحابه بذلك، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا خرج الرجل من بيته فقال:" **بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له حسبك هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان**"[١]

وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال:" **اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالهن ثم مات تحت ليلته مات على الفطرة**"[٢].

(١) صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، برقم(١٦٠٥).

(٢) صحيح البخاري، برقم(٥٨٤٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال:" **اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك**"(١).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت**" (٢).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة: " **ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث وأصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدا** " (٣).

---

(١) صحيح البخاري، برقم(١٠٥٣).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٣٢٤/٤ ، برقم(٥٠٩٠)، وهو في صحيح الجامع، برقم (٣٣٨٨) .

(٣) مستدرك الحاكم ٧٣٠/١ ، برقم(٢٠٠٠)، وهو في السلسلة الصحيحة، للألباني، برقم (٢٢٧) .

عن علي رضي الله عنه أن مكاتبا جاءه فقال إني عجزت عن مكاتبتي فأعني فقال ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان عليك مثل جبل صبير دينا أداه الله عنك قل:" **اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك**"(١).

وجاء رجل إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال : يا أبا الدرداء قد احترق بيتك، قال : ما احترق، الله عز وجل لم يكن ليفعل ذلك؛ لكلمات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، من قالهن من أول نهاره، لم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالها آخر النهار، لم تصبه مصيبة حتى يصبح: **اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت ، وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم**"(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" **بينما امرأة ترضع ابنها إذ مر بها راكب وهي ترضعه، فقالت اللهم لا تمت ابني حتى يكون مثل هذا فقال اللهم لا تجعلني مثله، ثم رجع في الثدي، ومر بامرأة تجرر ويلعب بها، فقالت اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقال: اللهم اجعلني**

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب، برقم(١٨٢٠).

(٢) كتاب الدعاء لأبي القاسم الطبراني، (١/ ١١١)، برقم(١٢٩) وهو في السلسلة الضعيفة، للألباني، برقم(٦٤٢٠).

مثلها فقال: أما الراكب فإنه كافر، وأما المرأة فإنهم يقولون لها تزني، وتقول حسبي الله، ويقولون تسرق، وتقول حسبي الله ونعم الوكيل" [١].

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ٣/١٢٧٩ ، برقم(٣٢٧٩) .

٧٢. النصير ٧٣. خير الناصرين جل جلاله

النصير وخير الناصرين، من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذه الاسماء في النقاط التالية:

أولا: المعني اللغوي لهذين الاسمين

قال أهل اللغة :"النصر والنصرة: والتناصر: التعاون على النصر، وتناصر القوم نصر بعضهم بعضا.

والنصير من صيغ المبالغة، فعيل بمعنى فاعل أو مفعول؛ لأن كل واحد من المتناصرين ناصر ومنصور، و نصره ينصره نصرا إذا أعانه على عدوه، واستنصره على عدوه سأله أن ينصره عليه، وانتصر منه انتقم منه[١].

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما؟ قال: تأخذ فوق يديه " [٢].

ثانيا: المعني الاصطلاحي لهذين الاسمين

وردت عدت تعريفات اصطلاحية لهذين الاسمين، ومن ذلك ما ذكره، الإمام ابن القيم، حيث قال:" **النصير**: هو الذي يؤيد بنصره من يشاء ولا غالب لمن نصره ولا ناصر لمن خذله، كما قال – عز وجل –: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [آل

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ٥/ ٢١٢، الصحاح في اللغة، للجوهري ٢/٨٢٩، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ ٤٩٥.

(٢) صحيح البخاري في المظالم، باب يمين الرجل لصاحبه ٦/٢٥٥٠ ، برقم(٦٥٥٢) .

عمران:١٦٠]، فهو سبحانه حسب من توكل عليه وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف ويجبر المستجير وهو نعم المولى ونعم النصير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه تولاه وحفظه وحرسه وصانه، ومن خافه واتقاه آمنه مما يخاف ويحذر، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع [١].

قال الحليمي وهو الميسر للغلبة، وهو في خبر الأسامي"[٢].

وقال ابن جرير "**خير الناصرين**" أي: ناصركم ومولاكم فاعتصموا به، واستنصروا به دون غيره ممن يبغيكم الغوائل ويرصدكم بالمكاره"[٣].

وقال الشيخ السعدي:" ينصرهم على أعدائهم، ويبين لهم ما يحذرون منهم ويعينهم عليهم، فولايته تعالى، فيها حصول الخير، ونصره، فيه زوال الشر"[٤].

ثالثاً: ورود هذين الاسمين في القرآن والسنة

اسم الله النصير ورد في القرآن الكريم في أربعة مواضع ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٤٥]، قال الشيخ الشعراوي في تفسيره لهذه الآية:" قد يكون عندكم علم بالأعداء فيقال: أنتم عالمون بأعدائكم، لكن الله أعلم بالأعداء جميعا؛ لأنه قد يكون لك عداوة بينك وبين نفسك، أو عداوة من زوجتك، أو عداوة من أولادك أو كل هذه العدوات جميعها أو بعضها، وهؤلاء في ظاهر الأمر لا يمكن للإنسان أن يتبين

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم ٢/ ٤٦٣ بتصرف .

(٢) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ١٢٧.

(٣) تفسير الطبري ٣/٨٠، باختصار، وتصرف يسير.

(٤) تفسير السعدي ١/٤٥٣.

عداوتهم جميعا، لكن الله أعلم بهم وبما يخفون؛ لذلك قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ ﴾، وما دام الله هو الأعلم بالأعداء، فهو لن يخدعنا ولن يغشنا، فيجب أن ننتبه إلى ما يقوله الحق من أنهم أعداؤنا.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا ﴾ ، نعم كفى به وليّاً؛ لأن غيره من البشر إنما يملكون الأسباب، والحق سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأسباب، فيملك ما هو فوق الأسباب، و" **الولي** " دائماً هو من يليك مباشرة أي أنه قريب منك .

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ إذن فهناك ولي، وهناك أيضاً نصير، فقد يكون هناك من هو ولي منك ولا ينصرك، لكن الله وليّ ونصير.

فما دامت المسألة مسألة معركة فإياكم أن تقولوا: إننا نلتمس النصرة عند أحد، اصنعوا ما في استطاعتكم أن تصنعوه ثم اتركوا ما فوق الاستطاعة إلى الله، ولذلك فالحق سبحانه وتعالى أوضح لنا: إياكم أن تتخذوا من أعدائكم أولياء، وإياكم أن تقولوا؛ ماذا نفعل ونحن ضعفاء، ونريد أن نكون في حمى أحد، وماذا نفعل في أعدائنا؟ لا تقولوا ذلك؛ لأن الله أعلمنا: أنا أنصركم بالرعب بأن أُلْقِيَ في قلوب أعدائكم الخوف فينهزموا من غير سبب وفيهم قوة وغلبة ، فإن لم يكن عندكم أسلحة فسأنصركم بالرعب، وما دام سينصرنا بالرعب فهذه كافية؛ لأنه ساعة ينصرني بالرعب؛ يلقي عدوى سلاحه وأنا آخذه قال تعالى: ﴿ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾

[الأنفال: ١٢]، وما دام ألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فوسائلهم كلها تكون للمؤمنين وتنتهي المسألة"(١).

ومن المواضع التي ورد فيها اسم الله النصير قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٤٠] ، قال سيد قطب في تفسيره لهذه الآية:" ومن تولى وأصر على مقاومة سلطان الله قاتله المسلمون معتمدين على نصرة الله، هذه تكاليف هذا الدين؛ وهذه هي جديته وواقعيته وإيجابيته وهو يتحرك لتحقيق ذاته في عالم الواقع؛ ولتقرير ألوهية الله وحده في دنيا الناس.

إن هذا الدين ليس نظرية يتعلمها الناس في كتاب؛ للترف الذهني والتكاثر بالعلم والمعرفة! وليس كذلك عقيدة سلبية يعيش بها الناس بينهم وبين ربهم وكفى! كما أنه ليس مجرد شعائر تعبدية يؤديها الناس لربهم فيما بينهم وبينه، إن هذا الدين إعلان عام لتحرير الإنسان .

وهو منهج حركي واقعي، يواجه واقع الناس بوسائل مكافئة، يواجه حواجز الإدراك والرؤية بالتبليغ والبيان، ويواجه حواجز الأوضاع والسلطة بالجهاد المادي لتحطيم سلطان الطواغيت وتقرير سلطان الله، والحركة بهذا الدين حركة في واقع بشري، والصراع بينه وبين الجاهلية ليس مجرد صراع نظري يقابل بنظرية.

(١) تفسير الشعراوي صـ ١٥٥٧.

إن الجاهلية تتمثل في مجتمع ووضع وسلطة ، ولا بد – كي يقابلها هذا الدين بوسائل مكافئة – أن يتمثل في مجتمع ووضع وسلطة، ولا بد بعد ذلك أن يجاهد ليكون الدين كله لله، فلا تكون هناك دينونة لسواه .

هذا هو المنهج الواقعي الحركي الإيجابي لهذا الدين، لا ما يقوله المهزومون والمخدوعون، ولو كانوا من المخلصين الطيبين الذين يريدون أن يكونوا من" المسلمين "، ولكن تغيب في عقولهم وفي قلوبهم صورة هذا الدين، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله"(١) .

ومن المواضع التي ورد فيها اسم الله النصير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" أي: أن الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين، يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢] ؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ أي: لمن اتبع رسوله، وآمن بكتابه وصدقه واتبعه، فإن الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة. وإنما قال: ﴿ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾؛ لأن المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن، لئلا يهتدي أحد به، ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن"(٢).

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ، ٣/ ٤٠٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ١٠٩.

ومن المواضع التي ورد فيها اسم الله النصير قوله تعالى: ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨]، قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية:" أي فاشكروا الله بالدوام على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاعتصام بالله، والاعتصام: افتعال من العصم، وهو المنع من الضر والنجاة، والمعنى: اجعلوا الله ملجأكم ومنجاكم.

وجملة ﴿ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ مستأنفة معللة للأمر بالاعتصام بالله؛ لأن المولى يعتصم به ويرجع إليه لعظيم قدرته وبديع حكمته، والمولى: السيد الذي يراعي صلاح عبده. وفرع عليه إنشاء الثناء على الله بأنه أحسن مولى وأحسن نصير، أي نعم المدبر لشؤونكم، ونعم الناصر لكم. **ونصير**: صيغة مبالغة في النصر، أي نعم المولى لكم ونعم النصير لكم. وأما الكافرون فلا يتولاهم تولي العناية ولا ينصرهم.

وهذا الإنشاء يتضمن تحقيق حسن ولاية الله تعالى وحسن نصره، وبذلك الاعتبار حسن تفريعه على الأمر بالاعتصام به، وهذا من براعة الختام، كما هو بين لذوي الأفهام"[1].

أما اسم الله خير الناصرين فلم يرد في القرآن الكريم إلا في موضع واحد وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٩ – ١٥٠]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" يحذر

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٧/ ٣٥٢.

الله الذين آمنوا أن يطيعوا الذين كفروا، فطاعة الذين كفروا عاقبتها الخسارة المؤكدة وليس فيها ربح ولا منفعة، فيها الانقلاب على الأعقاب إلى الكفر، فالمؤمن إما أن يمضي في طريقه يجاهد الكفر والكفار ويكافح الباطل والمبطلين وإما أن يرتد على عقبيه كافراً – والعياذ بالله – ومحال أن يقف سلبياً بين بين محافظاً على موقفه ومحتفظاً بدينه .

إنه قد يخيل إليه هذا يخيل إليه في أعقاب الهزيمة وتحت وطأة الجرح والقرح أنه مستطيع أن ينسحب من المعركة مع الأقوياء الغالبين وأن يسالمهم ويطيعهم وهو مع هذا محتفظ بدينه وعقيدته وإيمانه وكيانه! وهو وهم كبير، فالذي لا يتحرك إلى الأمام في هذا المجال لا بد أن يرتد إلى الوراء والذي لا يكافح الكفر والشر والضلال والباطل والطغيان لا بد أن يتخاذل ويتقهقر ويرتد على عقبيه إلى الكفر والشر والضلال والباطل والطغيان! والذي لا تعصمه عقيدته ولا يعصمه إيمانه من طاعة الكافرين والاستماع إليهم والثقة بهم يتنازل – في الحقيقة – عن عقيدته وإيمانه منذ اللحظة الأولى.

إنها الهزيمة الروحية أن يركن صاحب العقيدة إلى أعداء عقيدته وأن يستمع إلى وسوستهم وأن يطيع توجيهاتهم. الهزيمة بادئ ذي بدء، فلا عاصم له من الهزيمة في النهاية والارتداد على عقبيه إلى الكفر ولو لم يحس في خطواته الأولى أنه في طريقه إلى هذا المصير البائس، إن المؤمن يجد في عقيدته وفي قيادته غناء عن مشورة أعداء دينه وأعداء قيادته .

فإذا استمع إلى هؤلاء مرة فقد سار في طريق الارتداد على الأعقاب، حقيقة فطرية وحقيقة واقعية ينبه الله المؤمنين لها ويحذرهم إياها وهو يناديهم باسم

الإيمان: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَـٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴾ وأية خسارة بعد خسارة الارتداد على الأعقاب من الإيمان إلى الكفر؟ وأي ربح يتحقق بعد خسارة الإيمان؟ وإذا كان مبعث الميل إلى طاعة الذين كفروا هو رجاء الحماية والنصرة عندهم فهو وهم يضرب السياق صفحا عنه ليذكرهم بحقيقة النصرة والحماية :

﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴾، فهذه هي الجهة التي يطلب المؤمنون عندها الولاية ويطلبون عندها النصرة، ومن كان الله مولاه فما حاجته بولاية أحد من خلقه؟ ومن كان الله ناصره فما حاجته بنصرة أحد من العبيد؟"[١]

رابعاً: الآثار الإيمانية لهذين الاسمين

لهذين الاسمين آثار إيمانية ينبغي أن تظهر في سلوك المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من الآثار الإيمانية لهذين الاسمين أن يعمل المسلمون على نصرة دين الله تعالى؛ حتى يستحقوا نصر الله تعالى لهم، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾، وقد يقو قائل: كيف أنصر دين الله تعالى؟ وللإجابة عن هذا التساؤل قال الإمام القرطبي:" فإن قيل كيف قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[محمد: ٧]، والنصر هو العون والله سبحانه لا يجوز عونه قولا ولا يتصور فعلا؟

فالجواب: من أوجه:

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ١/ ٤٦٥.

أحدها: إن تتصروا دين الله بالجهاد عنه ينصركم.

الثاني: إن تتصروا أولياء الله بالدعاء.

الثالث: إن تتصروا نبي الله، وأضاف النصر إلى الله تشريفا للنبي صلى الله عليه وسلم وأوليائه وللدين، كما قال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١١] ، فأضاف القرض إليه تسلية للفقير"[١].

وهناك إشكال مفاده أننا قد نرى المؤمنين غير منتصرين في بعض الأزمنة، وقد نرى أن للكافرين عليهم سبيلا، وهذا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١] ، وللإجابة عن الإشكال يقول العلامة ابن القيم: "فالآية على عمومها وظاهرها، وإنما المؤمنون يصدر منهم من المعصية والمخالفة التي تضاد الإيمان ما يصير به للكافرين عليهم سبيل بحسب تلك المخالفة، فهم الذين تسببوا إلى جعل السبيل عليهم، كما تسببوا إليه يوم أحد بمعصية الرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفته، والله سبحانه لم يجعل للشيطان على العبد سلطانا، حتى جعل له العبد سبيلا إليه بطاعته والشرك به، فجعل الله حينئذ له عليه تسلطا وقهرا، فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"[٢].

٢- من آثار الإيمان بهذين الاسمين أن يثق المؤمنون بنصر الله تعالى لهم متى ما نصروا الله بأن عملوا بطاعته واجتنبوا نواهيه، وأخذوا بأسباب النصر المشروعة، ثم توكلوا على الله تعالى بعد ذلك، وقد ورد في ذلك جملة من

---

(١) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٣٢.

(٢) بدائع التفسير، لابن القيم ٢/٨٥.

النصوص القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] وقال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وهذا النصر إما أن يكون معجل في الحياة الدنيا أو قد يكون في الآخرة، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١]، قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره عند هذه الآية:" قد يقول قائل: "وما معنى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه، ومثلوا به، كشعياء ويحيى ابن زكريا وأشباههم، ومنهم من هم بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقهم ناجيا بنفسه، كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقا لقومه، وعيسى الذي رفع إلى السماء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله، والمؤمنين به في الحياة الدنيا، وهؤلاء أنبياؤه قد نالهم من قومهم ما قد علمت، وما نصروا على من نالهم بما نالهم به؟ قيل: إن لقوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، وجهين كلاهما صحيح معناه.

أحدهما: أن يكون معناه: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا إما بإعلائنا لهم على من كذبنا وإظفارنا بهم، حتى يقهروهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد صلى الله عليه وسلم بإظهاره على من كذبه من قومه.

وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم، كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه، من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه، إذ أهلكهم غرقا، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيره ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم، كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه، بتسليطنا على قتلته من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتلة يحيى، من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به من قتلهم له، وكانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم، فهذا أحد وجهيه.

وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك إلى هذا الوجه، قال السدي قول الله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴾ [غافر: ٥١] قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوما فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم.

والوجه الآخر: أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين، والمراد واحد، فيكون تأويل الكلام حينئذ: إنا لننصر رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، كما بينا فيما مضى أن العرب تخرج الخبر بلفظ الجميع، والمراد واحد إذا لم تنصب للخبر شخصا بعينه"[١]، والذي يظهر أن الوجه الأول هو الراجح؛ لموافقته لظاهر القرآن.

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/٧٤/٧٥.

٣ـ من آثار الإيمان بهذين الاسمين أن يعلم المؤمنون أن الله تعالى قادر على نصر دينة واعزاز أوليائه بدون تدخل من أحد من البشر، لكن حكمته اقتضت أن ينتصر هذا لدين بعمل المؤمنين وبجهادهم، وهذا من باب الابتلاء والاختبار، وأنهم متى ما قصروا في ذلك قد يتأخر عنهم نصر الله تعالى، وهذه اللفته أشار إليها سيد قطب عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ ﴾ [الحج: ٣٩ – ٤٠]، قال رحمه الله :" فقد ضمن للمؤمنين إذن أنه هو تعالى يدافع عنهم، ومن يدافع الله عنه فهو ممنوع حتماً من عدوه، ظاهر حتماً على عدوه، ففيم إذن يأذن لهم بالقتال؟ والجواب أن الله سبحانه لم يرد أن يكون حملة دعوته وحماتها من الكسالى، الذين يجلسون في استرخاء، ثم يتنزل عليهم نصره سهلاً هيناً بلا عناء.

لقد شاء الله تعالى أن يجعل دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم كي يتم نضجهم هم في أثناء المعرك، فالبنية الإنسانية لا تستيقظ كل الطاقات المذخورة فيها كما تستيقظ وهي تواجه الخطر؛ وهي تدفع وتدافع، وهي تستجمع كل قوتها لتواجه القوة المهاجمة.

والنصر السريع الذي لا يكلف عناء، والذي يتنزل هيناً ليناً على القاعدين المستريحين، يعطل تلك الطاقات عن الظهور، لأنه لا يحفزها ولا يدعوها.

وذلك فوق أن النصر السريع الهين اللين سهل فقدانه وضياعه، أولاً لأنه رخيص الثمن لم تبذل فيه تضحيات عزيزة، وثانياً لأن الذين نالوه لم تدرب

قواهم على الاحتفاظ به ولم تشحذ طاقاتهم وتحشد لكسبه، فهي لا تتحفز ولا تحتشد للدفاع عنه.

وهناك التربية الوجدانية والدربة العملية تلك التي تنشأ من النصر والهزيمة، والكر والفر، والقوة والضعف والتقدم والتقهقر، ومن المشاعر المصاحبة لها، من الأمل والألم، ومن الفرح والغم، ومن الاطمئنان والقلق، ومن الشعور بالضعف والشعور بالقوة، ومعها التجمع والفناء في العقيدة والجماعة والتنسيق بين الاتجاهات في ثنايا المعركة وقبلها وبعدها وكشف نقط الضعف ونقط القوة، وتدبير الأمور في جميع الحالات، وكلها ضرورية للأمة التي تحمل الدعوة عليها وعلى الناس.

من أجل هذا كله، ومن أجل غيره مما يعلمه الله، جعل الله دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم؛ ولم يجعله لقية تهبط عليهم من السماء بلا عناء.

والنصر قد يبطئ على ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ ﴾ فيكون هذا الإبطاء لحكمة يريدها الله .

قد يبطئ النصر؛ لأن بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بعد نضجها، ولم يتم بعد تمامها، ولم تحشد بعد طاقاتها، ولم تتحفز كل خلية وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات، فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكاً لعدم قدرتها على حمايته طويلاً.

وقد يبطئ النصر؛ حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة ، وآخر ما تملكه من رصيد، فلا تستبقي عزيزاً ولا غالياً ، لا تبذله هيناً رخيصاً في سبيل الله .

وقد يبطئ النصر؛ حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها ، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر، إنما يتنزل النصر من عند الله عندما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعدها إلى الله.

وقد يبطئ النصر؛ لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله، وهي تعاني وتتألم وتبذل؛ ولا تجد لها سنداً إلا الله، ولا متوجهاً إلا إليه وحده في الضراء، وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عندما يتأذن به الله . فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به الله .

وقد يبطئ النصر؛ لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته فهي تقاتل لمغنم تحققه، أو تقاتل حمية لذاتها، أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها، والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله، بريئاً من المشاعر الأخرى التي تلابسه.

قد يبطئ النصر؛ لأن في الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقية من خير، يريد الله أن يجرد الشر منها ليتمحض خالصاً، ويذهب وحده هالكاً، لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار.

وقد يبطئ النصر؛ لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماماً، فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصاراً من المخدوعين فيه، لم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله؛ فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم

تتكشف لهم الحقيقة، فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عارياً للناس، ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية.

وقد يبطئ النصر؛ لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة، فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضة من البيئة لا يستقر لها معها قرار، فيظل الصراع قائماً حتى تتهيأ النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر، ولاستقبائه.

من أجل هذا كله، ومن أجل غيره مما يعلمه الله، قد يبطئ النصر، فتتضاعف التضحيات، وتتضاعف الآلام مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية"(١).

٤- من آثار الإيمان بهذين الاسمين أن يدعوا المسلمون ربهم بهذين الاسمين، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، قال تعالى عن نبيه نوح - عليه السلام -: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ [المؤمنون:٢٦]، وكذلك نبي الله لوط - عليه السلام -: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [العنكبوت:٣٠]، وقال قوم طالوت لما برزوا لجالوت وجنوده:" ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٠]، وقال الربيون بعد ما أصابهم في سبيل الله ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٧].

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب٥/ ١٩٩، باختصار.

عن عبد الله بن أبي أوفى – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قام النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال: اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم** " [١].

وعن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا غزا قال:" **اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحول وبك أصول وبك أقاتل**"[٢] .

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يدعو: " **رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر هداي إلي، وانصرني على من بغى علي اللهم! اجعلني شاكراً لك، راهباً لك، ذاكراً لك، مطواعاً إليك، مُخْبِتاً أو منيباً–. ربِّ! تَقَبَّلْ توبتي، واغسِلْ حَوْبتي، وَأَجِبْ دعوتي، وثَبِّتْ حُجَّتِي، واهْدِ قلبي، وسَدِّدْ لساني، واسلُلْ سَخِيمةَ قلبي** " [٣].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: " كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدعو فيقول: **اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني، وانصرني على من يظلمني وخذ منه بثأري** " [٤].

---

(١) صحيح مسلم في الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر ٣/١٣٦٢ ، برقم(١٧٤٢).
(٢) صحيح أبي داود، برقم(٢٢٩١).
(٣) صحيح أبي داود، برقم(١٣٥٣)، صحيح الجامع، للألباني، برقم (٣٤٨٥).
(٤) مستدرك الحاكم، ١/٧٠٤ ، برقم (١٩١٨)، السلسلة الصحيحة ، برقم (٣١٧٠) .

وعن ابن عمر – رضي الله عنه – قال: قلما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: " **اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا** "[١].

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: "...**أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع فصفوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه حجارة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون، والنبي صلى الله عليه و سلم معهم وهو يقول اللهم لا خير إلا خير الآخره فانصر الأنصار والمهاجره**"[٢] .

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات ٥٢٨/٥ (٣٥٠٢)، صحيح الجامع ، برقم (١٢٦٨) .

(٢) صحيح أبي داود، برقم(٤٣٤).

٧٤ـ القابض ٧٥ الباسط جل جلاله

"**القابض الباسط**" من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عننهما في النقاط التالية:

أولا: معناهما اللغوي

قال أهل اللغة:" "**القابض**" في اللغة اسم فاعل، فعله قبضه يقبضه قبضا وقبضة،

والقبض: الأخذ بجميع الكف وهو في حقنا جمع الكف على الشيء بعد تناوله، فعن إياس بن سلمة عن أبيه رضي الله عنه أنه قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا .. إلى أن قال: فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال: شاهت الوجوه، فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة، فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل " [1].

وقبض اليد عن الشيء: جمعها قبل تناوله؛ وذلك إمساك عنه؛ قال تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي: يمنعون من الإنفاق، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن امرأة مدت يدها إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – بكتاب فقبض يده فقالت:" يا رسول الله مددت يدي إليك بكتاب فلم تأخذه، فقال: "**إني لم أدر أيد امرأة هي أو رجل**"؟ قالت: بل يد امرأة، قال: **لو كنت امرأة لغيرت أظفارك بالحناء** " [2].

---

(1) صحيح مسلم، تاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين ١٤٠٢/٣ ، برقم (١٧٧٧) .

(2) سنن النسائي، برقم(٥٠٨٩)، وحسنه الألباني في كتابه حجاب المرأة المسلمة، صـ٣٢ .

والقبضة ما أخذت بجمع كفك كله تقول: هذا قبضة كفي أي قدر ما تقبض عليه ومنه: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [طه:٩٦]، يعنى من التراب المتأثر بحافر فرس الرسول.

والقبض بالتحريك: ما قبض من الأموال والغنائم وغيرها، وقبض الرجل: مات فهو مقبوض، قبضت الشيء قبضا: أخذته. [١].

أما اسم الله الباسط فقد قال أهل اللغة في تعريفه: " الباسط اسم فاعل، فعله بسط يبسط بسطا، والبسط نقيض القبض، والبساط: الأرض الواسعة، وبسط الشيء: نشره، على الأرض ومده عليها فاتسع، والبسطة: السعة، وفلان بسيط الجسم: فيه سعة وامتداد وزيادة وطول، وتبسط في البلاد أي سار فيها طولا وعرضا، وبسيط الوجه يعني متهلل.

والبسيط هو الرجل المنبسط اللسان، ورجل بسيط اليدين: منبسط بالمعروف، وبسط يده: مدها، قال تعالى:﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المائدة:٢٨].

وبسط الكف يستعمل على أنواع فتارة للطلب نحو قوله عز وجل : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرعد:١٤]

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٢١٣/٧، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني صـ ٣٩١، الصحاح في اللغة، للجوهري ١١٠٠/٣، اشتقاق أسماء الله للزجاج صـ٤٠ .

وتارة للأخذ نحو قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الأنعام:٩٣].

وتارة للصولة والضرب كما قال تعالى: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة:٢]، وتارة للبذل والعطاء نحو قوله عز وجل: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة:٦٤][١].

ثانياً: معنا هما الاصطلاحي

جاءت عدة تعريفات اصطلاحية لهذين الاسمين، ومنها، ما ذكره الامام الغزالي حيث قال:" **القابض والباسط** هو الذي يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة ويقبض الصدقات من الأغنياء ويبسط الأرزاق للضعفاء يبسط الرزق على الأغنياء حتى لا يبقي فاقة ويقبضه عن الفقراء حتى لا يبقي طاقة ويقبض القلوب فيضيقها بما يكشف لها من قلة مبالاته وتعاليه وجلاله ويبسطها بما يتقرب إليها من بره ولطفه وجماله"[٢].

وقال ابن القيم في نونيته:

"هو قابض هو باسط هو خافض هو رافع بالعدل والميزان" [٣]

([١]) لسان العرب، لابن منظور ٧/ ٢٥٨، المفردات، للراغب الأصفهاني، صـ٤٦، والصحاح، للجوهري ١١١٦/٣

([٢]) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١٠٧

([٣]) النونية، لابن القيم ٢٣٦/٢.

قال الهراس في شرحه لهذا البيت: "هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا يجوز أن يفرد أحدها عن قرينه ولا أن يثنى على الله عز وجل بواحد منها إلا مقرونا بمقابله، فلا يجوز أن يفرد القابض عن الباسط ولا الخافض عن الرافع؛ لأن الكمال المطلق إنما يحصل بمجموع الوصفين.

فهو سبحانه القابض الباسط، يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، ويقبض الصدقات من الأغنياء، ويبسط الأرزاق للضعفاء، ويبسط الرزق لمن يشاء حتى لا تبقى فاقة، ويقبضه عمن يشاء حتى لا تبقى طاقة.

ويقبض القلوب فيضيقها حتى تصير حرجا كأنما تصعد في السماء، ويبسطها بما يفيض عليها من معاني بره ولطفه وجماله، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥](١).

وقال الزجاجي:" الله عز وجل القابض الباسط، يقتر على من يشاء، ويوسع على من يشاء.

ومخرج ذلك من اللغة، أن أصل القبض: ضم الشيء المنبسط من أطرافه، فيقبضه القابض إليه أولا حتى يحوزه ويجمعه. والبسط: نشر الشيء المجتمع أو

---

(١) شرح الهراس لنونية ابن القيم ٢/١٠٤.

المنضم أو المطوي، فمن قبض رزقه فقد ضيق عليه، ومن بسط رزقه فقد فسح له فيه ووسع عليه.

ومن ذلك قيل: فلان قبيض، أي: بخيل شديد كأنه لا يبسط كفه بخير إلى أحد، ولا يسمح بذلك. وفلان باسط الكف، وباسط الجاه، وإنما يراد به السخاء وبذله ماله وجاهه.

والباسط: الفاعل من بسط يبسط فهو باسط، فالله عز وجل كما ذكرنا باسط رزق من أراد من عباده أن يوسع عليه، ومقتر على من أراد، كما يرى في ذلك من المصلحة لهم، وهو كما قال عز وجل: ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الشورى: ٢٧].

والباسط أيضا: باسط الشيء الذي ليس بمفروش يبسطه ويفرشه، كما بسط الأرض للأنام، وبث فيها أقواتهم"[١] .

وقال الشيخ السعدي :" هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا ينبغي أن يثنى على الله بها إلا كل واحد مع الآخر، لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو القابض للأرزاق والأرواح والنفوس، والباسط للأرزاق، والرحمة والقلوب، وهذه الأمور كلها تبع لعدله وحكمته وحمده، فعلى العبد أن يعترف بحكمة الله، كما عليه أن يعترف بفضله ويشكره بلسانه وجنانه وأركانه"[٢].

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي صـ ٩٧.

(٢) توضيح الكافية الشافية صـ ١٣١، والحق الواضح المبين، للسعدي صـ ٨٩.

ثالثا: ورود هذين الاسمين في القرآن والسنة

هذان الاسمان الكريمان لم يرد ذكرهما في القرآن الكريم بصيغة الاسم، وإنما وردا بصيغة الفعل، على سبيل الإطلاق مرادا به العلمية ودالا على كمال الوصفية، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال الامام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" أي: من يقدم لنفسه ذخرا عندي بإعطائه ضعفاء المؤمنين وأهل الحاجة منهم ما يستعين به على القتال في سبيلي، فأضاعف له من ثوابي أضعافا كثيرة مما أعطاه وقواه به.

فإني أيها الموسع الذي قبضت الرزق عمن ندبتك إلى معونته وإعطائه، لأبتليه بالصبر على ما ابتليته به والذي بسطت عليك لأمتحنك بعملك فيما بسطت عليك، فأنظر كيف طاعتك إياي فيه، فأجازي كل واحد منكما على قدر طاعتكما لي فيما ابتليتكما فيه وامتحنتكما به، من غنى وفاقة، وسعة وضيق، عند رجوعكما إلي في آخرتكما، ومصيركما إلي في معادكما.

وإنما سماه الله تعالى ذكره ﴿ قَرْضًا ﴾ ؛ لأن معنى **القرض**، إعطاء الرجل غيره ماله مملكا له، ليقضيه مثله إذا اقتضاه. فلما كان إعطاء من أعطى أهل الحاجة والفاقة في سبيل الله، إنما يعطيهم ما يعطيهم من ذلك ابتغاء ما وعده الله عليه من جزيل الثواب عنده يوم القيامة، سماه ﴿ قَرْضًا ﴾.

وإنما جعله تعالى ذكره ﴿ حَسَنًا ﴾، لأن المعطي يعطي ذلك عن ندب الله إياه وحثه له عليه، احتسابا منه. فهو لله طاعة، وللشياطين معصية. وليس ذلك لحاجة بالله إلى أحد من خلقه.

وأما قوله: ﴿ فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ﴾، فإنه عدة من الله تعالى ذكره مقرضه ومنفق ماله في سبيل الله من إضعاف الجزاء له على قرضه ونفقته، ما لا حد له ولا نهاية الدنيا قرضا، وسألكموها قرضا، فإن أعطيتموها طيبة بها أنفسكم، ضاعف لكم ما بين الحسنة إلى العشر إلى السبعمئة، إلى أكثر من ذلك. وإن أخذها منكم وأنتم كارهون، فصبرتم وأحسنتم، كانت لكم الصلاة والرحمة، وأوجب لكم الهدى.

أما معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ ﴾أي إن الله تعالى بيده قبض أرزاق العباد وبسطها، دون غيره ممن ادعى أهل الشرك به أنهم آلهة، واتخذوه ربا دونه يعبدونه.

وإنما أراد تعالى ذكره بقوله ذلك، حث عباده المؤمنين الذين قد بسط عليهم من فضله، فوسع عليهم من رزقه على تقوية ذوي الإقتار منهم بماله، ومعونته بالإنفاق عليه وحمولته على النهوض لقتال عدوه من المشركين في سبيله.

﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ أي: وإلى الله معادكم، أيها الناس، فاتقوا الله في أنفسكم أن تضيعوا فرائضه وتتعدوا حدوده، وأن يعمل من بسط عليه منكم من رزقه بغير ما أذن له بالعمل فيه ربه، وأن يحمل المقتر منكم- إذ قبض عن رزقه- إقتاره على معصيته، والتقدم على ما نهاه، فيستوجب بذلك عند مصيره إلى خالقه، ما لا قبل له به من أليم عقابه" [1].

---

(1) تفسير الطبري ٥/ ٢٨٢، باختصار وتصرف

وقد ورد وصف الله تعالى بأنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [القصص:٨٢]، قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" وقوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ ﴾أي: الذين لما رأوا قارون في زينته قالوا: ﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: ٧٩]، فلما خسف به أصبحوا يقولون: ﴿ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ ﴾ أي: ليس المال بدال على رضا الله عن صاحبه وعن عباده ؛ فإن الله يعطي ويمنع، ويضيق ويوسع، ويخفض ويرفع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة.

﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ ﴾ أي: لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا، كما خسف به، لأنا وددنا أن نكون مثله.

﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ يعنون: أنه كان كافرا، ولا يفلح الكافر عند الله، لا في الدنيا ولا في الآخرة"(١).

أما السنة النبوي فقد ورد فيها ذكر هذين الاسمين الكريمين، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال الناس:" يارسول الله غلا السعر فسعر لنا" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله هو المسعر، القابض الباسط الرازق وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال**"(٢)،

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٥٧.

(٢) صحيح الترمذي برقم (١٠٥٩)، وصحيح سنن أبي داود برقم (٣٤٥٠).

جاء في شرح هذا الحديث:" قوله: "**غلا السعر**" بكسر السين أي: ارتفع السعر "**سعر لنا**" أمر من تسعير وهو أن يأمر السلطان أو نوابه أو كل من ولي من أمور المسلمين أمر أهل السوق أن لا يبيعوا أمتعتهم إلا بسعر كذا فيمنع من الزيادة عليه أو النقصان لمصلحة.

أما قوله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله هو المسعر**" أي: أنه هو الذي يرخص الأشياء ويغليها فلا اعتراض لأحد. ولذلك لا يجوز التسعير انتهى. ومعنى "**القابض الباسط**" أي مضيق الرزق وغيره على من شاء كيف شاء وموسعه.

وقد استدل بالحديث وما ورد في معناها على تحريم التسعير وأنه مظلمة ووجهه أن الناس مسلطون على أموالهم. والتسعير حجر عليهم. والإمام مأمور برعاية مصلحة المسلمين وليس نظره في مصلحة المشتري برخص الثمن أولى من نظره في مصلحة البائع بتوفير الثمن وإذا تقابل الأمران وجب تمكين الفريقين من الاجتهاد لأنفسهم وإلزام صاحب السلعة أن يبيع بما لا يرضى به مناف لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمۡ﴾ [النساء: ٢٩] وإلى هذا ذهب جمهور العلماء.

وروي عن مالك أنه يجوز للإمام التسعير. وأحاديث الباب ترد عليه وظاهر الأحاديث أنه لا فرق بين حالة الغلاء ولا حالة الرخص، ولا فرق بين المجلوب وغيره وإلى ذلك مال الجمهور. وفي وجه للشافعية جواز التسعير في حالة الغلاء. وظاهر الأحاديث عدم الفرق بين ما كان قوتا للادمى ولغيره من الحيوانات، وبين ما كان من غير ذلك من الإدامات وسائر الأمتعة"[١].

---

(١) تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي، للمباركفوري ٣/ ٤٣٣.

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله القابض والباسط

لا سمي الله **القابض والباسط** آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من مقتضيات الإيمان باسمي الله **القابض والباسط**، أن يعتقد العبد أن الله تعالى هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده بجوده وكرمه، فيبتليهم بذلك، وإن قبض على بعض عباده أرزاقهم كان ذلك لما تقتضيه حكمته الباهرة؛ فإن خزائن ملكه لا تفنى، كما قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [الشورى:١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الشورى:٢٧].

فينبغي للعبد أن يشكر الله تعالى عند بسطه وأن يصبر عند قبضه وليعلم أنه في ابتلاء في كلا الحالتين، فعن عمرو بن عوف رضي الله عنه قال: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدومه فوافته صلاة الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف تعرضوا له فتبسم حين رآهم وقال:" **أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء قالوا: أجل يا رسول الله، قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما**

بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم "[١]

.

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أنه أتى بطعام وكان صائما فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير منى، كفن في بردة، إن غطى رأسه بدت رجلاه، وإن غطى رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير منى، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام [٢] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: حضرت الصلاة، فقام من كان قريب الدار من المسجد يتوضأ وبقى قوم، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بمخضب من حجارة فيه ماء، فوضع كفه، فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه، فضم أصابعه فوضعها في المخضب، فتوضأ القوم كلهم جميعا، سئل أنس رضي الله عنه : كم كانوا؟ قال ثمانون رجلا " [٣]،

٢ـ من مقتضيات الإيمان باسمي الله **القابض والباسط**، أن يأخذ العبد حظه من اسمي الله **الباسط والقابض**، وذلك بأن يشتغل بدعوة الخلق إلى الخالق، وأن يختار لهم من الرقائق ما تنبسط بها قلوبهم فتقبل على الله بالتوبة، وفي المقابل عليه أن يختار من مواعظ الترهيب ما تجعل العباد ينزجرون عن المعاصي والسيئات، قال الامام الغزالي وهو يتحدث عن هذه القضية:" **القابض الباسط**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا لم يوجد إلا ثوب واحد ٤٢٨/١ ، برقم (١٢١٦) .
(٢) صحيح البخاري كتاب الجنائز، باب إذا لم يوجد إلا ثوب واحد ٤٢٨/١ برقم (١٢١٦) .
(٣) صحيح البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ١٣١٠/٣ برقم (٣٣٨٢) .

من العباد من ألهم بدائع الحكم وأوتي جوامع الكلم فتارة يبسط قلوب العباد بما يذكرهم من آلاء الله عز وجل ونعمائه وتارة يقبضها بما ينذرهم به من جلال الله وكبريائه وفنون عذابه وبلائه وانتقامه من أعدائه كما فعل رسول الله حيث قبض قلوب الصحابة عن الحرص على العبادة حيث ذكر لهم أن الله عز وجل يقول: لآدم عليه الصلاة والسلام يوم القيامة ابعث بعث النار فيقول كم؟ فيقول: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعون فانكسرت قلوبهم حتى فتروا عن العبادة فلما أصبح ورآهم على ما هم عليه من القبض والفتور روح قلوبهم وبسطهم فذكر أنهم في سائر الأمم قبلهم كشامة سوداء في مسك ثور أبيض"[1][2].

٣ـ من مقتضيات الإيمان باسمي الله **القابض والباسط**، دعاء الله باسميه **الباسط والقابض**، ومما ورد الدعاء بوصف الله بأنه القابض الباسط حديث ابن رفاعة الزرقي رضي الله عنه حيث قال رضي الله عنه: " لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **استووا حتى أثني على ربى، فصاروا خلفه صفوفا فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما**

---

(١) وأصل الحديث في صحيح البخاري، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى:" يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول أخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ٢] قالوا يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟ قال:" أبشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفا" ثم قال والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا فقال ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود" صحيح البخاري، برقم(٣٢٧).

(٢) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١٠٧.

بسطت، ولا باسط لما قبضت ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت.

اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق [١].

ومما ورد الدعاء باسم الله القابض حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت في قصة سعد لما حكم في بني قريظة: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله، قالت: ثم دعا سعد قال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك صلى الله عليه وسلم من حرب قريش شيئا فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك**" [٢].

---

(١) مسند أحمد ٣/٤٢٤، وصححه الألباني في الأدب المفرد، برقم (٦٩٩) .

(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ١٥/٥٠٠ ، برقم(٧٠٢٨)، وهو في السلسلة الصحيحة، برقم(٦٧) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا:" **اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**"[1]

وعن فضالة بن عبيد وتميم الداري رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **من قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قنطار، والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل: اقرأ وارق بكل آية درجة حتى ينتهي إلى آخر آية معه، يقول الله عز وجل للعبد: اقبض فيقول العبد بيده يا رب أنت أعلم، يقول: بهذه الخلد وبهذه النعيم**"

(1) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة ص ٥/٣٦٦ ، برقم(٣٢٣٣)، صحيح الجامع ، برقم(٥٩) .

٧٦ـ المقدم ٧٧ المؤخر جل جلاله

" **المقدم والمؤخر**" من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عننهما في النقاط التالية:

أولا: معناهما في اللغة

قال أهل اللغة: المقدم في اللغة اسم فاعل، فعله قدم يقدم تقديما، . وفي التنزيل العزيز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [الحجرات: ١]، وعند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**" [١].

وقدام: نقيض وراء، يقال: قدم فلان فلانا إذا تقدمه، والقدم والقدمة السبقة في الأمر، والقدم كل ما قدمت من خير أو شر، وتقدمت لفلان فيه قدم أي تقدم في خير وشر، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ ﴾ [يونس:٢]، ومعنى قدم صدق يعني عملا صالحا قدموه، يقال: لفلان قدم صدق أي أثرة حسنة، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴾ [الحجر:٢٤]، قيل معناه لقد علمنا المستقدمين منكم في طاعة، أو من يأتي منكم أولا إلى المسجد ومن يأتي متأخرا، أو من يتقدم من الناس على صاحبه في الموت.

([١]) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان ٢٢/١ ، برقم(٣٨) .

قدم بالفتح يقدم قدوما أي تقدم، ومنه قوله تعالى: { يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار } [هود: ٩٨] أي يتقدمهم إلى النار [١].

أما اسم الله المؤخر فقد قال أهل اللغة في تعريفه:" المؤخر في اللغة عكس المقدم، فعله أخر يؤخر تأخيرا، والتأخر ضد التقدم، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم :" **ما سئل عن شيء قدم ولا أخر إلا قال افعل ولا حرج**" [٢]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى وقت العصر، ثم يجمع بينهما، وإذا زاغت صلى الظهر ثم ركب" [٣][٤]

ثانياً- معناهما في الاصطلاح

جاء في التعريف الاصطلاحي لهذين الاسمين عدة تعريفات متقاربة، ومن ذلك ما قاله الزجاج، حيث قال:" **المقدم**: هو الذي يقدم ما يجب تقديمه من شيء حكما وفعلا على ما أحب وكيف أحب وما قدمه فهو مقدم، **والمؤخر**: وهو الذي يؤخر ما يجب تأخيره والحكمة والصلاح فيما يفعله الله تعالى وإن خفي علينا وجه الحكمة والصلاح فيه"[٥].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٣٥٥٢/٥، كتاب العين، للفراهيدي ١٢٢/٥.
(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها ٤٣/١ ، برقم (٨٣) .
(٣) صحيح البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب يؤخر الظهر إلى العصر ٣٧٤/١ ، برقم(١٠٦٠).
(٤) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي ٤/ ٣٠٣، والمغرب، للمطرزي ٣٢/١ .
(٥) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، صـ ٤٠.

وقال النووي رحمه الله تعالى:" يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه، ويؤخر من يشاء عن ذلك لخذلانه"(١).

وقال أبو سليمان الداراني:" هو المنزل للأشياء منازلها، يقدم ما شاء منها ويؤخر ما شاء، قدم المقادير قبل أن يخلق الخلق، وقدم من أحب من أوليائه على غيرهم من عبيده، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض درجات وقدم من شاء بالتوفيق إلى مقامات السابقين وأخر من شاء عن مراتبهم وثبطهم عنها ، وأخر الشيء عن حين توقعه لعلمه بما في عواقبه من الحكمة، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم قال: والجمع بين هذين الاسمين أحسن من التفرقة"(٢)

وقال ابن القيم في نونيته:

وهو المقدم والمؤخر ذانك الصفتان للأفعال تابعتان

وهما صفات الذات أيضا إذ هما بالذات لا بالغير قائمتان"(٣).

ثالثا: ورود هذين الاسمين في القرآن والسنة

لم يرد ذكر هذين الاسمين الكريمين في القرآن الكريم صراحة، وإنما وصف الله تعالى نفسه بأنه المقدم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴾ [ق:٢٨]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ ﴾ يقول الله عز وجل للإنسي وقرينه من الجن، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق فيقول الإنسي: يا رب، هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني. ويقول

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي ١٧/٤٠.

(٢) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ١٥٤.

(٣) نونية ابن القيم ٢/٢٤١ بشرح العيسى رقم البيتين (٣٣٧١، ٣٣٧٢).

الشيطان:﴿ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾[ق: ٢٧] أي: عن منهج الحق. فيقول الرب عز وجل لهما: ﴿ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ ﴾ أي: عندي، ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴾ أي: قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل، وأنزلت الكتب، وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين"[١].

كما وصف الله نفسه بأنه المؤخر في قوله تعالى: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون:١١]، قال الإمام الطبري في تفسيره:" قوله تعالى:﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ يقول: لن يؤخر الله في أجل أحد فيمد له فيه إذا حضر أجله، ولكنه يخترمه ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ يقول: والله ذو خبرة وعلم بأعمال عبيده هو بجميعها محيط، لا يخفى عليه شيء، وهو مجازيهم بها، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"[٢].

كما وصف الله نفسه بأنه المؤخر في قوله تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [نوح:٤]. قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ أي : بعض ذنوبكم ، وهو ما سلف منها قبل طاعة الرسول وإجابة دعوته، ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ﴾ أي: يؤخر موتكم إلى الأمد الأقصى الذي قدره الله لكم بشرط الإيمان والطاعة فوق ما قدره لكم، على تقدير بقائكم على الكفر والعصيان. وقيل :

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/ ٤٠٣.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٤١٢.

التأخير بمعنى البركة في أعمارهم أن آمنوا ، وعدم البركة فيها إن لم يؤمنوا . قال مقاتل : يؤخركم إلى منتهى آجالكم . وقال الزجاج : أي يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير ميتة المستأصلين بالعذاب . وقال الفراء: المعنى لا يميتكم غرقا ولا حرقا ولا قتلا ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ أي: ما قدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر من العذاب إذا جاء ، وأنتم باقون على الكفر لا يؤخر بل يقع لا محالة، فبادروا إلى الإيمان والطاعة، وقيل المعنى: إذا جاء الموت لا يؤخر سواء كان بعذاب أو بغير عذاب ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: شيئا من العلم لسارعتم إلى ما أمرتكم به، أو لعلمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر"(١).

كما وصف الله نفسه بأنه المؤخر في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل:٦١]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" لما ذكر تعالى ما افتراه الظالمون عليه ذكر كمال حلمه وصبره فقال: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ من غير زيادة ولا نقص، ﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ أي: لأهلك المباشرين للمعصية وغيرهم، من أنواع الدواب والحيوانات فإن شؤم المعاصي يهلك به الحرث والنسل. ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ عن تعجيل العقوبة عليهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ

(١) تفسير الشوكاني ٧/ ٣١١.

وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ فليحذروا ما داموا في وقت الإمهال قبل أن يجيء الوقت الذي لا إمهال فيه"(١).

وقد ورد ذكر هذين الاسمين صراحة في السنة النبوية، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يتهجد قال:" **اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك أنبت، وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت – أو– لا إله غيرك**" (٢).

ووردا أيضا في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصفه لصلاة النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال:" **وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك.**

وإذا ركع قال:" اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وإذا رفع قال اللهم ربنا لك الحمد ملء

---

(١) تفسير السعدي، صـ ٤٤٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التهجد، برقم(١١٢٠).

السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد وإذا سجد قال اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت"[١].

وقد قال الإمام الغزالي في معنى هذين الاسمين:" **المقدم والمؤخر**" هو الذي يقرب ويبعد، ومن قربه فقد قدمه ومن أبعده فقد أخره، وقد قدم أنبياءه وأولياءه بتقريبهم وهدايتهم وأخر أعداءه بإبعادهم وضرب الحجاب بينه وبينهم، والملك إذا قرب شخصين مثلا ولكن جعل أحدهما أقرب إلى نفسه يقال: قدمه أي جعله قدام غيره.

والقدام تارة يكون في المكان وتارة يكون في الرتبة وهو مضاف لا محالة إلى متأخر عنه ولا بد فيه من مقصد هو الغاية بالإضافة إليه يتقدم ما يتقدم ويتأخر ما يتأخر والمقصد هو الله سبحانه وتعالى.

والمقدم عند الله تعالى هو المقرب، فقد قدم الملائكة ثم الأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء وكل متأخر فهو مؤخر بالإضافة إلى ما قبله مقدم بالإضافة إلى ما بعده والله سبحانه وتعالى هو المقدم والمؤخر لأنك إذا أحلت تقدمهم وتأخرهم على توفيرهم وتقصيرهم وكمالهم في الصفات ونقصهم فمن الذي حملهم على التوفير بالعلم والعبادة بإثارة دواعيهم ومن الذي حملهم على التقصير بصرف

---

(١) صحيح مسلم، برقم(١٢٩٠)

دواعيهم إلى ضد الصراط المستقيم وذلك كله من الله تعالى فهو المقدم والمؤخر والمراد هو التقديم والتأخير في الرتبة وفيه إشارة إلى أنه لم يتقدم من تقدم بعلمه وعمله بل بتقديم الله عز وجل إياه وكذلك المتأخر"[١].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: "**المقدم والمؤخر**" من أسماء الله الحسنى المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقرونا بالآخر، فإن الكمال من اجتماعهما فهو تعالى المقدم لمن شاء، والمؤخر لمن شاء بحكمته.

وهذا التقديم يكون كونيا كتقديم بعض المخلوقات على بعض، وتأخير بعضها على بعض، وكتقديم الأسباب على مسبباتها والشروط على مشروطاتها وأنواع التقديم والتأخير في الخلق، والتقدير بحر لا ساحل له.

ويكون شرعيا كما فضل الأنبياء على الخلق، وفضل بعضهم على بعض، وفضل بعض عباده على بعض، وقدمهم في العلم، والإيمان، والعمل، والأخلاق، وسائر الأوصاف، وأخر من أخر منهم بشيء من ذلك وكل هذا تبع لحكمته. وهذان الوصفان وما أشبههما من الصفات الذاتية لكونهما قائمين بالله، والله متصف بهما، ومن صفات الأفعال لأن التقديم والتأخير متعلق بالمخلوقات ذواتها، وأفعالها، ومعانيها، وأوصافها، وهي ناشئة عن إرادة الله وقدرته"[٢].

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله "المقدم والمؤخر"

لا سمي الله " **المقدم والمؤخر**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

---

(١) المقصد الأسنى ، للغزالي، صـ ١٨١.

(٢) الحق الواضح المبين، للسعدي صـ ١٠٠.

١ـ ومن مقتضيات الإيمان باسمي الله "**المقدم والمؤخر**" أن تكون موازين التقديم والتأخير عند العبد وموازين ربانية، فيقدم ما قدمه الله ويؤخر ما أخره الله، قال تعالى: ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، وقال تعالى:﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴾ [السجدة: ١٨] وقال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

قال سيد قطب عن هذه القيم، وهو يعلق على قصة ابن ام مكتوم الذي عاتبه الله به لما أعرض عنه وأقبل الى كبراء قريش يدعوهم إلى الله تعالى، قال رحمه الله:" إنها المعجزة . معجزة ميلاد القيم الجديدة للإنسان على يد الإسلام في ذلك الزمان، وغرس هذه القيم لم تكن مسألة هينة ولا يسيرة في البيئة العربية، ولا في المسلمين أنفسهم، غير أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استطاع بإرادة الله ، وبتصرفاته هو وتوجيهاته المنبعثة من حرارة انفعاله بالتوجيه القرآني الثابت أن يزرع هذه القيم الجديدة في الضمائر وفي الحياة؛ وأن يحرسها ويرعاها ، حتى تتأصل جذورها وتمتد فروعها ، وتظلل حياة الجماعة المسلمة قرونا طويلة . . على الرغم من جميع عوامل الانتكاس الأخرى.

ولكي يحطم النبي صلى الله علي وسلم موازين البيئة الجاهلية وقيمها المنبثقة عنها، زوج بنت خالته زينب بنت جحش الأسدية ، لمولاه زيد بن حارثة . ومسألة الزواج والمصاهرة مسألة حساسة شديدة الحساسية . وفي البيئة العربية بصفة خاصة .

وقبل ذلك حينما آخى بين المسلمين في أول الهجرة ، جعل عمه حمزة ومولاه زيدا أخوين . وجعل خالد ابن رويحة الخثعمي وبلال بن رباح أخوين!

وبعث زيدا أميرا في غزوة مؤته ، وجعله الأمير الأول ، يليه جعفر بن أبي طالب ، ثم عبد الله بن رواحه الأنصاري ، على ثلاثة آلاف من المهاجرين والأنصار ، فيهم خالد بن الوليد .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يشيعهم، وهي الغزوة التي استشهد فيها الثلاثة رضي الله عنهم

وكان آخر عمل من أعماله صلى الله عليه وسلم أن أمر أسامة بن زيد على جيش لغزو الروم ، يضم كثرة من المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر وزيراه ، وصاحباه ، والخليفتان بعده بإجمال المسلمين . وفيهم سعد بن أبي وقاص قريبه صلى الله عليه وسلم ومن أسبق قريش إلى الإسلام .

وقد تململ بعض الناس من إمارة أسامة وهو حدث . وفي ذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما- : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم – بعثا أمر عليهم أسامة بن زيد رضي الله عنهما فطعن بعض الناس في إمارته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل . وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلي . وإن هذا لمن أحب الناس إلي ».

ولما لغطت ألسنة بشأن سلمان الفارسي ، وتحدثوا عن الفارسية والعربية ، بحكم إيحاءات القومية الضيقة، ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربته

الحاسمة في هذا الأمر فقال: " **سلمان منا أهل البيت**"[١] فتجاوز به بقيم السماء وميزانها كل أفاق النسب الذي يستعزون به ، وكل حدود القومية الضيقة التي يتحمسون لها . . وجعلة من أهل البيت رأسا!

ولما وقع بين أبي ذر الغفاري وبلال بن رباح رضي الله عنما ما أفلت معه لسان أبي ذر بكلمة " **يا بن السوداء** "[٢] غضب لها رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا؛ وألقاها في وجهه أبي ذر عنيفة مخيفة: « **يا أبا ذر طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل** » ففرق في الأمر إلى جذوره البعيدة .

إما إسلام فهي قيم السماء وموازين السماء، وإما جاهلية فهي قيم الأرض وموازين الأرض!

ووصلت الكلمة النبوية بحرارتها إلى قلب أبي ذر الحساس؛ فانفعل لها أشد الانفعال ، ووضع جبهته على الأرض يقسم ألا يرفعها حتى يطأها بلال . تكفيرا عن قولته الكبيرة!

وكان الميزان الذي ارتفع به بلال هو ميزان السماء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر يا بلال حدثني

---

(١) السلسلة الضعيفة، للألباني، برقم(٣٧٠٤).

(٢) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، للألباني صـ ١٨٨، برقم (٣٠٧)، وقال عنه الألباني: صحيح، وأصل هذا الحديث في صحيح البخاري، فعن المعرور بن سويد قال لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال إني ساببت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم:" يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم" صحيح البخاري، برقم(٢٩) .

بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة قال ما عملت عملا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورا في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي"[1].

وجليبيب وهو رجل من الموالي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب له بنفسه ليزوجه امرأة من الأنصار . فلما تأبى أبواها قالت هي : أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره؟ إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه . فرضيا وزوجاها .

وقد افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوقعة التي استشهد فيها بعد فترة قصيرة من زواجه، عن أبي برزة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في مغزى له فأفاء الله عليه فقال لأصحابه هل تفقدون من أحد قالوا نعم فلانا وفلانا وفلانا ثم قال هل تفقدون من أحد قالوا نعم فلانا وفلانا وفلانا ثم قال هل تفقدون من أحد قالوا لا قال لكني أفقد جليبيبا فاطلبوه فطلب في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فوقف عليه فقال قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه هذا مني وأنا منه قال فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعدا النبي صلى الله عليه وسلم قال فحفر له ووضع في قبره ولم يذكر غسلا [2].

بذلك التوجيه الإلهي وبهذا الهدي النبوي كان الميلاد للبشرية على هذا النحو الفريد . ونشأ المجتمع الرباني الذي يتلقى قيمه وموازينه من السماء ، طليقا من

---

(1) صحيح البخاري (٤/ ٣٢٢)، برقم (١٠٨١) .

(2) صحيح مسلم (١٢/ ٢٥١)، برقم (٤٥١٩).

قيود الأرض ، بينما هو يعيش على الأرض، وكانت هذه هي المعجزة الكبرى للإسلام . المعجزة التي لا تتحقق إلا بإرادة الله ، وبعمل رسوله صلى الله عليه وسلم . والتي تدل بذاتها على أن هذا الدين من عند الله ، وأن الذي جاء به للناس رسول الله"[1].

٢ـ ومن مقتضيات الإيمان باسمي الله "**المقدم والمؤخر**"، أن يحرص العبد على أن يكون متقدما في طاعة الله تعالى، ومتأخرا عن معصيه، وقد كان النبي صلى الله يحث أصحابه على أن يتقدموا إلى طاعة الله تعالى وأن لا يتأخروا عنها، فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في أصحابه تأخرا فقال لهم:" **تقدموا فائتموا بي، وليأتم بكم من بعدكم، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله**" [2]، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار**" [3].

والعبد غير متوقف في سيره إلى الله تعالى فهو إما متقدم أو متأخر، قال العلامة ابن القيم:" فالعبد سائر لا واقف، فإما إلى فوق، وإما إلى أسفل وإما إلى أمام، وإما إلى وراء، وليس في الطبيعة، ولا في الشريعة وقوف البتة. ما هو إلا مراحل تطوى أسرع طي إلى الجنة أو إلى النار، فمسرع ومبطئ، ومتقدم ومتأخر، وليس في الطريق واقف البتة، وإنما يتخالفون في جهة المسير، وفي

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٧/ ٤٥٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها ١/٣٢٥، برقم(٤٣٨) .

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب صف النساء ١/١٨١ ، برقم(٦٧٩)، و صحيح الجامع، برقم(٧٦٩٩).

السرعة والبطء: ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المدثر: ٥٣ – ٧٣] ولم يذكر واقفا؛ إذ لا منزل بين الجنة والنار، ولا طريق لسالك إلى غير الدارين البتة، فمن لم يتقدم إلى هذه بالأعمال الصالحة فهو متأخر إلى تلك بالأعمال السيئة.

فإن قلت: كل مجد في طلب شيء لا بد أن يعرض له وقفة وفتور، ثم ينهض إلى طلبه.

قلت: لا بد من ذلك. ولكن صاحب الوقفة له حالان: إما أن يقف ليجم نفسه، ويعدها للسير، فهذا وقفته سير، ولا تضره الوقفة. فقد قال صلى الله عليه وسلم: "لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة"[1] .

وإما أن يقف لداع دعاه من ورائه، وجاذب جذبه من خلفه، فإن أجابه أخره ولا بد. فإن تداركه الله برحمته، وأطلعه على سبق الراكب له وعلى تأخره، نهض نهضة الغضبان الآسف على الانقطاع، ووثب وجمز واشتد سعيا ليلحق الركب. وإن استمر مع داعي التأخر، وأصغى إليه لم يرض برده إلى حالته الأولى من الغفلة، وإجابة داعي الهوى حتى يرده إلى أسوأ منها وأنزل دركا.

وهو بمنزلة النكسة الشديدة عقيب الإبلال من المرض فإنها أخطر منه وأصعب وبالجملة : فإن تدارك الله سبحانه وتعالى هذا العبد بجذبة منه من يد عدوه وتخليصه وإلا فهو في تأخر إلى الممات راجع القهقرى ناكص على عقيبه أو مول ظهره ولا قوة إلا بالله والمعصوم من عصمه الله "[2].

---

(1) سنن الترمذي، برقم(٢٤٥٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي ، برقم(١٩٩٥).

(2) مدارج السالكين، لابن القيم ١/٢٦٧.

٣- ومن مقتضيات الإيمان باسمي الله "**المقدم والمؤخر**"، أن يدعو المسلم ربه باسميه المقدم والمؤخر، وقد ورد في ذلك مجموعة من الأدعية، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سجد قال: " **اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صورته، وشق سمعه وبصره وتبارك الله أحسن الخالقين، وإذا سلم من الصلاة قال: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني أنت المقدم والمؤخر لا إله إلا أنت** "[١].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء:" **رب اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي، وجهلي وهزلي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير** " [٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل النار دخولا الجنة، مقبل بوجهه قبل النار فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها؟ فيقول: هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك؛ فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق**

([١]) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٣٥ ، برقم(٧٧١) .

([٢]) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:" اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت" ٥/٢٣٥٠، برقم (٦٠٣٥) .

فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة، فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت؟ فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك، فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها، فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول: يا رب أدخلني الجنة فيقول الله: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك، أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله عز وجل منه، ثم يأذن له في دخولالجنة، فيقول: تمن، فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله – عز وجل –: تمن كذا وكذا، أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأماني، قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه "[1].

٤ـ ومن مقتضيات الإيمان باسمي الله "**المقدم والمؤخر**"، أن لا يقدم المسلم شيئا بين يدي الله ورسوله، وأن يكون له حاسية إيمانية في ذلك كما للصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه قال: "لما نزل قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢]، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى

(١) صحيح البخاري في الأذان، باب فضل السجود ١/٢٧٨ ، برقم(٧٧٣) .

الله عليه وسلم ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال: **يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى**؟ قال سعد: إنه لجاري يا رسول الله، وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**بل هو من أهل الجنة**"، فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة"[١] .

(١) صحيح مسلم في الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله ١/١١٠ ، برقم (١١٩) .

٧٨ـ المتكبر، ٧٩ـ الكبير جل جلاله

الجبار من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: معناهما اللغوي

قال أهل اللغة: "**المتكبر**" العظيم ذو الكبرياء، المتعالي عن صفات خلقه، المتكبر على عتاته، والكبير: العظيم الجليل، ويراد به كبر القدرة، يقال: «فلان كبير بني فلان»: أي رئيسهم وعظيمهم ومنه قوله عز وجل: {انا أطعنا سادتنا وكبراءنا} أي عظماءنا ورؤوساءنا. **وكبرياء الله: عظمته وجلاله**، ويقال: «الله أكبر»، وتأويله الله أكبر من كل شيء أي أعظم وأجل.

والمتكبر هو العظيم المتعالي القاهر لعتاة خلقه، إذا نازعوه العظمة قصمهم، والمتكبر هو الذي تكبر عن كل سوء، وتكبر عن ظلم عباده، والتاء في اسم الله المتكبر تاء التفرد والتخصص، وهذه الصفة لا تكون إلا لله خاصة؛ لأن الله عز وجل هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله، وهو الذي يستحق أن يقال له: المتكبر"[١]

فالمعنى اللغوي لاسم الله المتكبر بمعنى، الكبير الذي عظم فكل شيء دونه حقير، ويأتي بمعنى المتعالي عن صفات خلقه، فلا يشبهه أحد منهم.

ثانيا: المعنى الاصطلاحي لاسم الله المتكبر

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٣/٢١٠. المفردات، للراغب الأصفهاني. صـ ٢٥٤ اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ١٥٥، تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج صـ ٢٩.

المعنى الاصطلاحي لهذا الاسم لا يبعد كثيرا عن معناه اللغوي، قال قتادة: "**المتكبر**" أي: تكبر عن كل شر . وقيل: "**المتكبر**" هو الذي تكبر عن ظلم عباده وهو يرجع إلى الأول[١] .

وقال الخطابي: "**المتكبر**: المتعالي عن صفات الخلق. ويقال: هو الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم"[٢]

وقال الإمام ابن القيم :" أهل السنة أثبتوا لله العلو والعظمة بكل اعتبار ومثل هذا وصفه سبحانه بأنه الكبير المتعالي، فالكبير يوصف به الذات وصفاتها القائمة بها"[٣].

وقال الإمام الغزالي:" هو الذي يرى الكل حقيرا بالإضافة إلى ذاته ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد فإن كانت هذه الرؤية صادقة كان التكبر حقا وكان صاحبها متكبرا حقا ولا يتصور ذلك على الإطلاق إلا لله عز وجل وإن كان ذلك التكبر والاستعظام باطلا ولم يكن ما يراه من التفرد بالعظمة كما يراه كان التكبر باطلا ومذموما وكل من رأى العظمة والكبرياء لنفسه على الخصوص دون غيره كانت رؤيته كاذبة ونظره باطلا إلا الله سبحانه"[٤]

---

(١) تفسير الطبري ٣٧/٢٨.

(٢) شأن الدعاء، للخطابي صـ ٤٨.

(٣) الصواعق المرسلة ، لابن القيم، ٤/ ١٣٧٥.

(٤) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٨٦.

ثالثا: ورودهما في القرآن والسنة

لم يرد اسم الله المتكبر إلا في موطن واحد، وذلك في خواتيم سورة الحشر وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الحشر: ٢٣]، قال الإمام الرازي في تفسيره لاسم الله المتكبر:" أما قوله:﴿ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ ﴾ ففيه وجوه **أحدها**: قال ابن عباس: الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله **وثانيها** : قال قتادة : المتعظم عن كل سوء **وثالثها**: قال الزجاج : الذي تعظم عن ظلم العباد **ورابعها**: قال ابن الأنباري: المتكبرة ذو الكبرياء ، والكبرياء عند العرب : الملك ، ومنه قوله تعالى :﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٧٨] ، واعلم أن المتكبر في حق الخلق اسم ذم؛ لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر، وذلك نقص في حق الخلق؛ لأنه ليس له كبر ولا علو، بل ليس معه إلا الحقارة والذلة والمسكنة ، فإذا أظهر العلو كان كاذبا ، فكان ذلك مذموما في حقه

أما الحق سبحانه فله جميع أنواع العلو والكبرياء، فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعلوه ، فكان ذلك في غاية المدح في حقه سبحانه ولهذا السبب لما ذكر هذا الاسم"(١).

وقريبا من معنى اسم الله المتكبر ورد اسم الله الكبير، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم في خمسة مواطن، منها قوله تعالى:﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ

---

(١) تفسير الرازي ٢٩/ ٥١٤.

﴿ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩]، ففي هذه الآية قرن اسم الله الكبير باسمه المتعال، قال الإمام الشوكاني في تفسيره، معنى قوله تعالى" ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ أي: العظيم الذي كل شيء دونه ، المتعالي عما يقوله المشركون، أو المستعلي على كل شيء بقدرته وعظمته وقهره"(١).

وفي هذا الموطن قرن اسم الله الكبير باسمه المتعال، وفي بقية المواطن قرن اسم الله الكبير باسمه العلي، وكقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡۖ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴾، [غافر: ١٢]، قال الإمام الطبري، قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴾ أي: فالقضاء لله العلي على كل شيء، الكبير الذي كل شيء دونه متصاغرا له "(٢).

ومن هذه المواطن قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].

ومن هذه المواطن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣].

وقد ورد اسم الله المتكبر في السنة النبوية، فعن بن عمر: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ

---

(١) تفسير الشوكاني ٤/ ٩١.
(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٣٦٢.

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده ويحركها يقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه" **أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به**"(١).

أما اسم الله الكبير فقد جاء في حديث مصعب بن سعد عن أبيه قال جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني كلاما أقوله قال قل:" **لا إله إلا الله وحده لا شريك له الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا سبحان الله رب العالمين لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم**، قال فهؤلاء لربي فما لي؟ **قال قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني**"(٢).

رابعاً: الآثار الإيمانية لهذين الاسمين

لاسمي الله "**الكبير، والمتكبر**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن ، ومن هذه الآثار ما يلي:

١- من مقتضيات الايمان بهذين الاسمين أن يستشعر المسلم أن الكبرياء والعظمة لله تعالى وحد، قال تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية:٣٧]، وعبد الله بن قيس عن أبيه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن**" (٣) وفي رواية مسلم " **إلا رداء الكبرياء** " (١)؛

---

(١) مسند أحمد، برقم، (٥٤١٤)، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) صحيح مسلم، برقم(٤٨٦٢).

(٣) صحيح البخاري، برقم(٤٥٩٧) .

لهذا توعد الله تعالى المتكبرين من خلقه بنار جهنم، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر:٦٠]، وقال تعالى لهم: ﴿ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار** " [(٢)].

٢- ومن مقتضيات الايمان بهذين الاسمين أن يتواضع المسلم لعباد الله تعالى ولا يتكبر على أحد منهم؛ لأنه لا يتخلق بخلق الكبر إلا من لا يؤمن بلقاء الله تعالى، ولا بيوم الحساب، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر:٢٧].

وأنه ولا يحرص على الكبر إلا من طبع الله على قلبه ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر:٣٥].

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، برقم(١٨٠) .

(٢) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر ٤/٥٩ (٤٠٩٠)، وانظر صحيح الجامع ، برقم(١٩٠٨)

ومما يعين المسلم على التواضع أن يستحضر مصير المتكبرين يوم القيامة، حيث يحشرهم الله على صورة مذلة مهينة؛ بسبب تكبرهم في الأرض، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال**" [١].

ولزيادة عقوبة للمتكبرين يحرم الله عليهم الجنة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس** " [٢].

٣. ومن مقتضيات الايمان بهذين الاسمين أن العبد إذا بان له الحق في مسألة من المسائل، فمن التواضع أن يعود إلى هذا الحق وأن يقبله؛ لأنه لو رد الحق كان من المتكبرين؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "**الكبر بطر الحق وغمط الناس**" [٣]، وقال صلى الله عليه وسلم: "**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**" [٤].

وللإمام ابن القيم كلاما نفيسا يبين فيه معنى التواضع للحق، وأنواع الناس في

---

(١) سنن الترمذي، برقم(٢٤٩٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٨٠٤٠) .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم، (٩١) .

(٣) صحيح مسلم، برقم (٩١).

(٤) صحيح مسلم، برقم، (٢٨٦٥).

تكبرهم على الحق فيقول: "التواضع للدين هو: الانقياد لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والاستسلام له، والإذعان. وذلك بثلاثة أشياء:

الأول: أن لا يعارض شيئا مما جاء به بشيء من المعارضات الأربعة السارية في العالم، المسماة بالمعقول والقياس، والذوق، والسياسة.

فالأول: للمنحرفين أهل الكبر من المتكلمين الذين عارضوا نصوص الوحي بمعقولاتهم الفاسدة، وقالوا: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل وعزلنا النقل، إما عزل تفويض، وإما عزل تأويل.

والثاني: للمتكبرين من المنتسبين إلى الفقه قالوا: إذا عارض القياس والرأي النصوص، قدمنا القياس على النص ولم نلتفت إليه.

والثالث: للمتكبرين المنحرفين من المنتسبين إلى التصوف والزهد فإذا تعارض عندهم الذوق والأمر، قدموا الذوق والحال ولم يعبؤوا بالأمر.

والرابع: للمتكبرين المنحرفين من الولاة والأمراء الجائرين إذا تعارضت عندهم الشريعة والسياسة، قدموا السياسة ولم يلتفتوا إلى حكم الشريعة.

فهؤلاء الأربعة: هم أهل الكبر. والتواضع: التخلص من ذلك كله.

الثاني: أن لا يتهم دليلا من أدلة الدين، بحيث يظنه فاسد الدلالة، أو ناقص الدلالة أو قاصرها، أو أن غيره كان أولى منه، ومتى عرض له شيء من ذلك فليتهم فهمه، وليعلم أن الآفة منه، والبلية فيه.

وما اتهم أحد دليلا للدين إلا وكان هو المتهم الفاسد الذهن، المأفون في عقله وذهنه، فالآفة من الذهن العليل لا في نفس الدليل.

وإذا رأيت من أدلة الدين ما يشكل عليك، وينبو فهمك عنه فاعلم أنه لعظمته وشرفه استعصى عليك، وأن تحته كنزا من كنوز العلم، ولم تؤت مفتاحه بعد هذا في حق نفسك.

وأما بالنسبة إلى غيرك فاتهم آراء الرجال على نصوص الوحي، وليكن ردها أيسر شيء عليك للنصوص، فما لم تفعل ذلك فلست على شيء، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء.

قال الشافعي قدس الله روحه: "أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم يحل له أن يدعها لقول أحد".

الثالث: أن لا يجد إلى خلاف النص سبيلا البتة، لا بباطنه ولا بلسانه ولا بفعله ولا بحاله، بل إذا أحس بشيء من الخلاف فهو كخلاف المقدم على الزنا، وشرب الخمر، وقتل النفس، بل هذا الخلاف أعظم عند الله من ذلك، وهو داع إلى النفاق، وهو الذي خافه الكبار والأئمة على نفوسهم [١].

٤- ومن مقتضيات الايمان بهذين الاسمين أن يأخذ العبد حظه من خلق التكبر بمفهومه الصحيح، بأن يترفع عن كل ما سوى الله تعالى، وأن يترفع عن كل شهوة تشغله عن الله والدار الآخرة، وهذا المعنى للطيف أشار إليه الإمام الغزالي بقوله:" المتكبر من العباد هو الزاهد العارف ومعنى زهد العارف أن يتنزه عما شغل سره عن الحق ويتكبر على كل شيء سوى الحق سبحانه وتعالى، فيكون مستحقرا للدنيا والآخرة جميعا مترفعا عن أن يشغله كلاهما عن الحق تعالى.

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم ٢/٣٣٥، باختصار يسير.

وزهد غير العارف معاملة ومعاوضة فإنه يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة فيترك الشيء عاجلا طمعا في أضعافه آجلا وإنما هو سلم ومبايعة ومن استعبدته شهوة المطعم والمنكح فهو حقير وإن كان ذلك دائما وإنما المتكبر من يستحقر كل شهوة وحظ يتصور أن يساهمه البهائم فيها"[1].

٥- ومن مقتضيات الايمان بهذين الاسمين أن دعاء الله تعالى بهذين الاسمين، وقد وردت عدة أحاديث نبوية تتضمن دعاء الله تعالى باسمه الكبير، فعن أبي أمامة قال: أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحرك شفتي فقال:" **يا أبا أمامة ،ما تصنع ؟**، قال: قلت: أذكر ربي، قال: **أفلا أدلك على شيء هو أفضل من ذكرك الليل مع النهار ، وذكرك النهار مع الليل ؟** **قال:** **قلت: بلى، قال : قل:** **سبحان الله عدد ما خلق الله ، وسبحان الله ملء ما خلق، وسبحان الله عدد ما في السموات والأرض، وسبحان الله ملء ما في السماء والأرض، سبحان الله عدد ما أحصى كتابه، وسبحان الله ملء ما أحصى كتابه ، وسبحان الله عدد كل شيء، والحمد لله عدد ما خلق ، والحمد لله ملء ما خلق، والحمد لله عدد ما في السماء والأرض، والحمد لله ملء ما في السماء والأرض والحمد لله عدد ما أحصى كتابه ، والحمد لله ملء ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد كل شيء ، والحمد لله ملء كل شيء.**

والله أكبر عدد ما خلق والله أكبر ملء ما خلق ، والله أكبر عدد ما في السماء والأرض، والله أكبر ملء ما في السماء والأرض، والله أكبر عدد ما أحصى كتابه ، والله أكبر عدد كل شيء، والله أكبر ملء كل شيء .

---

(1) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ٨٦.

ولا إله إلا الله عدد ما خلق ، ولا إله إلا الله ملء ما خلق، ولا إله إلا الله عدد ما في السماء والأرض ، ولا إله إلا الله ملء ما في السماء والأرض، ولا إله إلا الله عدد ما أحصى كتابه، ولا إله إلا الله عدد كل شيء ، ولا إله إلا الله ملء كل شيء . قلهن – يا أبا أمامة – وعلمهن عقبك فإنهن أفضل من ذكرك الليل مع النهار وذكرك النهار مع الليل"(١)

وعن حذيفة بن اليمان قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من رمضان في حجرة من جريد النخل قال فقام فكبر فقال: **الله أكبر ذو الجبروت و الملكوت و ذو الكبرياء و العظمة**، ثم افتتح البقرة فقرأ فقلت يبلغ رأس المائة ثم قلت يبلغ رأس المائتين قال : ثم افتتح آل عمران فقرأها ثم افتتح النساء فقرأها لا يمر بآية التخويف إلا وقف فتعوذ ثم ركع مثل ما قام يقول: **سبحان ربي العظيم** يرددهن ثم رفع رأسه فقال: **سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد مثل ما ركع**، ثم سجد مثل ما قام يقول : **سبحان ربي الأعلى** و يقول بين السجدتين: رب اغفر لي فما صلى إلا أربع ركعات من صلاة العتمة من أول الليل إلى آخره حتى جاء بلال فأذنه بصلاة الغداة"(٢).

---

(١) الدعوات الكبير، للبيهقي، برقم(١٣١)، وأخرجه النسائي في " عمل اليوم والليلة، برقم (رقم ١٦٦) وابن حبان في صحيحه، برقم (٢٣٣١).

(٢) مستدرك الحاكم، برقم(١٢٠١)، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

٨٠. الأول ٨١ـ الآخر جل جلاله

" **الأول و الآخر**" من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنها في النقاط التالية:

أولا: معناهما اللغوي

قال أهل اللغة:" الأول في اللغة على وزن أفعل، تأسيس فعله من همزة وواو ولام، آل يؤول أولا وقد قيل من واوين ولام، والأول أفصح وهو في اللغة صفة مشبهة للموصوف بالأولية وهو الذي يترتب عليه غيره، والأولية أيضا الرجوع إلى أول الشيء ومبدؤه أو مصدره وأصله.

والآخر: الباقي بعد فناء المخلوقات [١].

قال الراغب في المفردات: " الأول: الذي يترتب عليه غيره ومستعمل على أوجه:

أحدها: المتقدم بالزمان كقولك: عبد الملك أولا ثم منصور.

الثاني: المتقدم بالرياسة في الشيء، وكونه غيره محتذيا به نحو: الأمير أولا ثم الوزير.

الثالث: المتقدم بالوضع والنسبة، كقولك للخارج من العراق: القادسية أولا ثم فيد، وتقول للخارج من مكة: فيد أولا ثم القادسية.

.الرابع: المتقدم بالنظام الصناعي. نحو أن يقال: الأساس أولا ثم البناء"

والآخر: يقابل به **الأول**، وآخر يقابل به لواحد [٢].

---

(١) كتاب العين، للفراهيدي ٨/٣٦٨، واشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي، صـ٢٠٤ـ .

(٢) المفردات، للراغب الأصفهاني، صـ ٣١ .

ثانيا: معناهما في الاصطلاحي

لاسمي الله **الأول والآخر** عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة، وأعظمها تعريف النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال في دعائه:" **اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء**"[١].

ومنها ما قاله الخطابي حيث قال:" **الأول:** هو السابق للأشياء كلها، الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق، فاستحق الأولية، إذ كان موجودا، ولا شيء قبله ولا معه.

والآخر: هو الباقي بعد فناء الخلق.

وليس معنى **الآخر** ما له انتهاء، كما ليس معنى **الأول** ما له ابتداء "[٢].

وقال الزجاج "**الأول:** هو المتقدم للحوادث بأوقات لا نهاية لها، فالأشياء كلها وجدت بعده وقد سبقها كلها، هو المتقدم للحوادث بأوقات لا نهاية لها، فالأشياء كلها وجدت بعده وقد سبقها كلها.

الآخر: هو المتأخر عن الأشياء كلها ويبقى بعدها "[٣]

وقال البيهقي: " **الأول:** هو الذي لا ابتداء لوجوده.

الآخر: هو الذي لا انتهاء لوجوده "[٤] .

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول ثم النوم وأخذ المضجع ٤/٢٠٨٤، برقم(٢٧١٣).

(٢) شأن الدعاء، للخطابي صـ ٨٧.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، صـ ٤٠

(٤) الاعتقاد، للبيهقي صـ ٢١.

وقال الزجاجي: "الله عز وجل **الأول**؛ لأنه كان قبل الأشياء كلها، فهو الأول الذي لم يتقدمه شيء. وهو **الآخر** لأنه الباقي بعد فنائها "(١).

ثالثا: ورودهما في القرآن والسنة

اسمي الله **الأول والآخر** وردا في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣]' قال الإمام الطبري في تفسيره: " **الأول**: هو **الأول**: قبل كل شيء بغير حد، "**الآخر**": بعد كل شيء بغير نهاية، وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه: ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨] "(٢).

وقال الشيخ الطنطاوي:" **الأول**: السابق على جميع الموجودات، إذ هو موجدها ومحدثها إبتداء، فهو موجود قبل كل شيء وجودا لا حد ولا وقت لبدايته.

والآخر أى: الباقي بعد هلاك وفناء جميع الموجودات، وآثر لفظ الآخر على لفظ الباقي ليتم الطباق بين الوصفين المتقابلين"(٣).

وقال ابن أبي العز الحنفي:" قول الطحاوي عن الله تعالى:" **قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء**"، هو معنى اسمه **الأول والآخر**، والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطرة، فإن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته، قطعا للتسلسل، فأنت تشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي، صـ ٢٠٤

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ١٦٨.

(٣) تفسير الطنطاوي، صـ ٤٠٨١.

كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فعدمها ينفي وجودها، ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥]، يقول سبحانه: أحدثوا من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم؟ ومعلوم أن الشيء المحدث لا يوجد نفسه، فالممكن الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكون موجودا بنفسه، بل إن حصل ما يوجده، وإلا كان معدوما، وكل ما أمكن وجوده بدلا عن عدمه، وعدمه بدلا عن وجوده، فليس له من نفسه وجود ولا عدم لازم له"[١].

وعن السر في اقتران اسم الله الأول باسمه الآخر، قال العلامة ابن القيم:" قال الله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٧]، فهداهم أولا فاهتدوا فزادهم هدى ثانيا، وعكسه في أهل الزيغ كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف : ٥] فهذه الإزاغة الثانية عقوبة لهم على زيغهم

وهذا من سر اقتران اسميه "**الأول والآخر**": فهو المعد وهو الممد، ومنه السبب والمسبب وهو الذي يعيذ من نفسه بنفسه كما قال أعرف الخلق به: "**وأعوذ بك منك**" [٢] "[٣]

([١]) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق أحمد شاكر ١/ ١٤٨.

([٢]) صحيح مسلم، برقم (٤٨٦).

([٣]) مدارج السالكين، لابن القيم ١/٣١٣ .

وقال في موطن آخر: "البديات والنهايات كلها تنتهي إلى الله تعالى، كما قال: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢]؛ فانتهت إليه الغايات والنهايات؛ وليس له سبحانه غاية ولانهاية؛ لا في وجوده، ولا في مزيد جوده، إذ هو "**الأول**" الذي ليس قبله شيء، و"**الآخر**" الذي ليس بعده شيء، ولا نهاية لحمده وعطائه؛ بل كلما ازداد له العبد شكرا: زاده فضلا، وكلما ازداد له طاعة: زاده لمجده مثوبة، وكلما ازداد منه قربا: لاح له من جلاله وعظمته ما لم يشاهده قبل ذلك، وهكذا أبدا لا يقف على غاية ولا نهاية، ولهذا جاء: إن أهل الجنة في مزيد دائم بلا انتهاء.

فإن نعيمهم متصل ممن لا نهاية لفضله ولا لعطائه؛ ولا لمزيده، ولا لأوصافه، فتبارك الله ذو الجلال والإكرام القائل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [سورة ص: ٥٤]، والقائل في الحديث القدسي "**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم؛ وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني؛ فأعطيت كل إنسان مسألته: ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**"[١] [٢].

وقد رد اسما الله **الأول والآخر** في السنة، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول**

---

(١) صحيح مسلم ، برقم(٢٥٧٧).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم ٢/٢٦٨.

فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين واغننا من الفقر" [١].

وقد اطلق أهل الكلام وبعض أهل السنة على الله تعالى اسم **القديم**، واستدلوا على ذلك بماء جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان إذا دخل المسجد قال:" **أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، فإذا قال ذلك؛ قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم**"[٢].

والصواب أن القديم ليس من أسماء الله تعالى؛ لأن ذكر القديم جاء في هذا الدعاء على سبيل الإخبار عن الله تعالى، ولم يرد على سبيل التسمية، واسم الله **الأول** أولى وأفضل؛ لأنه الموافق للكتاب والسنة، وهو يدل على القديم وزيادة؛ فـ" **الأول**" يدل على التقدم المطلق على كل شيء، أما **القديم** يعم كل متقدم على غيره في الزمان فقط.

قال شارح الطحاوية:" "وأما إدخال "**القديم** " في أسماء الله تعالى فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام . وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف، منهم ابن حزم، ولا ريب أنه إذا كان مستعملا في نفس التقدم، فإن ما يقدم على الحوادث كلها فهو أحق بالتقدم من غيره، لكن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنى التي تدل

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول ثم النوم وأخذ المضجع ٤/٢٠٨٤، برقم(٢٧١٣).

(٢) صحيح أبي داود، (٢/ ٣٦٤)، برقم(٤٨٥).

على خصوص ما يمدح به ، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها ، فلا يكون من الأسماء الحسنى""(١).

رابعا: الآثار الإيمانية لاسمي الله الأول والآخر

لا سمي الله "**الأول ولآخر**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من مقتضيات الإيمان باسمي الله ﴿ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ﴾ عبادة الله تعالى بمقتضى اسميه ﴿ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ﴾، وقد بين الإمام ابن القيم هذه العبودية بقوله:" فعبوديته باسمه ﴿ ٱلۡأَوَّلُ ﴾ تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب، والوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد، إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، وأي وسيلة كانت هناك، وإنما هو عدم محض، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا.

فمنه سبحانه الإعداد، ومنه الإمداد وفضله سابق على الوسائل. والوسائل من مجرد فضله وجوده؛ لم تكن بوسائل أخرى. فمن نزل اسمه ﴿ ٱلۡأَوَّلُ ﴾ على هذا المعنى أوجب له فقرا خاصا وعبودية خاصة.

وعبوديته باسمه ﴿ وَٱلۡأٓخِرُ ﴾ تقتضي أيضا عدم ركونه ووثوقه بالأسباب والوقوف معها، فإنها تنعدم لا محالة، وتنقضي بالآخرية، ويبقى الدائم الباقي

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق أحمد شاكر ١/ ١٥٣.

بعدها، فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي، والتعلق بـ﴿ وَٱلْآخِرُ ﴾ سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالمتعلق به حقيق أن لا يزول ولا ينقطع، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنى به.

فتأمل عبودية هذين الاسمين وما يوجبانه من صحة الاضطرار إلى الله وحده، ودوام الفقر إليه دون كل شيء سواه، وأن الأمر ابتدأ منه وإليه يرجع، فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وإليه تنتهي الأسباب والوسائل، فهو أول كل شيء وآخره، وكما أنه رب كل شيء وفاعله وخالقه وبارئه، فهو إلهه وغايته التي لا صلاح له، ولا فلاح، ولا كمال إلا بأن يكون وحده غايته ونهايته ومقصوده، فهو الأول الذي ابتدأت منه المخلوقات، والآخر الذي انتهت إليه عبودياتها وإراداتها ومحبتها، فليس وراء الله شيء يقصد ويعبد ويتأله، كما أنه ليس قبله شيء يخلق ويبرأ.

فكما كان واحدا في إيجادك فاجعله واحدا في تألهك إليه لتصح عبوديتك، وكما ابتدأ وجودك وخلقك منه فاجعله نهاية حبك وإرادتك وتألهك إليه لتصح لك عبوديته باسمه ﴿ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ وأكثر الخلق تعبدوا له باسمه ﴿ ٱلْأَوَّلُ ﴾ وإنما الشأن في التعبد له باسمه ﴿ وَٱلْآخِرُ ﴾ فهذه عبودية الرسل وأتباعهم، فهو رب العالمين وإله المرسلين سبحانه وبحمده"[1].

٢ـ ومن مقتضيات الإيمان باسمي الله ﴿ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ دعاء الله بهذين الاسمين، وقد ورد في ذلك بعض الأدعية النبوية، فعن أم سلمة رضي الله عنها

---

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم، صـ ٢٠.

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاء الكلمات:" **اللهم أنت الأول لا شيء قبلك، وأنت الآخر فلا شيء بعدك، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك، وأعوذ بك من الإثم والكسل ومن عذاب القبر ومن فتنة القبر، وأعوذ بك من المأثم والمغرم، اللهم نق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، اللهم باعد بيني وبين خطيئتي كما بعدت بين المشرق والمغرب** " [١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا آوى إلى فراشه قال:" **اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين واغننا من الفقر** " [٢].

٣ـ من مقتضيات الإيمان باسمي الله ﴿ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾، أن يظهر العبد افتقاره إلى الله تعالى في كل عمل يقوم به، فالفضل لله ابتداء وانتهاء فا لله هو الذي وفق العبد للعمل وأعانه عليه، قال العلامة ابن القيم:" والتحقق بمعرفة اسمي الله ﴿ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ يوجب صحة الاضطرار وكمال الافتقار، ويحول بين العبد وبين رؤية الأعمال والأحوال، والخروج عن رق العبودية إلى دعوى ما ليس له، وكيف يدعي مع الله حالا أو مقاما من قلبه، وإرادته وحركته الظاهرة والباطنة

---

(١) مستدرك الحاكم ١/٧٠٥ ، برقم(١٩٢٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد .

(٢) صحيح ابن ماجة ، برقم(٣٨٧٣) .

بيد ربه ومليكه، لا يملك هو منها شيئا، وإنما هي بيد مقلب القلوب ومصرفها كيف يشاء فالإيمان بهذا هو نظام التوحيد، ومتى انحل من القلب انحل نظام التوحيد، فسبحان من لا يوصل إليه إلا به، ولا يطاع إلا بمشيئته، ولا ينال ما عنده من الكرامة إلا بطاعته، ولا سبيل إلى طاعته إلا بتوفيقه ومعونته، فعاد الأمر كله إليه، كما ابتدأ الأمر كله منه، فهو الأول والآخر، والكل مستند إليه إبداعا وإنشاء واختراعا وخلقا وإحداثا وتكوينا وإيجادا وإبداء وإعادة وبعثا، فله الملك كله، هو الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده "[١].

٤- ومن مقتضيات الإيمان باسمي الله ﴿ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾، أن يحرص العبد على أن يكون من الأوائل إلى طاعة الله تعالى، وأن لا يكون من المتأخرين، ومن ذلك أن يصلي الصلاة في أول وقتها، فعن ابن عبد الله مسعود رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال:" **الصلاة لوقتها وبر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله**" [٢].

ومن ذلك أن يحرص على الصف الأول في الصلاة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا**" [٣].

---

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم ٥٣/١ باختصار بتصرف .

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عملا ٢٧٤٠/٦، برقم(٧٠٩٦) .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان ٢٢٢/١ ، برقم(٥٩٠) .

وبالجملة ينبغي للمسلم أن يكون مسارعا إلى الخيرات والطاعات وأن يكون من الأوائل فيها، قال تعالى في وصف عباده السابقين إلى الخيرات من الأنبياء والمرسلين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وقد اقتدى أهل الخيشة بأنبياء الله ورسله فكانوا مسارعين إلى الخيرات، سابقين إليها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

٨٢ـ الظاهر ٨٣ـ الباطن جل جلاله

" **الظاهر والباطن** " من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عننهما في النقاط التالية:

أولا: معناهما اللغوي

١ـ المعنى اللغوي لاسم الله الظاهر

قال أهل اللغة: **الظاهر** في اللغة اسم فاعل لمن اتصف بالظهور، ظهر يظهر ظهورا فهو ظاهر وظهير، الظهر من كل شيء خلاف البطن، وظهارة الثوب ما علا الظهر ولم يل الجسد.

والظهور يرد على عدة معان:

منها العلو والارتفاع يقال: ظهر على الحائط صار فوقه، وظهرت البيت: علوته قال تعالى:﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ [الكهف:٩٧]، أي ما قدروا أن يعلوا عليه لارتفاعه .

والظهور أيضا بمعنى الغلبة، ظهر فلان على فلان أي قوي عليه، ويقال: أظهر الله المسلمين على الكافرين أي أعلاهم عليهم، قال تعالى: ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف١٤]، أي غالبين عالين .

والظهر بمعنى السند والحماية وما يركن إليه يقال: فلان له ظهر أي مال من إبل وغنم، وفلان ظهر بالشيء ظهرا فخر به، وعند البخاري من حديث أبي

هريرة – رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى** "(١).

والمظاهرة المعاونة وظاهر بعضهم بعضا أعانه، قال تعالى: ﴿ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ ﴾ [الممتحنة:٩]، أي عاونوا(٢) .

٢ـ المعنى اللغوي لاسم الله الباطن

قال أهل اللغة:" **الباطن** اسم فاعل لمن اتصف بالبطون، والبطون خلاف الظهور، فعله بطن يبطن بطونا، والبطن من الإنسان وسائر الحيوان خلاف الظهر، والبطن من كل شيء جوفه قال عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ [النحل:٧٨]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ ﴾ [الأنعام:١٣٩]

والبطون أيضا الخفاء والاحتجاب وعدم الظهور، ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ ﴾ [الأنعام:١٥١]، وبطن الشيء أساسه المحتجب الذي تستقر به وعليه الأشياء، وعند مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحدا** " (٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ٢/٥١٨ ، برقم(١٣٦٠) .

(٢) لسان العرب، لابن منظور ٥٢/٤، والمفردات، للراغب الأصفهاني صـ٥٤٠، واشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ١٣٧ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي ١٤٤/١، برقم(٢٣٣).

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ [الفتح: ٢٤]؛ وذلك أن بني هاشم وبني أمية وسادة قريش نزول ببطن مكة، ومن كان دونهم فهم نزول بظواهر جبالها "[١] .

ثانيا: معناهما الاصطلاحي

يكفينا في تعريف اسمه سبحانه **(الظاهر)** قوله صلى الله عليه وسلم: "**أنت الظاهر فليس فوقك شيء**"[٢].

وقال الإمام الطبري: "**الظاهر**" وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء فلا شيء أعلى منه"[٣] .

وقال الزجاج" الظاهر هو الذي ظهر للعقول بحججه وبراهين وجوده وأدلة وحدانيته هذا إن أخذته من الظهور وإن أخذته من قول العرب ظهر فلان فوق السطح إذا علا ، فهو من العلو والله تعالى عال على كل شيء وليس المراد بالعلو ارتفاع المحل لأن الله تعالى يجل عن المحل والمكان وإنما العلو علو الشأن وارتفاع السلطان"[٤].

---

(١) لسان العرب، لابن نظور ١٣٦/١، والمفردات و للراغب الأصفهاني صـ ١٣٠، واشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي صـ١٣٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول ثم النوم ٢٠٨٤/٤، برقم(٢٧١٣) .

(٣) تفسير الطبري ١٢٤/٢٧.

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، صـ ٤١.

وقال ابن الأثير: "الظاهر في أسماء الله هو الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه، وقيل: الظاهر هو الذي عرف بطريق الاستدلال العقلي بما ظهر لهم من آثار أفعاله وأوصافه" [١]

ويتحدث العلامة ابن القيم عن لوازم اسم الله الظاهر فقال رحمه الله: " اسم الله "**الظاهر**" من لوازمه أن لا يكون فوقه شيء كما في الصحيح: "**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**"[٢] .

ولله سبحانه فوق كل شيء فمن جحد فوقيته سبحانه فقد جحد لوازم اسمه "**الظاهر**"، ولا يصح أن يكون "**الظاهر**" هو من له فوقية القدر فقط، كما يقال: الذهب فوق الفضة؛ والجوهر فوق الزجاج، لأن هذه الفوقية تتعلق بالظهور، بل قد يكون المفوق أظهر من الفائق فيها، ولا يصح أن يكون ظهور القهر والغلبة فقط، وإن كان سبحانه ظاهرا بالقهر والغلبة لمقابلة الاسم "**الباطن**" وهو: الذي ليس دونه شيء، كما قابل "**الأول**" الذي ليس قبله شيء؛ بـ"**الآخر**" الذي ليس بعده شيء"[٣].

أما التعريف الاصطلاحي لاسم الله الباطن فقد قال فيه صلى الله عليه وسلم: "**وأنت الباطن فليس دونك شيء**"[٤] .

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ٣/ ١٦٤ .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول ثم النوم ٤/٢٠٨٤ ، برقم(٢٧١٣) .
(٣) مدارج السالكين، لابن القيم ٣١/١.
(٤) سبق تخريجه قبل قليل.

وقال الإمام الطبري: "و"**الباطن**" وهو الباطن لجميع الأشياء فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦]

وقال الزجاج: ""**الباطن**" هو العالم ببطانة الشيء، يقال: بطنت فلانا وخبرته إذا عرفت باطنه وظاهره. والله عارف ببواطن الأمور وظواهرها. فهو ذو الظاهر، وذو الباطن"[١]

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "والباطن: يدل على اطلاعه على السرائر والضمائر والخبايا والخفايا، ودقائق الأشياء، كما يدل على كمال قربه ودنوه، ولا يتنافى الظاهر والباطن؛ لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت؛ فهو العلي في دنوه، القريب في علوه"[٢].

ثانياً: ورودهما في القرآن والسنة

اسمي الله **الظاهر والباطن** لم يذكرا الامرة واحد في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣]، وفي معنى هذين الاسمين قال الحليمي:" **الظاهر**" إنه البادي في أفعاله وهو جل ثناؤه بهذه الصفة، فلا يمكن معها أن يجحد وجوده وينكر ثبوته، وقال أبو سليمان الخطابي: هو الظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة وشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته

---

(١) تفسير اسماء الله الحسنى، للزجاج، صـ ٦١.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى صـ ١٧٠ للشيخ السعدي، دراسة وتحقيق عبيد بن علي العبيد، نشر: الجامعة الإسلامية العدد (١١٢)

وصحة وحدانيته، ويكون الظاهر فوق كل شيء بقدرته، وقد يكون الظهور بمعنى العلو، ويكون بمعنى الغلبة.

و"**الباطن**" الذي لا يحس وإنما يدرك بآثاره وأفعاله، قال الخطابي: وقد يكون معنى الظهور والبطون تجلية لبصائر المتفكرين، واحتجابه عن أبصار الناظرين، وقد يكون معناه العالم بما ظهر من الأمور، والمطلع على ما بطن من الغيوب" [1].

وللإمام الغزالي كلاما نفيسا فيه بيان لمعنى اسمي الله الظاهر والباطن، نذكره هنا بكامله لأهميته ولنفاسته، حيث قال رحمه الله تعالى:" لو نظرت إلى كلمة واحدة كتبها كاتب لاستدللت بها على كون الكاتب عالما قادرا سميعا بصيرا واستفدت منه اليقين بوجود هذه الصفات بل لو رأيت كلمة مكتوبة لحصل لك يقين قاطع بوجود كاتب لها عالم قادر سميع بصير حي ولم يدل عليه إلا صورة كلمة واحدة وكما تشهد هذه الكلمة شهادة قاطعة بصفات الكاتب فما من ذرة في السموات والأرض من فلك وكوكب وشمس وقمر وحيوان ونبات وصفة وموصوف إلا وهي شاهدة على نفسها بالحاجة إلى مدبر دبرها وقدرها وخصصها بخصوص صفاتها.

بل لا ينظر الإنسان إلى عضو من أعضاء نفسه وجزء من أجزائه ظاهرا وباطنا بل إلي صفة من صفاته وحالة من حالاته التي تجري عليه قهرا بغير اختياره إلا ويراها ناطقة بالشهادة لخالقها وقاهرها ومدبرها وكذلك كل ما يدركه بجميع حواسه في ذاته وخارجا من ذاته ولو كانت الأشياء مختلفة في الشهادة

---

(1) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٢٦، و ١/ ٦٢.

يشهد بعضها ولا يشهد بعضها لكان اليقين حاصلا للجميع ولكن لما كثرت الشهادات حتى اتفقت خفيت وغمضت لشدة الظهور ومثاله أن أظهر الأشياء ما يدرك بالحواس وأظهرها ما يدرك بحاسة البصر وأظهر ما يدرك بحاسة البصر نور الشمس المشرق على الأجسام الذي به يظهر كل شيء فما به يظهر كل شيء كيف لا يكون ظاهرا

وقد أشكل ذلك على خلق كثير حتى قالوا الأشياء الملونة ليس فيها إلا ألوانها فقط من سواد وحمرة فأما أن يكون فيها مع اللون ضوء ونور مقارن للون فلا وهؤلاء إنما نبهوا على قيام النور بالمتلونات بالتفرقة التي يدركونها بين الظل وموضع النور وبين الليل والنهار فإن الشمس لما تصور غيبتها بالليل واحتجابها بالأجسام المظلمة بالنهار انقطع أثرها عن المتلونات فأدركت التفرقة بين المتأثر المستضيء بها وبين المظلم المحجوب عنها فعرف وجود النور بعدم النور إذا أضيف حالة العدم إلى حالة الوجود فأدركت التفرقة مع بقاء الألوان في الحالتين ولو أطبق نور الشمس كل الأجسام الظاهرة لشخص ولم تغب الشمس حتى يدرك التفرقة لتعذر عليه معرفة كون النور شيئا موجودا زائدا على الألوان مع أنه أظهر الأشياء بل هو الذي به يظهر جميع الأشياء

ولو تصور لله تعالى وتقدس عدم أو غيبة عن بعض الأمور لانهدت السموات والأرض وكل ما انقطع نوره عنه ولأدركت التفرقة بين الحالتين وعلم وجوده قطعا ولكن لما كانت الأشياء كلها متفقة في الشهادة والأحوال كلها مطردة على نسق واحد كان ذلك سببا لخفائه.

فلا تتعجبن من هذا في صفات الله تعالى وتقدس فإن المعنى الذي به الإنسان إنسان ظاهر باطن فإنه ظاهر إن استدل عليه بأفعاله المرتبة المحكمة باطن إن طلب من إدراك الحس فإن الحس إنما يتعلق بظاهر بشرته وليس الإنسان إنسانا بالبشرة المرئية منه بل لو تبدلت تلك البشرة بل سائر أجزائه فهو هو والأجزاء متبدلة ولعل أجزاء كل إنسان بعد كبره غير الأجزاء التي كانت فيه عند صغره فإنها تحللت بطول الزمان وتبدلت بأمثالها بطريق الاغتذاء وهويته لم تتبدل فتلك الهوية باطنة عن الحواس ظاهرة للعقل بطريق الاستدلال عليها بآثارها وأفعالها.

فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفي عليهم بشدة ظهوره فهو الظاهر الذي لا أظهر منه وهو الباطن الذي لا أبطن منه "[1].

وقد اقترنا اسما الله **الظاهر** و**الباطن** باسميه **الأول ولا آخر** وعن سر هذا الاقتران قال العلامة ابن القيم:" ، هذه الأسماء هي أركان العلم والمعرفة، فحقيق بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى حيث تنتهي به قواه وفهمه، فالعبد له أول وآخر وظاهر وباطن، بل كل شيء له أول وآخر وظاهر وباطن، حتى الخطرة واللحظة والنفس وأدنى من ذلك وأكثر، فأولية الله – عز وجل – سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته سبقه لكل شيء وآخريته بقاؤه بعد كل شيء وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه،

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ١٨٤.

وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة

وهي إحاطتان: زمانية ومكانية، فإحاطة أوليته وآخريته بالقبلية والبعدية فكل سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله من ورائه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده، فالأول أزله، والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته والباطن قربه ودنوه، فسبق كل شيء بأوليته، وبقى بعد كل شيء بآخريته، وعلا على كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه، فلا تواري منه سماء سماء، ولا أرض أرضا، ولا يحجب عنه ظاهر باطنا، بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية، فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد، فهو الأول في آخريته والآخر في أوليته، والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره، لم يزل أولا وآخرا وظاهرا وباطنا [1].

أم في السنة النبوية فقد ورد هذان الاسمان في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر**

---

(1) طريق الهجرتين، لابن القيم ٤٩/١ بتصرف .

فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وإغننا من الفقر" [1].

رابعا: الآثار الإيمانية لهذين الاسمين"

لا سمي الله "**الظاهر والباطن**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١- ومن مقتضيات الإيمان باسمي الله "**الظاهر والباطن**"، التعبد لله باسمه الظاهر والباطن، قال العلامة ابن القيم:" والمقصود با التعبد باسم الله "**الظاهر**" أن يجمع القلب على المعبود، ويجعل له ربا يقصده، وصمدا يصمد إليه في حوائجه، وملجأ يلجأ إليه. فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه **(الظاهر)** استقامت له عبوديته، وصار له معقل وموئل يلجأ إليه، ويهرب إليه، ويفر في كل وقت إليه.

وأما تعبده باسمه **(الباطن)** فأمر يضيق نطاق التعبير عن حقيقته، ويكل اللسان عن وصفه، وتصطلم الإشارة إليه، وتجفو العبارة عنه، فإنه يستلزم معرفة بريئة من شوائب التعطيل، مخلصة من فرث التشبيه، منزهة عن رجس الحلول والاتحاد، وعبارة مؤدية للمعنى كاشفة عنه، وذوقا صحيحا سليما من أذواق أهل الانحراف. فمن رزق هذا فهم معنى اسمه **(الباطن)** وصح له التعبد له.

وسبحان الله كم زلت في هذا المقام أقدام، وضلت فيه أفهام، وتكلم فيه الزنديق بلسان الصديق، واشتبه فيه إخوان النصارى بالحنفاء المخلصين، لنبو الأفهام

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول ثم النوم وأخذ المضجع ٤/٢٠٨٤، برقم(٢٧١٣).

عنه، وعزة تخلص الحق من الباطل فيه، والتباس ما في الذهن بما في الخارج إلا على من رزقه الله بصيرة في الحق، ونورا يميز به بين الهدى والضلال، وفرقانا يفرق به بين الحق والباطل، ورزق مع ذلك اطلاعا على أسباب الخطأ وتفرق الطرق ومثار الغلط، وكان له بصيرة في الحق والباطل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وباب هذه المعرفة والتعبد هو معرفة إحاطة **(الرب)** سبحانه بالعالم وعظمته، وأن العوالم كلها في قبضته، وأن السماوات السبع والأرضين السبع في يده كخردلة في يد العبد، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾ [البروج: ٢٠]، ولهذا يقرن سبحانه بين هذين الاسمين الدالين على هذين المعنيين: اسم العلو الدال على أنه **(الظاهر)** وأنه لا شيء فوقه، واسم العظمة الدال على الإحاطة وأنه لا شيء دونه، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الشورى: ٤]، وقال عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [البقرة: ١١٥][1].

وقال رحمه الله تعالى في موطن آخر: "وأما التعبد باسم الله **(الباطن)** فإذا شهدت إحاطته بالعوالم وقرب البعيد منه، وظهور البواطن له، وبدو السرائر وأنه

([1]) طريق الهجرتين، لابن القيم صـ ٣٢.

لا شيء بينه وبينها فعامله بمقتضى هذا الشهود، وطهر له سريرتك فإنها عنده علانية، وأصلح له غيبك فإنه عنده شهادة، وزك له باطنك فإنه عنده ظاهر "[١] .

٢ـ ومن مقتضيات الإيمان باسمي الله "**الظاهر والباطن**"، الإيمان بأن الله مظهر دينه ومعز أوليائه ولوكره المشركون، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣]، قال سيد قطب في ظلاله:" المقصود بدين الحق هو الدينونة لله وحده في الاعتقاد والشعائر والشرائع وهذه هي قاعدة دين الله كله ، وهو الدين الممثل أخيرا فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فأيما شخص أو قوم لم يدينوا لله وحده في الاعتقاد والشعائر والشرائع مجتمعة؛ انطبق عليهم أنهم لا يدينون دين الحق.

وفي هذه الآية توكيد لوعد الله الأول الذي قال به: ﴿ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢] ، ولكن في صورة أكثر تحديدا. فنور الله الذي قرر سبحانه أن يتمه، هو دين الحق الذي أرسل به رسوله ليظهره على الدين كله .

ودين الحق هو الدينونة لله وحده في الاعتقاد والعبادة والتشريع مجتمعة . وهو متمثل في كل دين سماوي جاء به رسول من قبل. ولا يدخل فيه طبعا تلك الديانات المحرفة المشوهة المشوبة بالوثنيات في الاعتقاد التي عليها اليهود والنصارى اليوم .

---

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم ، صـ ٢٦.

كما لا تدخل فيه الأنظمة والأوضاع التي ترفع لافتة الدين، وهي تقيم في الأرض أربابا يعبدها الناس من دون الله ، في صورة الاتباع للشرائع التي لم ينزلها الله .

ويجب أن نفهم "**الدين** " بمدلوله الواسع؛ لندرك أبعاد هذا الوعد الإلهي ومداه، إن "**الدين** " هو « الدينونة » فيدخل فيه كل منهج وكل مذهب وكل نظام يدين الناس له بالطاعة والاتباع والولاء .

والله سبحانه يعلن قضاءه بظهور دين الحق الذي أرسل به رسوله على "**الدين** "كله بهذا المدلول الشامل العالم، إن الدينونة ستكون لله وحده، لظهور سيكون للمنهج الذي تتمثل فيه الدينونة لله وحده .

ولقد تحقق هذا مرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه ومن جاء بعدهم فترة طويلة من الزمان وكان دين الحق أظهر وأغلب؛ وكانت الأديان التي لا تخلص فيها الدينونة لله تخاف وترجف! ثم تخلى أصحاب دين الحق عنه؛ خطوة فخطوة بفعل عوامل داخلة في تركيب المجتمعات الإسلامية من ناحية وبفعل الحرب الطويلة المدى ، المنوعة الأساليب، التي أعلنها عليه أعداؤه من الوثنيين وأهل الكتاب سواء.

ولكن هذه ليست نهاية المطاف إن وعد الله قائم، ينتظر العصبة المسلمة، التي تحمل الراية وتمضي مبتدئة من نقطة البدء، التي بدأت منها خطوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحمل دين الحق ويتحرك بنور الله"[١] .

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب٤/ ٢٢، باختصار

٣ـ ومن مقتضيات الإيمان باسمي الله "**الظاهر والباطن**"، دعاء الله تعالى باسميه "**الظاهر والباطن**"، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين واغننا من الفقر** " (١).

وفي هذا المقام يمكن دعاء الله تعالى بالمعنى الذي دل عليه اسمه الظاهر، فمعنى الظاهر المعين والظهير والملجأ والنصير، فعن معاذ ابن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال:" **يا معاذ والله إني لأحبك، والله إني لأحبك فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** " (٢) .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له:" **إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت،**

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول ثم النوم وأخذ المضجع ٢٠٨٤/٤ ، برقم(٢٧١٣).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار ٨٦/٢ ، برقم (١٥٢٢)، وهو في صحيح الجامع ، برقم(٧٩٦٩) .

وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به " [١].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نقول:" **اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك لسانا صادقا وقلبا سليما وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسألك من خير ما تعلم، وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب** " [٢]

كما يمكن دعاء الله تعالى بالمعنى الذي دل عليه اسمه الباطن، فمعنى الباطن هو العليم القريب الذي يسمع السر وأخفى، وهو أقرب إلى عبده من حبل الوريد، ومما يمكن الدعاء به في هذا المقام ما دعا به النبي صلى الله عليه وسلم ، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت** "[٣].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس:" **إذا كان غداة الاثنين فأتني أنت وولدك حتى أدعو لهم بدعوة**

([١]) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء ١/٩٧ ، برقم (٢٤٤) .
([٢]) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، وهو في السلسلة الصحيحة، برقم (٣٢٢٨) .
([٣]) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٣٥ ، برقم(٧٧١) .

ينفعك الله بها وولدك، فغدا وغدونا معه وألبسنا كساء ثم قال: اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا، اللهم احفظه في ولده " [١] .

---

(١) سنن الترمذي، برقم (٢٩٦٢)، وسنده حسن.

٨٤ـ الحكم ٨٥ـ الحاكم جل جلاله

الحكم والحاكم ، من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذه الاسماء في النقاط التالية:

أولا: المعني اللغوي لهذين الاسمين

قال أهل اللغة :" من أسماء الله تعالى الحكم، الحكيم، وهما بمعنى الحاكم وهو القاضي، وهو الذي يحكم الأشياء ويتقنها، وأصل: (ح ك م) في الكلام: المنع، وسمي الحاكم حاكم؛ لأنه يمنع الخصمين من التظالم وحكمة الدابة سميت حكمة لأنها تمنعها من الجماح.

والحكم بفتحتين هو الحاكم، وحكمه في ماله تحكيما إذا جعل إليه الحكم فيه، واحتكموا إلى الحاكم وتحاكموا بمعنى واحد قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، والحكم القضاء بالعدل قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ ﴾ [النساء:٥٨]، والحكم العلم والفقه، قال تعالى:﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم:١٢]، والمحاكمة هي المخاصمة إلى الحاكم. [1].

وقد يقول قائل: مال الفرق بين اسم الله الحكم واسمه الحاكم؟، وللإجابة عن هذا التساؤل قال أهل اللغة:" الحكم في اللغة من صيغ المبالغة لاسم الفاعل الحاكم،

(١) لسان العرب، لابن منظور ١٢/ ١٤٠، وكتاب العين، للفراهيدي ٣/٦٦، والمغرب، للمطرزي ١/ ٢١٨، تفسير الأسماء، للزجاج صـ ٤٣.

وهو الذي يحكم ويفصل ويقضي في سائر الأمور، فعله حكم يحكم حكما، وقيل: إن والحكم والحاكم بمعنى واحد"[١] .

وقال الإمام القرطبي:" قيل: إن الحكم أبلغ من الحاكم؛ إذ لا يستحق التسمية بحكم إلا من يحكم بالحق؛ لأنها صفة تعظيم في مدح، والحاكم جارية على الفعل فقد يسمى بها من يحكم بغير الحق"[٢].

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "ويقال: حاكم وحكم لمن يحكم بين الناس، والحكم: المتخصص بذلك، فهو أبلغ. وقال الله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤][٣] .

ثانيا: المعني الاصطلاحي لهذين الاسمين

لاسمي الله الحكم والحاكم وردت عدت تعريفات اصطلاحية متقاربة ومن ذلك ما ذكرة الإمام الغزالي، حيث قال:" **الحكم والحاكم**، هو القاضي الذي لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، ومن حكمه في حق العباد أن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى، وأن الأبرار لفي نعيم وأن الفجار لفي جحيم.

ومعنى حكمه للبر والفاجر بالسعادة والشقاوة أنه جعل البر والفجور سببا يسوق صاحبهما إلى السعادة والشقاوة، كما جعل الأدوية والسموم أسباب تسوق متناوليها إلى الشقاء والهلاك، وإذا كان معنى الحكمة ترتيب الأسباب وتوجيهها

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ١٢/ ١٤٠، تفسير الأسماء، للزجاج صـ ٤٣.

(٢) تفسير القرطبي ٧/٧٠.

(٣) المفردات، للراغب الأصفهاني صـ ١٢٧.

إلى المسببات كان المتصف بها على الإطلاق حكما مطلقا لأنه مسبب كل الأسباب جملتها وتفصيلها"[١].

وقال الأمام القرطبي:" فالحكم من له الحكم و، هو تنفيذ القضايا وإمضاء الأوامر والنواهي وذلك بالحقيقة هو الله تعالى، فهذا الاسم يرجع تارة إلى معنى الإرادة، وتارة إلى معنى الكلام، وتارة إلى الفعل، فأما رجوعه إلى الإرادة فإن الله تعالى حكم في الأزل بما اقتضته إرادته ونفذ القضاء في اللوح المحفوظ، يجري القلم فيه على وفاق حكم الله، ثم جرت الأقدار في الوجود بالخير والشر والعرف والنكر على وفاق القضاء والحكم، وإذا كان راجعا إلى معنى الكلام فيكون معناه المبين لعباده في كتابه ما يطالبهم به من أحكامه كما يقال لمن يبين للناس الأحكام وينهج لهم معاني الحلال والحرام حكم.

وعلى هذا فلا يكون في الوجود حكم إلا كتابه، فعنده يوقف إذ هو الحكم العدل، وإذا كان راجعا إلى الفعل فيكون معناه الحكم الذي ينفذ أحكامه في عباده بإشقائه إياهم وإسعاده وتقريبه إياهم وإبعاده على وفق مراده"[٢].

وقال الخطابي، حيث قال:" الحكم: الحاكم، وحقيقته هو الذي سلم له الحكم، ورد إليه فيه الأمر، كقوله تعالى: ﴿ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٤٦] "[٣].

وقال الإمام ابن كثير:" **أحكم الحاكمين**" الذي لا يجور ولا يظلم أحدا"[١].

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١١٣.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي ١/٤٣٨ .

(٣) شأن الدعاء ص ٦١.

وقال ابن القيم في نونيته:

والحكم شرعي وكوني ولا يتلازمان وما هما سيان

بل ذاك يوجد دون هذا مفردا والعكس أيضا ثم يجتمعان

لن يخلو المربوب من إحداهما أو منهما بل ليس ينتفيان

لكنما الشرعي محبوب له أبدا ولن يخلو من الأكوان

هو أمره الديني جاءت رسله بقيامه في سائر الأزمان

لكنما الكوني فهو قضاؤه في خلقه بالعدل والإحسان

هو كله حق وعدل ذو رضا والشأن في المقضي كل الشان [٢] .

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "ومن أسماء الله **الحكم** العدل الذي يحكم بين عباده في الدنيا، والآخرة بعدله، وقسطه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمل أحدا وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا وصل إليه حقه.

وهو العدل في تدبيره، وتقديره: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦].

والحكم العدل الذي إليه الحكم في كل شيء فيحكم تعالى بشرعه، ويبين لعباده جميع الطرق التي يحكم بها بين المتخاصمين، ويفصل بين المتنازعين، من الطرق العادلة الحكيمة، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويحكم فيها بأحكام القضاء، والقدر، فيجري عليهم منها ما تقتضيه حكمته، ويضع الأشياء

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٢٧/٤.

(٢) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ٢١٨/٢ .

مواضعها وينزلها منازلها، ويقضي بينهم يوم الجزاء، والحساب، فيقضي بينهم بالحق، ويحمده الخلائق على حكمه حتى من قضى عليهم بالعذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مثقال ذرة"(١).

ثالثاً: ورود هذين الاسمين في القرآن والسنة

ورد اسم الله الحاكم في القرآن في خمسة مواضع، وقد ورد بصيغة التفضيل، وهذه المواضع هي قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٧]،

قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" لقد دعاهم نبي الله شعيب إلى أعدل خطة . ولقد وقف عند آخر نقطة لا يملك أن يتراجع وراءها خطوة . . نقطة الانتظار والتريث والتعايش بغير أذى، وترك كلٍّ وما اعتنق من دين، حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

ولكن الطواغيت لا يرضيهم أن يكون للإيمان في الأرض وجود ممثل في جماعة من الناس لا تدين للطاغوت إن وجود جماعة مسلمة في الأرض، لا تدين إلا لله ، ولا تعترف بسلطان إلا سلطانه، ولا تحكم في حياتها شرعاً إلا شرعه ، ولا تتبع في حياتها منهجاً إلا منهجه، إن وجود جماعة مسلمة كهذه يهدد سلطان الطواغيت – حتى لو انعزلت هذه الجماعة في نفسها، وتركت الطواغيت لحكم الله حين يأتي موعده .

---

(١) توضيح الكافية الشافية صـ ١٢٧، والحق الواضح المبين صـ ٨٠، وكلاهما للسعدي.

إن الطاغوت يفرض المعركة فرضاً على الجماعة المسلمة – حتى لو آثرت هي ألا تخوض معه المعركة – إن وجود الحق في ذاته يزعج الباطل، وهذا الوجود ذاته هو الذي يفرض عليه المعركة مع الباطل، إنها سنة الله لا بد أن تجري.

ذلك ليعلم أصحاب الدعوة إلى الله أن المعركة مع الطواغيت مفروضة عليهم فرضاً، وأنه لا يجديهم فتيلاً أن يتقوها ويتجنبوها، فالطواغيت لن تتركهم إلا أن يتركوا دينهم كلية، ويعودوا إلى ملة الطواغيت بعد إذ نجاهم الله منها . وقد نجاهم الله منها بمجرد أن خلعت قلوبهم عنها العبودية للطواغيت ودانت بالعبودية لله وحده، فلا مفر من خوض المعركة، والصبر عليها، وانتظار فتح الله بعد المفاصلة فيها؛ وأن يقولوا مع شعيب:﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩] ثم تجري سنة الله بما جرت به كل مرة على مدار التاريخ"(١) .

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله الحاكم قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾[يونس: ١٠٩]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ذكره: واتبع يا محمد وحي الله الذي يوحيه إليك، وتنزيله الذي ينزله عليك، فاعمل به، واصبر على ما أصابك في الله من مشركي قومك من الأذى والمكاره ، وعلى ما نالك منهم، حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره بفعلٍ فاصلٍ ﴿ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾، أي: وهو خير القاضين وأعدل

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٣/ ٢٥٠، ٣/ ٢٣٧.

الفاصلين، فحكم جل ثناؤه بينه وبينهم يوم بَدْرٍ، وقتلهم بالسيف، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم فيمن بقي منهم أن يسلك بهم سبيل من أهلك منهم، أو يتوبوا ويُنيبوا إلى طاعته"(١).

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله الحاكم قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[هود: ٤٥]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" معنى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ ﴾ دعاه ، والمراد: أراد دعاءه، بدليل الفاء في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ وعطف الشيء على نفسه غير سائغ، فلا بدّ من التقدير المذكور، ومعنى قوله: ﴿ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ أنه من الأهل الذين وعدتني بتنجيتهم، ﴿ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أي : أتقن المتقنين لما يكون به الحكم، فلا يتطرق إلى حكمك نقض، وقيل : أراد بـ﴿ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أعلمهم وأعدلهم: أي : أنت أكثر علماً وعدلاً من ذوي الحكم . وقيل : إن الحاكم بمعنى : ذي الحكمة كدارع:(٢) .

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله الحاكم قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [يوسف: ٨٠]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" أي: فلما

(١) تفسير الطبري ١٥/ ٢٢١.

(٢) تفسير الشوكاني ٣/ ٤٥٣، باختصار.

استيأس إخوة يوسف من يوسف أن يسمح لهم بأخيهم ﴿ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾ أي: اجتمعوا وحدهم، ليس معهم غيرهم، وجعلوا يتناجون فيما بينهم، فـ ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ في حفظه، وأنكم تأتون به إلا أن يحاط بكم ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ ، فاجتمع عليكم الأمران، تفريطكم في يوسف السابق، وعدم إتيانكم بأخيه باللاحق، فليس لي وجه أواجه به أبي.

﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: سأقيم في هذه الأرض ولا أزال بها ﴿ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ﴾أي: يقدر لي المجيء وحدي، أو مع أخي ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾، فينصر المحق، ويوقع العقوبة على المبطل"[1].

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله الحاكم قوله تعالى: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾ [التين: ٧ – ٨]، قال الإمام ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية:" تفسير ابن الجوزي:" قوله تعالى : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ فيه قولان

أحدهما: فما يكذِّبك أيها الإنسان بعد هذه الحجة "**بالدِّين**" أي: ما الذي يجعلك مكذِّباً بالجزاء؟! وهذا توبيخ للكافر، وهو معنى قول مقاتل، وزعم أنها نزلت في عدي بن ربيعة.

---

(١) تفسير السعدي صـ ٤٠٣.

والثاني: فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعدما تبين له خلقُنا الإنسان على ما وصفنا ، قاله الفراء . فأما **بالدِّين**" فهو الجزاء، والمشار بذكره إلى البعث، كأنه استدل بتقليب الأحوال على البعث .

قوله تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أي: بأقضى القاضين، قال مقاتل : يحكم بينك وبين مكذِّبيك"(١) .

أما اسم الله الحكم، فلم يرد إلا في موضع واحد وهذا الموضع هو قوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٤]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" إنه سؤال على لسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للاستنكار، استنكار أن يبتغي حكما غير الله في شأن من الشؤون على الإطلاق . وتقرير لجهة الحاكمية في الأمر كله ، وإفرادها بهذا الحق الذي لا جدال فيه . ونفي أن يكون هناك أحد غير الله يجوز أن يتجه إليه طالبا حكمه في أمر الحياة كله .

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾.

ثم تفصيل لهذا الإنكار، وللملابسات التي تجعل تحكيم غير الله شيئاً مستنكراً غريبا. إن الله لم يترك شيئاً غامضاً؛ ولم يجعل العباد محتاجين إلى مصدر

---

(١) تفسير ابن الجوزي، ٦/ ١٧٣.

آخر ، يحكمونه في ما يعرض لهم من مشكلات الحياة : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ ﴾،

لقد نزل هذا الكتاب ليحكم بالعدل بين الناس فيما اختلفوا فيه، ولتتمثل فيه حاكمية الله وألوهيته.

ثم لقد نزل هذا الكتاب مفصلا، محتويا على المبادئ الأساسية التي يقوم عليها نظام الحياة جملة، كما أنه تضمن أحكاماً تفصيلية في المسائل التي يريد الله تثبيتها في المجتمع الإنساني مهما اختلفت مستوياته الاقتصادية والعلمية والواقعية جملة .

وبهذا وذلك كان في هذا الكتاب غناء عن تحكيم غير الله في شأن من شؤون الحياة هذا ما يقرره الله – سبحانه – عن كتابه، فمن شاء أن يقول: إن البشرية في طور من أطوارها لا تجد في هذا الكتاب حاجتها فليقل، ولكن ليقل معه: إنه – والعياذ بالله – كافر بهذا الدين ، مكذب بقول رب العالمين.

ثم إن هناك مِن حولهم ملابسة أخرى تجعل ابتغاء غير الله حكما في شأن من الشؤون أمراً مستنكرا غريبا، إن الذين أوتوا الكتاب من قبل يعلمون أن هذا الكتاب منزل من عند الله ، وهم أعرف بالكتاب لأنهم من أهل الكتاب :﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ولقد كانت هذه ملابسة حاضرة في مكة وفي الجزيرة ، يخاطب الله بها المشركين، سواء أقر أهل الكتاب بها وجهروا – كما وقع من بعضهم مّمن شرح الله صدره للإسلام – أو كتموها وجحدوها – كما وقع من بعضهم – فالأمر في الحالين واحد؛ وهو إخبار الله

سبحانه - وخبره هو الصدق - أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من ربه بالحق، فالحق محتواه؛ كما أن الحق متلبس بتنزيله من الله.

وما يزال أهل الكتاب يعلمون أن هذا الكتاب منزل من الله بالحق، وما يزالون يعلمون أن قوة هذا الدين إنما تنبثق من هذا الحق الذي يتلبس به، ومن هذا الحق الذي يحتويه . وما يزالون - من أجل علمهم بهذا كله - يحاربون هذا الدين، ويحاربون هذا الكتاب، حرباً لا تهدأ، وأشد هذه الحرب وأنكاها، هو تحويل الحاكمية عن شريعة هذا الكتاب؛ إلى شرائع كتب أخرى من صنع البشر، وجعل غير الله حكما، حتى لا تقوم لكتاب الله قائمة، ولا يصبح لدين الله وجود، وإقامة ألوهيات أخرى في البلاد التي كانت الألوهية فيها لله وحده؛ يوم كانت تحكمها شريعة الله التي في كتابه؛ ولا تشاركها شريعة أخرى، ولا يوجد إلى جوار كتاب الله كتب أخرى، تستمد منها أوضاع المجتمع، وأصول التشريعات، ويرجع إليها ويستشهد بفقراتها كما يستشهد المسلم بكتاب الله وآياته! وأهل الكتاب - من صليبيين وصهيونيين - من وراء هذا كله؛ ومن وراء كل وضع وكل حكم يقام لمثل هذه الأهداف الخبيثة!

وحين يقرر السياق أن هذا الكتاب أنزله الله مفصلا؛ وأن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من الله بالحق ، يلتفت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن وراءه من المؤمنين به؛ يهون عليه وعليهم شأن التكذيب والجدل الذي يجدونه من المشركين؛ وشأن الكتمان والجحود الذي يجدونه من بعض أهل الكتاب :﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾، وما شك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا امترى . ولقد ورد أنه - صلى الله عليه وسلم - عندما نزل الله عليه : ﴿ فَإِن

كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس: ٩٤] قال:" **لا أشك ، ولا أسأل** "[١].

ولكن هذا التوجيه وأمثاله؛ وهذا التثبيت على الحق ونظائره؛ تدل على ضخامة ما كان يلقاه – صلى الله عليه وسلم – والجماعة المسلمة معه من الكيد والعنت والتكذيب والجحود؛ ورحمة الله – سبحانه – به وبهم بهذا التوجيه والتثبيت"[٢] .

وقد ورد اسم الله الحكم في السنة النبوية، فعن شريح بن هانئ قال: حدثني هانئُ بن يزيد، أنه لما وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه فسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم و هم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه النبي صلى الله عليه و سلم فقال: "**إن الله هو الحكم، وإليه الحكم، فلم تكنّيت بأبي الحكم؟**". قال: لا، لكن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين. قال: "**ما أحسن هذا!**". ثم قال: "**مالك من الولد؟**". قلت: لي شريح، وعبد الله، ومسلم قال: "**فمن أكبرهم؟**" قلت: شريح. قال: "**فأنت أبو شريح**"، ودعا له ولولده"[٣]، فهذا الحديث النبوي نص صريح في إثبات اسم الله الحكم .

رابعاً: الآثار الإيمانية لهذين الاسمين

لهذين الاسمين آثار إيمانية ينبغي أن تظهر في سلوك المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٠٢/١٥) عن معمر عن قتادة مرسلا.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٣/ ١٣٠.

(٣) صحيح الأدب المفرد، للألباني(١/ ٣٠٣)، برقم(٦٢٧)

١ـ من الآثار الإيمانية لهذين الاسمين أن يتحاكم المسلمون إلى شرع الله تعالى، وأن يرضوا بحكمه وأن يسلموا له، وأن لا يجدوا في صدورهم حرجا من حكم الله تعالى ولو خالف رغباتهم وشهواتهم، فقد خاصم الزبير بن العوام - رضي الله عنه - رجل من الأنصار، اختلفا على قناة الماء التي تروي أرضهما، وكانت أرض الزبير قبل أرضه والماء يمر أولا على نخله، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يسقي الزبير أرضه ثم يرسل الماء لجاره، فغضب الأنصاري، وادعى أن الحكم محسوبية وأنه - صلى الله عليه وسلم - حكم لصالح الزبير - رضي الله عنه - عصبية من أجل أنه مكي من المهاجرين، فغضب النبي - صلى الله عليه وسلم - وتلون وجهه، وأمر الزبير أن يسق أرضه حتى يغطي الماء أصول نخله ويبلغ في أرضه إلي مقدار الكعبين ولا عليه من فعل الأنصاري أو قوله.

وفي رواية: أن رجلا من الأنصار خاصمه في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري: سرح الماء يمر فأبي عليه فاختصما عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للزبير: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلي جارك، فغضب الأنصاري وقال: أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلي الجدر، فاستوعى للزبير حقه في صريح الحكم، فقال الزبير، والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا

يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ٦٥] (١).

٢- ومن الآثار الإيمانية لهذين الاسمين أن لا يقدم المسلمون أحكام البشر وقوانينهم الوضعية على حكم الله تعالى وشرعة، فكما أن الله تعالى لا شريك له في عبادته، فهو أيضاً لا شريك له في حكمة، وقد دلت على ذلك نصوص كثير، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٢٦]،، وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى:" "اعلم أن الله – عز وجل – بين في آيات كثيرة صفات من يستحق أن يكون الحكم له، فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة التي سنوضحها الآن – إن شاء الله – ويقابلها مع صفات البشر المشرعين للقوانين الوضعية، فينظر هل تنطبق عليهم صفات من له التشريع؟

فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله هنا: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٠]، ثم قال مبينا صفات من له الحكم: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) صحيح البخاري في المساقاة، باب سكر الأنهار ٢/٨٣٢، برقم (٢٢٣١) .

وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ } [الشورى: ١٠ – ١٢].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين للنظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوض إليه الأمور، ويتوكل عليه، وأنه فاطر السماوات والأرض، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجا، وخلق لهم أزواج الأنعام الثمانية المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ، وأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وأنه: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ [الزمر: ٦٣].

فعليكم أيها المسلمون أن تتفهموا صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم، ولا تقبلوا تشريعا من كافر خسيس حقير جاهل.

ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فقوله فيها: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ كقوله في هذه: ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأن له غيب السماوات والأرض؟ وأن يبالغ في سمعه وبصره لإحاطة سمعه بكل المسموعات وبصره بكل المبصرات؟ وأنه ليس لأحد دونه من ولي؟ سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا؟

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأنه الإله الواحد؟ وأن كل شيء هالك إلا وجهه؟ وأن الخلائق يرجعون إليه؟ تبارك ربنا وتعاظم وتقدس أن يوصف أخس خلقه بصفاته.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين النظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف في أعظم كتاب سماوي، بأنه العلي الكبير؟، سبحانك ربنا وتعاليت عن كل ما لا يليق بكمالك وجلالك.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ

أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [القصص: ٧٠ – ٧٣].

فهل في مشرعي القوانين الوضعية، من يستحق أن يوصف بأن له الحمد في الأولى والآخرة، وأنه هو الذي يصرف الليل والنهار مبينا بذلك كمال قدرته، وعظمة إنعامه على خلقه؟ سبحان خالق السماوات والأرض، جل وعلا أن يكون له شريك في حكمه أو عبادته، أو ملكه.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]، فهل في أولئك من يستحق أن يوصف بأنه هو الإله المعبود وحده، وأن عبادته وحده هي الدين القيم؟"(١)

٣- ومن الآثار الإيمانية لهذين الاسمين أن يدعوَ المسلمون ربهم بهذين الاسمين، وقد ورد في ذلك جملة ما الأدعية، ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٤٦].

وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك،**

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ٧/١٦٣، باختصار.

أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجا، قال: فقيل: يا رسول الله: ألا نتعلمها فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها " [(١)].

وعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – أنه قال: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا قام من الليل يتهجد قال:" اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك " [(٢)].

وعن عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه – قال: سألت عائشة أم المؤمنين بأي شيء كان نبي الله – صلى الله عليه وسلم – يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته:" اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم

---

(١) مسند أحمد ٣٩١/١ ، برقم (٣٧١٢)، وهو في السلسلة الصحيحة، برقم (١٩٩).

(٢) صحيح البخاري في التهجد، باب التهجد بالليل ٣٧٧/١، برقم (١٠٦٩) .

بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلي صراط مستقيم " [1].

---

(1) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٣٤ ، برقم(٧٧٠) .

٨٦ـ الواحد ٨٧ـ الأحد جل جلاله

الواحد والأحد، من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذه الاسماء في النقاط التالية:

أولا: المعني اللغوي لهذين الاسمين

قال أهل اللغة :" الواحد في اللغة اسم فاعل للموصوف بالواحدية أو الوحدانية، فعله وحد يوحد وحادة وتوحيدا، ووحده توحيدا جعله واحدا، والواحد أول عدد الحساب، وهو يدل على الإثبات، فلو قيل في الدار واحد لكان فيه إثبات واحد منفرد مع إثبات ما فوق الواحد مجتمعين ومفترقين (١) .

والواحد سبحانه هو القائم بنفسه المنفرد بوصفه الذي لا يفتقر إلى غيره أزلا وأبدا وهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو سبحانه كان ولا شيء معه، ولا شيء قبله، ومازال بأسمائه وصفاته واحد أولا قبل خلقه، فوجود المخلوقات لم يزده كمالا كان مفقودا أو يزيل نقصا كان موجودا، فالوحدانية قائمة على معنى الغنى بالنفس والانفراد بكمال الوصف، الواحد في أسماء الله تعالى هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر" (٢) .

أما اسم الله الأحد فهو اسم فاعل، أو صفة مشبهة للموصوف بالأحدية، فعله أحد يأحد تأحيدا وتوحيدا، أي حقق الوحدانية لمن وحده، وهو اسم بني لنفى ما يذكر معه من العدد، تقول: ما جاء بي أحد، والهمزة فيه بدل من الواو، وأصله وحد لأنه من الوحدة، والفرق اللغوي بين الواحد والأحد أن الأحد شيء بني لنفي

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٣/٤٤٦ .

(٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، صـ ٤١٤، المفردات، للراغب الأصفهاني، صـ٦٦ .

ما يذكر معه من العدد، والواحد اسم لمفتتح العدد، وأحد يصلح في الكلام في موضع الجحود والنفي وواحد يصلح في موضع الإثبات، يقال: ما أتاني منهم أحد فمعناه لا واحد أتاني ولا اثنان، وإذا قلت: جاءني منهم واحد فمعناه أنه لم يأتني منهم اثنان، فهذا حد الأحد ما لم يضف، فإذا أضيف قرب من معنى الواحد، وذلك أنك تقول: قال أحد الثلاثة كذا وكذا، وأنت تريد واحدا من الثلاثة (١).

وقد يقول قائل: ما الفرق بين اسم الله الواحد واسمه الأحد، وللإجابة عن هذا التساؤل قال أهل العلم: إن هناك فروق بينهما، وهذه الفروق هي:

الأول: أن "**أحدا**" في النفي أعم من "**الواحد**"، يقال: ما في الدار واحد، ويجوز أن يكون هناك اثنان أو ثلاثة أو أكثر. أما لو قال: ما في الدار أحد فهو نفى وجود الجنس بالمرة، فليس فيها أحد ولا اثنان ولا ثلاثة ولا أكثر ولا أقل.

الثاني: أن **الواحد** اسم لمفتتح العدد، فيقال: واحد واثنان وثلاثة، أما **أحد** فينقطع معه العدد فلا يقال: أحد اثنان ثلاثة.

الثالث: لفظ **الواحد** يمكن جعله وصفا لأي شيء أريد، فيصح القول: رجل واحد، وثوب واحد، ولا يصح وصف شيء في جانب الإثبات بأحد إلا الله الأحد: [قل هو الله أحد] فلا يقال: رجل أحد ولا ثوب أحد(٢).

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ١/٢٢٧، النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ١/٢٧، والمفردات، للراغب الأصفهاني صـ ٦٦ .

(٢) انظر المنهج الأسنى ، لابن القيم ١/٩٩.

وقال الأمام الشوكاني:" ومما يفيد الفرق بينهما ما قاله الأزهري: أنه لا يوصف بالأحدية غير الله تعالى ، لا يقال رجل أحد ، ولا درهم أحد؛ كما يقال رجل واحد ، ودرهم واحد ، قيل : والواحد يدخل في الأحد ، والأحد لا يدخل فيه فإذا قلت لا يقاومه واحد جاز أن يقال لكنه يقاومه اثنان بخلاف قولك لا يقاومه أحد، وفرّق ثعلب بين واحد وبين أحد بأن الواحد يدخل في العدد وأحد لا يدخل فيه"(١).

ثانياً: المعني الاصطلاحي لهذين الاسمين

ورد لهذين الاسمين عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة المعنى، ومن ذلك ما ذكره الإمام، حيث قال:" قال الحليمي: **الأحد**: وهو الذي لا شبيه له ولا نظير، ولهذا سمى الله عز وجل نفسه بهذا الاسم، لما وصف نفسه بأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فكأن قوله جل وعلا : ﴿ لَمْ يَـلِدْ وَلَمْ يُولَـدْ ﴾ [الإخلاص: ٣]، من تفسير قوله " **أحد** " والمعنى لم يتفرع عنه شيء، ولم يتفرع هو عن شيء كما يتفرع الولد عن أبيه وأمه، ويتفرع عنهما الولد، أي فإذا كان كذلك فما يدعوه المشركون إلها من دونه لا يجوز أن يكون إلاها، إذ كانت أمارات الحدوث من التجزي والتناهي قائمة فيه لازمة له ، والباري تعالى لا يتجزأ ولا يتناهى ، فهو إذا غير مشبه إياه ولا مشارك له في صفته

أما اسم الله الواحد: فيحتمل وجوها: أحدها أنه لا قديم سواه ولا إله سواه ، فهو واحد من حيث أنه ليس له شريك فيجري عليه حكم العدد وتبطل به وحدانيته

---

(١) تفسير الشوكاني ٨/ ٨٢.

والآخر: أنه واحد بمعنى أن ذاته ذات لا يجوز عليه التكثر بغيره، والإشارة فيه إلى أنه ليس بجوهر ولا عرض، لأن الجوهر قد يتكثر بالانضمام إلى جوهر مثله، والعرض لا قوام له إلا بغير يحله، وعلى هذا لو قيل: إن معنى الواحد أنه القائم بنفسه لكان ذلك صحيحا ولرجع المعنى إلى أنه ليس بجوهر ولا عرض والثالث: أن معنى الواحد هو القديم فإذا قلنا الواحد فإنما هو الذي لا يمكن أن يكون أكثر من واحد هو القديم لأن القديم متصف في الأصل بالإطلاق السابق للموجودات"[1].

وقال الإمام البيهقي:" **الواحد**: هو الفرد الذي لم يزل وحده بلا شريك، وقيل: هو الذي لا قسيم لذاته ، ولا شبيه له ولا شريك، وهذه صفة يستحقها بذاته، وعبر عنه بعبارة أخرى فقيل: الأحد، وهو: الذي لا شبيه له ولا نظير، وهو: المنفرد بالمعنى لا يشاركه فيه أحد، والواحد المنفرد بالذات لا يضامه أحد، وهما من الصفات التي يستحقها بذاته"[2] .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "**الأحد**: المتضمن لانفراده بالربوبية والإلهية"[3].

وقال ابن الاثير:" **الواحد**: في أسماء الله تعالى هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر" [4] .

وقال الخطابي:" الواحد: الفرد الذي لم يزل وحده"[1].

---

(1) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٢٨، ١/ ٥٧، باختصار.

(2) الاعتقاد، للبيهقي – صـ ٢١، باختصار.

(3) بدائع الفوائد، لابن القيم ١/١٤.

(4) القاموس المحيط، للفيروز آبادي ص٤١٤، المفردات، للراغب الأصفهاني، ص٦٦ـ .

وقال الشيخ السعدي:" **الواحد الأحد**" هو الذي توحد بجميع الكمالات، وتفرد بكل كمال، وجلال وجمال، وحمد وحكمة، ورحمة وغيرها من صفات الكمال؛ فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه، فهو الأحد في حياته وقيوميته وعلمه وقدرته وعظمته وجلاله وجماله وحمده وحكمته وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته من كل صفة من هذه الصفات، فيجب على العبيد توحيده عقلا، وقولا، وعملا بأن يعترفوا بكماله المطلق وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة" (٢).

ثالثاً: ورود هما في القرآن والسنة

ورد اسم الله **الواحد** في القرآن الكريم في أكثر من عشرين موضعا، ومن هذه المواضع قوله تعالى عن يوسف وهو يخاطب أصحابه في السجن، فقال لهم:﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾[يوسف: ٣٩]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" لقد رسم يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة، كل معالم هذا الدين، وكل مقومات هذه العقيدة، كما هز بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزاً شديداً عنيفاً.

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ﴾، إنه يتخذ منهما صاحبين، ويتحبب إليهما هذه الصفة المؤنسة، ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة وجسم العقيدة، وهو لا يدعوهما إليها دعوة مباشرة ، إنما يعرضها قضية موضوعية ﴿ ءَأَرۡبَابٞ

(١) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٨٢.

(٢) تفسير السعدي ٥/٤٨٦.

مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، وهو سؤال يهجم على الفطرة في أعماقها ويهزها هزاً شديداً . إن الفطرة تعرف لها إلهاً واحداً ففيم إذن تعدد الأرباب؟.

إن الذي يستحق أن يكون رباً يعبد ويطاع أمره ويتبع شرعه هو الله ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، ومتى توحد الإله وتقرر سلطانه القاهر في الوجود فيجب تبعاً لذلك أن يتوحد الرب وسلطانه القاهر في حياة الناس، وما يجوز لحظة واحدة أن يعرف الناس أن الله واحد ، وأنه هو القاهر، ثم يدينوا لغيره ويخضعوا لأمره، ويتخذوا بذلك من دون الله ربا.

إن الرب لا بد أن يكون إلهاً يملك أمر هذا الكون ويسيره، ولا ينبغي أن يكون العاجز عن تسيير أمر هذا الكون كله رباً للناس يقهرهم بحكمه، وهو لا يقهر هذا الكون كله بأمره.

و﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، خير أن يدين العباد لربوبيته من أن يدينوا للأرباب المتفرقة الأهواء الجاهلة القاصرة العمياء عن رؤية ما وراء المنظور القريب كالشأن في كل الأرباب إلا الله وما شقيت البشرية قط شقاءها بتعدد الأرباب وتفرقهم، وتوزع العباد بين أهوائهم وتنازعهم، فهذه الأرباب الأرضية التي تغتصب سلطان الله وربوبيته؛ أو يعطيها الجاهليون هذا السلطان تحت تأثير الوهم والخرافة والأسطورة، أو تحت تأثير القهر أو الخداع أو الدعاية! هذه الأرباب الأرضية لا تملك لحظة أن تتخلص من أهوائها، ومن حرصها على ذواتها وبقائها ، ومن الرغبة الملحة في استبقاء سلطانها وتقويته، وفي تدمير كل القوى والطاقات التي تهدد ذلك السلطان من قريب أو من بعيد؛ وفي تسخير تلك القوى والطاقات في

تمجيدها والطبل حولها والزمر والنفخ فيها كي لا تذبل ولا تنفثىء نفختها الخادعة!

و﴿ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾، في غنى عن العالمين؛ فهو سبحانه لا يريد منهم إلا التقوى والصلاح والعمل والعمارة وفق منهجه فيعدّ لهم هذا كله عباده وحتى الشعائر التي يفرضها عليهم إنما يريد بها إصلاح قلوبهم ومشاعرهم، لإصلاح حياتهم وواقعهم، وإلا فما أغناه سبحانه عن عباده أجمعين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] ففرق بين الدينونة لله الواحد القهار والدينونة للأرباب المتفرقة بعيد"[1]

ومن الآيات التي جاء فيها اسم الله الواحد مقترنا باسمه القهار قوله تعالى، ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[الزمر: ٤] وقوله تعالى: ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦] وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وعن سر هذا الاقتران بين هذين الاسمين، قال بعض الباحثين:" يشير هذا الاقتران إلى معنى بديع: وهو أن الغلبة والإذلال من ملوك الدنيا إنما يكون

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٤/ ٣٠٨.

بأعوانهم وجندهم وعددهم، والله تعالى يقهر كل الخلق وهو واحد أحد فرد صمد مستغن عن الظهير والمعين، فاقتران الاسمين يشير إلى كماله سبحانه في تفرده وكماله في قهره"(١).

وقال الشيخ السعدي:" وحدته تعالى وقهره متلازمان، فالواحد لا يكون إلا قهارا، والقهار لا يكون إلا واحدا، وذلك ينفي الشركة من كل وجه، والقهر ملازم للوحدة فلا يكون اثنان قهاران متساويين في قهرهما أبدا. فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يعبد وحده كما كان قاهرا وحده"(٢).

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله الواحد قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[إبراهيم: ٥٢]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" أي: هذا القرآن بلاغ للناس، أبلغ الله به إليهم في الحجة عليهم، وأعذر إليهم بما أنزل فيه من مواعظه وعبره ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾أي: ولينذروا عقاب الله، ويحذروا به نقماته، أنزله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ أي: وليعلموا بما احتجّ به عليهم من الحجج فيه أنما هو ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾، لا آلهة شتى، كما يقول المشركون بالله، وأن لا إله إلا هو الذي له ما في السماوات وما في الأرض، الذي سخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لهم،

---

(١) مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام د، لنجلاء كردي، صـ ٤٩٢.

(٢) تفسير السعدي ٤/٢٩٩، ٤/٣٠٨.

وسخر لهم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لهم الأنهار. ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: وليتذكر فيتعظ بما احتجّ الله به عليه من حججه التي في هذا القرآن، فينزجر عن أن يجعل معه إلها غيره، ويُشْرِك في عبادته شيئا سواه أهلُ الحجى والعقول، فإنهم أهل الاعتبار والادّكار دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام، فإنهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا"[1].

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها اسم الله الواحد بصيغة ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢]

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٥٧.

ومن المواضع التي جاء فيها ذكر اسم الله الواحد قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية:" الحصر في قوله ﴿ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ قصر الموصوف على الصفة وهو قصر إضافي للقلب، أي: ما أنا إلا بشر لا أتجاوز البشرية إلى العلم بالمغيبات، وأدمج في هذا أهم ما يوحى إليه وما بعث لأجله وهو توحيد الله والسعي لما فيه السلامة عند لقاء الله تعالى.

وجملة ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ مستأنفة، أو صفة ثانية لبشر، ﴿ أَنَّمَآ ﴾ مفتوحة الهمزة أخت ﴿ إِنَّمَآ ﴾ المكسورة الهمزة من الحصر الإضافي، والمعنى: يوحي الله إلي توحيد الإله وانحصار وصفه في صفة الوحدانية دون المشاركة.

وتفريع ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ هو من جملة الموحى به إليه، أي يوحى إلي بوحدانية الإله وبإثبات البعث وبالأعمال الصالحة.

فجاء النظم بطريقة بديعة في إفادة الأصول الثلاثة، إذ جعل التوحيد أصلا لها وفرع عليه الأصلان الآخران، وأكد الإخبار بالوحدانية بالنهي عن الإشراك بعبادة الله تعالى، وحصل مع ذلك رد العجز على الصدر وهو أسلوب بديع:(١) .

اومن الآيات القرآنية التي جاء فيها اسم الواحد بصيغة ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ ، قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٦/ ٥٤، باختصار.

أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾[الحج: ٣٤] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

أما اسم الله **الأحد** فلم يرد في القرآن الكريم إلا في موضع واد وهو في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾[الإخلاص: ١ – ٤]، وسورة الإخلاص لها أسباب نزول، فعن الربيع بن أنس، عن أبي العالية عن أبي بن كعب: أن المشركين قالوا لرسول الله– صلى الله عليه وسلم–: انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى: قل هو الله أحد الله الصمد قال: فالصمد: الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث. ولم يكن له كفوا أحد قال: لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شيء."(١).

وقد ورد اسم الله الواحد في السنة ، فعن أبي سعيد – رضي الله عنه – أنه قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه: **أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث**

---

(١) أسباب النزول، للواحدي، صـ ٥٠٠، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي، برقم(٢٦٨٠) وقال: حسن دون قوله:" والصمد الذي..."، وانظر: ظلال الجنة ٦٦٣.

القرآن في ليلة، فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال:" **الله الواحد الصمد ثلث القرآن** "[1].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قلت يا رسول الله: إذا بدلت الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار أين الناس يومئذ؟ قال: "**على الصراط** "[2] .

كما ورد اسم الله الأحد في السنة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" قال الله تعالى:" **كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد**" [3] .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه – رضي الله عنه – قال: سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فقال رسول الله:" **لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب** " [4]

---

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد ٤/١٩١٦، برقم(٤٧٢٧)

(2) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة ٤/٢١٥٠ ، برقم(٢٧٩١)، ومسند أحمد ٦/٣٥ ، برقم(٢٤١١٥) واللفظ له .

(3) صحيح البخاري في باب تفسير قوله قل هو الله أحد ٤/١٩٠٣، برقم(٤٦٩٠) .

(4) صحيح ابن ماجة ٢/٣٢٩ ، برقم (٣١١١) .

رابعاً: الآثار الإيمانية لهذين الاسمين

لهذين الاسمين آثار ايمانية ينبغي أن تظهر على العبد ومن هذه الآثار ما يلي:

١- فمن هذه الآثار الإيمانية أن تتعلق القلوب بــ "**الواحد الأحد**" جل جلاله؛ لأنه وحده القادر على كل شيء، والمالك لكل شيء، وبهذا التعلق يرتاح القلب، وتسكن الجوارح؛ لأنه أسلم وجهه وقلبه وجوارحه لله "**الواحد الأحد**" جل جلاله ، ولم يتوجه لوجهات متعددة ولم يتعلق بشركاء متشاكسين يعيش بينهم في حيرة وقلق وصراع مرير، وقد ضرب الله تعالى مثلا لمن يعبد إلها "**الواحد الأحد**" جل جلاله، ومن تنازعه آلهة شتى يستعبدونه ويمزقونه، قال الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٩]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" يضرب الله المثل للعبد الموحد، والعبد المشرك بعبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضا فيه، وهو بينهم موزع؛ ولكل منهم فيه توجيه، ولكل منهم عليه تكليف؛ وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق؛ ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه! وعبد يملكه سيد واحد، وهو يعلم ما يطلبه منه، ويكلفه به، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح"

﴿ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ﴾إنهما لا يستويان. فالذي يخضع لسيد واحد ينعم براحة الاستقامة والمعرفة واليقين. وتجمع الطاقة ووحدة الاتجاه، ووضوح الطريق، والذي يخضع لسادة متشاكسين معذب مقلقل لا يستقر على حال ولا يرضي واحدا منهم فضلا على أن يرضي الجميع!

وهذا المثل يصور حقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك في جميع الأحوال. فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى؛ لأنه يعرف مصدرا واحدا للحياة، والقوة، والرزق، ومصدرا واحدا للنفع والضر، ومصدرا واحدا للمنح والمنع، فتستقيم خطاه إلى هذا المصدر الواحد، يستمد منه وحده، ويعلق يديه بحبل واحد يشد عروته. ويطمئن اتجاهه إلى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره. ويخدم سيدا واحدا يعرف ماذا يرضيه فيفعله وماذا يغضبه فيتقيه، وبذلك تتجمع طاقته وتتوحد ، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى إله واحد في السماء.. ويعقب على هذا المثل الناطق الموحي، بالحمد لله الذي اختار لعباده الراحة والأمن والطمأنينة والاستقامة" [١] .

٢- ومن الآثار الإيمانية لهذين الاسمين أن يتأمل الإنسان في الأدلة النقلية والعقلة الدالة على وحدانية الله تعالى، فمن الأدلة العقلية على إثبات وحدانية الله تعالى، دليل التمانع وقد أشار إلى ذلك أهل العلم بقولهم:" لو قدرنا وجود إلهين اثنين وفرضنا أمرين متضادين وقدرنا إرادة أحدهما لأحد الضدين، وإرادة الثاني للثاني فلا يخلو من أمور ثلاثة، إما أن تنفذ إرادتهما أو لا تنفذ أو تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر، ولما استحال أن تنفذ إرادتهما لاستحالة اجتماع الضدين، واستحال أيضا ألا تنفذ إرادتهما لتمانع الإلهين، وخلو المحل عن كلا الضدين فإن الضرورة تقتضي أن تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر، فالذي لا تنفذ إرادته هو المغلوب المقهور المستكره، والذي نفذت إرادته هو الإله المنفرد الواحد

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٣٠٤٩/٥

القادر على تحصيل ما يشاء، قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون:٩١]، ومن ثم لا يجوز أن يكون في السماوات والأرض آلهة متعددة، بل لا يكون الإله إلا واحدا وهو الله – عز وجل –، ولا صلاح لهما بغير الوحدانية، فلو كان للعالم إلهان ربان معبودان لفسد نظامه واختلت أركانه، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢]، فأساس قيام الخلق وبقاء السماوات والأرض وحدانية الله وانفراده عمن سواه قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر:٤١]، وقال أيضا: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج:٦٥] (١).

٣- ومن الآثار الإيمانية لهذين الاسمين أن يدعو المسلم ربه بهذين الاسمين، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، فمن ذلك، فعن حنظلة بن علي أن محجن بن الأدرع حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد إذا رجل قد قضى صلاته وهو يتشهد فقال اللهم إني أسألك يا ألله بأنك الواحد الأحد الصمد

---

(١) وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، صـ ٨٧، ودقائق التفسير، شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٣٦٤.

الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم"" **قد غفر له ثلاثا**"[1].

وعن المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم:" **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد** " [2].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا تضور من الليل قال:" **لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار**" [3].

وعن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال: مر على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأنا أدعو بأصبعي فقال: " **أحد أحد**"، وأشار بالسبابة " [4]، ومعنى" **أحد أحد**"، أي أشر بواحدة ليوافق التوحيد المطلوب بالإشارة فهو تكرار للتأكيد في التوحيد، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – يأمره أن يشر بأصبع واحدة لأن الذي يدعوه واحد سبحانه[5].

وعن عبد الله ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: كان أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب

---

(1) صحيح أبي داود، برقم (٩٠٥).

(2) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، ٢٣٣٢/٥، برقم (٥٩٧١) .

(3) ابن حبان ٣٤٠/١٢ (٥٥٣٠)، صحيح الجامع، برقم (٤٦٩٣) .

(4) أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء ٨٠/٢ ، برقم(١٤٩٩)، صحيح الجامع، برقم (١٨٩) .

(5) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس الحق ابادي ٢٥٦/٤،.

وبلال والمقداد، فأما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس؛ فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه قد هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان؛ فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: **أحد أحد** " [١].

([١]) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب فضل سلمان وأبي ذر والمقداد ١/٥٣ (١٥٠) .

٨٨ـ العليم ٨٩ـ العالم ٩٠ـ العلام

العليم والعالم والعلام من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذه الاسماء في النقاط التالية:

أولا: المعنى اللغوي لهذه الاسماء

قال أهل اللغة: "**العليم والعالم والعلام** " من أسماء الله الحسنى متضمنة صفة العلم، فالعليم من أبنية المبالغة في الوصف بالعلم، وهو بمنزلة قدير من القادر وهو على وزن فعيل، فعله علم يعلم علما، ورجل عالم وعليم، والعلم نقيض الجهل، ويجوز أن يقال للإنسان الذي علمه الله علما من العلوم عليم، كما قال يوسف عليه السلام للملك: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾ [يوسف:٥٥، وهو عليه السلام عليم على اعتبار محدودية علمه ومناسبته لقدره فهو ذو علم وموصوف بالعلم كما قال عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف:٦٨]

و"**العالم**": اسم الفاعل من علم يعلم فهو عالم.

والعلام بمنزلة عليم في المبالغة في الوصف بالعلم، إلا أنه يتعدى إلى مفعول، وبناء فعال بناء تكثير وزيادة(١).

والعلم: نقيض الجهل وعلمت الشيء، عرفته وخبرته. وعلم بالشيء: شعر به"(٢)

وقيل: العلم: إدراك الشيء بحقيقته"(٣).

---

(١) انظر الزجاجي صـ ٥٠.

(٢) انظر لسان العرب، لابن منظور ٤/٣٠٨٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ ٢٤٣.

وشتان بين علم الإنسان المقيد المحدود وعلم الله المطلق فعلمه فوق كل ذي علم كما قال عز وجل: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٧٦]، والله عز وجل عليم بما كان وما هو كائن وما سيكون، لم يزل عالما ولا يزال عالما بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، سبحانه أحاط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها"(١)

ثانيا: المعنى الاصطلاحي لهذه الاسماء

قال العلامة ابن القيم:" العالم بكل شيء الذي لكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق وما خلفهم فلا تسقط ورقة إلا بعلمه ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه يعلم دبيب الخواطر في القلوب حيث لا يطلع عليها الملك ويعلم ما سيكون منها حيث لا يطلع عليه القلب البصير الذي لكمال بصره يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة وأعضائها ولحمها ودمها ومخها وعروقها ويرى دبيبها على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويرى ما تحت الأرضين السبع كما يرى ما فوق السموات السبع السميع الذي قد استوى في سمعه سر القول وجهره وسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه أصوات الخلق ولا تشتبه عليه ولا يشغله منها سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه كثرة السائلين"(٢)

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٣٠٨٢/٤، ولمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ٥٨٠، اشتقاق أسماء الله، للزجاجي صـ٥٠.

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم صـ ٢١١.

وقال الإمام الغزالي:" العليم المحيط بكل شيء علما ظاهره وباطنه دقيقه وجليله أوله وآخره عاقبته وفاتحته وهذا من حيث كثرة المعلومات وهي لا نهاية لها ثم يكون العلم في ذاته من حيث الوضوح والكشف على أتم ما يمكن فيه بحيث لا يتصور مشاهدة وكشف أظهر منه ثم لا يكون مستفادا من المعلومات بل تكون المعلومات مستفادة منه"[١].

يقول الخطابي رحمه الله: علم الله سبحانه علم حقيقة وكمال:﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [الطلاق: ١٢]، والآدميون وإن كانوا يوصفون بالعلم، فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو، وعالما بهما غير عالم بالحساب والطب ونحوهما من الأمور، "[٢].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار، والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء" [٣].

وقد ذكر أهل العلم أن مراتب العلم الهي على أنواع:

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٠٦.

(٢) شأن الدعاء، للخطابي، صـ٥٧.

(٣) تفسير السعدي، صـ ٩٤٥.

المرتبة الأولى: علمه بالشيء وهو في اللوح المحفوظ بعد كتابته وقبل إنفاذ أمره ومشيئته، فالله عز وجل كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة، والمخلوقات في اللوح قبل إنشائها عبارة عن كلمات، وتنفيذ ما في اللوح من أحكام تضمنتها الكلمات مرهون بمشيئة الله في تحديد الأوقات التي تناسب أنواع الابتلاء في خلقه، وكل ذلك عن علمه بما في اللوح من حساب وتقدير، وكيف ومتى يتم الإبداع والتصوير؟ كما قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج:٧٠]، وقال تعالى:﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد:٢٢] .

المرتبة الثانية: علمه بالشيء قبل كونه وهو سر الله في خلقه، ضن به على عباده لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهذه المرتبة من العلم هي علم التقدير ومفتاح ما سيصير من هم أهل الجنة ومن هم أهل السعير؟ فكل أمور الغيب قدرها الله في الأزل ومفتاحها عنده وحده ولم يزل، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:٣٤]، وقال سبحانه وتعالى:﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل:٦٥] .

المرتبة الثالثة: علمه بالشيء حال كونه وتنفيذه ووقت خلقه وتصنيعه كما قال: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ

بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد:٨]، وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ [سبأ:٢] .

المرتبة الرابعة: علمه بالشيء بعد كونه وتخليقه، وإحاطته بالفعل بعد كسبه وتحقيقه فالله عز وجل بعد أن ذكر مراتب العلم السابقة في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام:٥٩].

ذكر بعدها المرتبة الأخيرة فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنعام:٦٠]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾ [ق:٤]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [التوبة:٧٨]، فالله عز وجل عالم بما كان وما هو كائن، وما سيكون، وما لو كان كيف يكون على ما اقتضته حكمته البالغة [١].

ثالثا: ورود هذه الأسماء في القرآن والسنة

١ـ **اسم الله العليم** عمدة أسماء الله تعالى المتعلقة بالعلم؛ لهذا فقد ورد في القرآن الكريم أكثر من غيره من الاسماء المتعلقة بالعلم، فقد ورد في مائة وسبعة

([١]) مدارج السالكين، لابن القيم، صـ ٤٦٤، المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١٢٦، والأسماء والصفات، للبيهقي صـ٩١ وشرح أسماء الله الحسنى، للرازي ، صـ٢٤٠.

وخمسين مرة، وقد ورد معرفا ومنونا ومطلقا ومقيدا، ولكثرة الآيات القرآنية الواردة فيهذا الاسم سوف نقتصر على ذكر بعضا؛ لتكون كشواهد على ذلك، ومن هذه الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقوله تعالى:﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧] وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ [آل عمران: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١٣]، وقوله تعالى:﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١]، وغير ذلك من الآيات.

وفي هذه الآيات اقترن فيها اسم الله "**العليم**" باسم الله "**السميع**"، والسر في ذلك "إن هذا الاقتران بين هذين الاسمين يمنحهما مزيد كمال، فإذا كانت صفة "**السميع**" تنبئ بإحاطة السمع بكل المسموعات فلا يندر عنه عز وجل شيء، ولا تعزب عنه كبيرة ولا صغيرة، فإن صفة "**العليم**" تنبئ بتجاوز السمع حدود

البعد المادي للمسموعات وإن بلغ في إدراكها الغاية، فحصل من اقتران الاسمين "**السميع العليم**"، صفة كمال أخرى، ودل بهما على إحاطة أتم ؛ لأن متعلق صفة العلم أوسع من متعلق صفة السمع"(١).

كما اقترن اسم الله "**العليم**" باسمه "**الحليم**"، وقد جاء هذا الاقتران في ثلاث آيات من القرآن الكريم مرات وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥١]، وقوله تعالى:﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾ [النساء: ١٢]،. وقوله سبحانه: ﴿ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾ [الحج:٥٩].

فالله تعالى يعلم بمعصية من عصاه ويحلم عنهم ولا يعاجلهم بالعقوبة؛ لهذا فما أجمل العلم الذي يزينه الحلم، يقول الإمام ابن القيم عن سر هذا الاقتران بين هذين الاسمين: "ولهذا جاء اسمه "**العليم**" في القرآن في أكثر من موضع ولسعة علمه يقرنه سبحانه باسم **الحليم** كقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾ [النساء: ١٢]، والسبب في ذلك أن المخلوق يحلم عن جهل، ويعفو عن عجز، والرب تعالى يحلم مع كمال علمه، ويعفو مع تمام قدرته، وما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم ومن عفو إلى اقتدار.

---

(١) مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام في القرآن الكريم، لنجلاء الكردي، صـ ٢٤٧.

وفي أثر "أن حملة العرش أربعة، اثنان منهم يقولان: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، واثنان يقولان: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك" "[1].

كما اقتران اسم الله "**العليم**" باسمه "**الخلاَّق**" وجاء هذا الاقتران آيتين من القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٥، ٨٦] ، قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: "جملة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ في موقع التعليل للأمر بالصفح عنهم، أي: لأن في الصفح عنهم مصلحة لك ولهم يعلمها ربك، فمصلحة النبي صلى الله عليه وسلم في الصفح هي كمال أخلاقه، ومصلحتهم في الصفح رجاء إيمانهم، فالله الخلاق لكم ولهم ولنفسك وأنفسهم العليم بمصلحة كل منكم"[2].

ومن الآيات التي اقترن فيها اسم الله الخلاق باسمه العليم قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١].

فالله تعالى الذي خلق السموات والأرض قادر على اعادة الخلق بعد موتهم، وهو سبحانه عليم بكل أحوالهم.

---

(1) عدة الصابرين، لابن القيم، صـ ٢٣٦.

(2) التحرير والتنوير ٧٨/٧.

كما اقتران اسمه سبحانه "**العليم**" باسمه سبحانه "**القدير**"، وقد جاء هذا الاقتران في كتاب الله عز وجل في ثلا آيات، وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل: ٧٠]، وفي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةًۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤]، وفي قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

فالله تعالى عالم بأحوال عباده وهو قادر عليهم في كل وقت وحين، ولا يخرج عن علمه شيئ ولا يعجزه أحد من خلقه، وقد قيل:" إن المعنى الزائد المستفاد من الجمع بين هذين الاسمين الكريمين "**العليم القدير**" هو أن اقتران العلم بالقدرة يدل على كماله – عز وجل – في الوصفية؛ لأن العلم بدون قدرة عجز، والقدرة بدون علم مظنة الإفساد والظلم والطغيان. والله أعلم(١).

٢. اسم الله العالم

ورد اسم الله "**العالم**" في القرآن الكريم في ثلاثة عشرة موضعا، وقد أضيف في عشرة مواضع منها إلى الغيب والشهادة(٢) ، ومن هذه المواضع قوله تعالى:

---

(١) مطابقة الأسماء الحسنى مقتضى المقام، د. نجلاء كردي ص ٤٣٣ بتصرف

(٢) وبقية الآيات في السور التالية، الأنعام: ٧٣، التوبة: ٩٤، التوبة: ١٠٥، الرعد: ٩، المؤمنون: ٩٢، السجدة: ٦، الزمر ٤٦، الجمعة: ٨، التغابن: ١٨.

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩]، قال ابن عاشور قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ تذييل وفذلكة لتعميم العلم بالخفيات والظواهر وهما قسما الموجودات.

فالغيب ما لا يدرك بالحواس مما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم صريحا بأنه واقع أو سيقع مثل وجود الله، وصفاته، ووجود الملائكة، والشياطين، وأشراط الساعة، وما استأثر الله بعلمه. فإن فسر الغيب بالمصدر أي الغيبة كانت الباء للملابسة ظرفا مستقرا فالوصف تعريض بالمنافقين، وإن فسر الغيب بالاسم وهو ما غاب عن الحس من العوالم العلوية والأخروية، كانت الباء متعلقة بيؤمنون، فالمعنى حينئذ: الذين يؤمنون بما أخبر الرسول من غير عالم الشهادة كالإيمان بالملائكة والبعث والروح ونحو ذلك، وهذه كلها من عوالم الغيب، كان الوصف تعريضا بالمشركين الذين أنكروا البعث وقالوا: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٧]، فجمع هذا الوصف بالصراحة ثناء على المؤمنين وبالتعريض ذما للمشركين بعدم الاهتداء بالكتاب، وذما للمنافقين الذين يؤمنون بالظاهر وهم مبطنون الكفر.

وأما الشهادة فهي هنا مصدر بمعنى المفعول، أي الأشياء المشهودة، وهي الظاهرة المحسوسة، المرئيات وغيرها من المحسوسات، فالمقصود من الغيب

والشهادة تعميم الموجودات كقوله: فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون [الحاقة: ٣٨- ٣٩]"[١].

ولما كان علم الغيب لا يعلمه الا الله تعالى وحد، فقد جاءت ثلاث آيات من القرآن الكريم، أضيف فيها علم الغيب لله وحده وهذه المواضع هي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: ٣]، وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [فاطر: ٣٨]، وفي قوله تعالى:﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٦]

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أنه يعلم غيب السموات والأرض، قال تعالى:﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية :" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم:﴿ قُل ﴾ يا محمد لسائليك من المشركين عن الساعة متى هي قائمة ﴿ لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ الذي قد استأثر الله بعلمه، وحجب عنه خلقه غيره والساعة من ذلك﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ يقول: وما يدري من في السموات والأرض من خلقه متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة"[٢].

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١/ ٢٢٩، ١٣و/ ٩٨.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٤٨٦.

وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، قال الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" والمعنى: إن الله عنده مخازن الغيب، أو المفاتيح التي يتوصل بها، وقوله: ﴿ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: أنه لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها، ويندرج تحت هذه الآية علم ما يستعجله الكفار من العذاب.

وفي هذه الآية ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من المدعين ما ليس من شأنهم، ولا يدخل تحت قدرتهم، ولا يحيط به علمهم، ولقد ابتلى الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة، والأنواع المخذولة، ولم يربحوا من أكاذيبهم وأباطيلهم بغير خطة السوء المذكورة في قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم " **من أتى كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم** "[1] "[2]

وقد ذكر تعالى من هذه الغيوب خمسة انواع وهي أهم أنواع الغيب قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٤]، قال الألوسي رحمه الله: "وما في الإخبار يحمل على بيان البعض المهم لا على دعوى الحصر، إذ لا شبهة في أن ما عدا الخمس من المغيبات لا يعلمه إلا الله تعالى"[3].

---

(1) صحيح الترغيب والترهيب، برقم(٣٠٤٤)

(2) تفسير الشوكاني ٢/ ٤٢٢.

(3) روح المعاني، للألوسي ٧/١٧١.

كما ورد اسم الله "**العالم**" في القرآن الكريم مرتين في صورة الجمع، وهاتين المرتين هما: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨١].

٣. اسم الله علام الغيوب

وأما اسمه سبحانه "**علام الغيوب**" فقد ورد في القرآن الكريم أربعة مواضع، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سبأ: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [التوبة: ٧٨].

ويلاحظ أن اسم الله "**علام الغيوب**" جاء مضافا إلى الغيوب في هذه المواضع الأربعة، وأن "**علام**" صيغة مبالغة يدل على كمال علم الله وسعته، وأن الله تعالى اختص نفسه بعلم كل الغيوب، غيب الماضي، وغيب الحاضر، وغيب المستقبل، بل إنه سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى، قال ابن عاشور: "وتخصيص وصف "**علام الغيوب**" من بين الأوصاف الإلهية للإشارة إلى أنه عالم بالنوايا، وأن القائل يعلم ذلك فالذي يعلم هذا لا يجترئ على الله بادعائه

باطلا أنه أرسله إليكم، فالإعلام بهذه الصفة هنا يشبه استعمال الخبر في لازم فائدته وهو العلم بالحكم الخبري"[1].

رابعا لآثار الإيمانية لا سماء الله المتعلقة بالعلم

لا سماء الله الحسنى المتعلقة بالعلم آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ أن يستشعر المسلم أن علم الله شامل لكل شيء في السماوات وفي الأرض، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال الله عز وجل : ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: ٣].

والله تعالى يعلم كل ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، قال الله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [الحديد: ٤].

وعلى المسلم أن يستشعر كذلك، أن علم الله تعالى محيط بمكنونات قلبه، وما يخفيه صدره، وما توسوس به نفوسه، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠ ﴾ [الرعد: ١٠]، وقال الله

---

[1] التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ٢٣٨.

عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

فإذا كان علم الله يشمل كل هذه الموجودات، التي لا حساب عليها ولا عقاب، فلا شك أن علمه يشمل كل حركات الإنسان وسكناته، وأنه لا يخفى عله خافية، وأنه يعلم سره ونجواه، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة: ٧].

إن استشعار المسلم بعلم الله الشامل يجعله مراقبا لله تعالى في كل أقواله وأفعاله؛ وبذلك ينضبط سلوكه وتصلح أحواله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:" فإن قلت: فما السبيل إلى حفظ الخواطر قلت: أسباب عدة، **أحدها**: العلم الجازم باطلاع الرب سبحانه ونظره إلى قلبك، وعلمه بتفصيل خواطرك. **الثاني**: حياؤك منه، **الثالث**: إجلالك له أن يرى مثل تلك الخواطر في بيته الذي خلق لمعرفته ومحبته، **الرابع**: خوفك أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.

الخامس: إيثارك له أن تساكن قلبك غير محبته"[1].

٢- أن يحرص المسلم على أن يتزود من العلم النافع، وأن يسأل الله العليم أن يعلمه ما فيه صلاحه في دنياه وأخراه، وأن يعلم أنه ما من علم من علوم الدين والدنيا إلا وهو من تعليم الله للخلق، قال تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وأخبر سبحانه وتعالى عن الملائكة أنها قالت: قال الملائكة: : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢].

وأن تكون قدوته في طلبه للعلم أنبياء الله ورسله، فهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، دعا ربه قائلا: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" أي: وقل يا محمد: رب زدني علما إلى ما علمتني أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم"[2].

وهذا نبي الله موسى عليه السلام يخرج في رحلة طويلة ليطلب العلم عند الخضر، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم ما قاله موسى للخضر حيث قال له: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" في هذا السؤال ملاطفة ومبالغة في حسن الأدب، لأنه استأذنه أن يكون تابعا له على أن يعلمه مما علمه الله من العلم، وفي الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب، وليس في ذلك

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم، ١/٢٧٥.
(٢) تفسير الطبري ، ١٨/ ٣٨٢.

ما يدل على أن الخضر أفضل من موسى ، فقد يأخذ الفاضل عن الفاضل وقد يأخذ الفاضل عن المفضول إذا اختص أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر، فقد كان علم موسى علم الأحكام الشرعية والقضاء بظاهرها ، وكان علم الخضر علم بعض الغيب ومعرفة البواطن"[1].

ومن آتاه الله علما عليه أن يحرص على أن يكون من العلماء العاملون بعلمهم، الداعون إليه، الخائفون من الله، المتواضعون للحق وللخلق، وبذلك ينال محبة الله تعالى، قال العلامة ابن القيم: "إن الله سبحانه "**عليم**" يحب كل عليم، وإنما يضع علمه عند من يحبه فمن أحب العلم وأهله فقد أحب الله وذلك مما يدان به"[2]

أما من أدى به علمه إلى التكبر والفخر والمباهاة دون العمل والخشية، فليس بعالم ولا محبوب لله عز وجل، بل قد يكون علمه سببا لهلكته في الآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في أول الناس يقضى عليه يوم القيامة: (ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ..) [3].

---

(1) تفسير الشوكاني ٤/ ٤٠٨.

(2) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ١/٤٣٥.

(3) مسلم في الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ٣/١٥١٣(١٩٠٥) .

٣- أن يستيقن المسلم أن كل علوم البشر إنما هي من تعليم الله تعالى لهم، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]، قال سيد قطب عند هذه الآية:" العلم الذي يدعيه الإنسان ويتطاول به ويريد أن يختبر به أمر الساعة وأمر الغيب ، علم حادث مكسوب، ومولد كل عالم وكل باحث، ومخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا قريب قريب! وما كسبه بعد ذلك من علم هبة من الله بالقدر الذي أراده للبشر، وجعل فيه كفاية حياتهم على هذا الكوكب، في المحيط المكشوف لهم من هذا الوجود : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ ﴾ أي: مجموع مدارك الإنسان الواعية التي يتحصل بها العلوم والمعارف؛ وهي تشمل ما اصطلح على أنه العقل ، وتشمل كذلك قوى الإلهام الكامنة المجهولة الكنه والعمل﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ حين تدركون قيمة النعمة في هذه وفي سواها من آلاء الله عليكم . وأول الشكر: الإيمان بالله الواحد المعبود"(١).

وهذه العلوم مهما كثرت وتفرعت، فإنها لا يساوي شيئا أمام علم الله تعالى؛ لهذا قال الخضر قال لموسى عليه السلام وهو يرى طائرا ينقر في البحر ليأخذ من مائه فقال عليه السلام:" **يا موسى إن معك علم لم يعلمنيه الله تعالى، ومعي علم لم يعلمكه الله عز وجل، يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر**"(٢).

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٤/ ٤٨.

(٢) صحيح البخاري، برقم (٣٤٠١)، صحي ومسلم، برقم (٢٣٨٠).

وقد أشار الإمام الغزالي إلى هذه المعاني بقوله :" للعبد حظ من اسم الله **العليم** لا يكاد يخفى ولكن علم العبد يفارق علم الله تعالى في الخواص الثلاث **إحداها:** المعلومات في كثرتها فإن معلومات العبد وإن اتسعت فهي محصورة في قلبه فأنى يناسب ما لا نهاية له، **والثانية:** أن كشفه وإن اتضح فلا يبلغ الغاية التي لا يمكن وراءها بل تكون مشاهدته للأشياء كأنه يراها من وراء ستر رقيق ولا تنكرن درجات الكشف فإن البصيرة الباطنة كالبصر الظاهر وفرق بين ما يتضح في وقت الإسفار وبين ما يتضح ضحوة النهار

والثالثة: أن علم الله سبحانه وتعالى بالأشياء غير مستفاد من الأشياء بل الأشياء مستفادة منه وعلم العبد بالأشياء تابع للأشياء وحاصل بها، وإن اعتاص عليك فهم هذا الفرق فانسب علم متعلم الشطرنج إلى علم واضعه فإن علم الواضع هو سبب وجود الشطرنج ووجود الشطرنج هو سبب علم المتعلم وعلم الواضع سابق على الشطرنج وعلم المتعلم مسبوق ومتأخر فكذلك علم الله عز وجل بالأشياء سابق عليها وسبب لها وعلمنا بخلاف ذلك.

وشرف العبد بسبب العلم من حيث أنه من صفات الله عز وجل ولكن العلم الأشرف ما معلومه أشرف وأشرف المعلومات هو الله تعالى فلذلك كانت معرفة الله تعالى أفضل المعارف بل معرفة سائر الأشياء أيضا إنما تشرف؛ لأنها معرفة لأفعال الله عز وجل أو معرفة للطريق الذي يقرب العبد من الله عز وجل أو الأمر الذي يسهل به الوصول إلى معرفة الله تعالى والقرب منه وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كثير شرف"(١) .

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١٠٦.

٤ـ أن يعلم العبد أن ما نزل به من بلايا ومصائب وأمور يكرهها أن كل ذلك قد سبق علمه عند الله في اللوح المحفوظ، وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢ – ٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١].

وهذا ما وعاه أنبياء الله ورسلة؛ ولذالك نجد أنهم يذكرون اسم الله العليم مع اسمه الحكيم كعزاء لهم في ما يواجههم من مصائب وآلام، فهذا يعقوب عليه السلام يقول عند فقد أبنائه الثلاثة: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٨٣] ، قال الشيخ الشعراوي في تفسيره لهذه الآية:" لقد غاب عن يعقوب ثلاثة من أولاده : يوسف وبنيامين وشمعون؛ لذلك قال: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾، ولم يقل: يأتيني بهما، ويذيل الحق سبحانه الآية الكريمة بقوله : إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، فالله سبحانه يعلم أين هم؛ لأنه العليم بكل شيء ، وهو سبحانه حكيم فيما يجريه علينا من تصرفات"[١]

وأن يعلم المسلم كذلك أن ما يحصل له من فقر أوغنى ومرض وصحة، كل ذلك حصل بعلم الله وتقديره؛ قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ

---

(١) تفسير الشعراوي، صـ ٤٤٦٥.

﴿ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٢]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى مقررا أنه لا إله إلا هو، وأنه الخالق الرازق لعباده، ومقدر آجالهم، واختلافها واختلاف أرزاقهم فتفاوت بينهم، فمنهم الغني والفقير، وهو العليم بما يصلح كلا منهم، ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فذكر أنه المستبد بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها، فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟[1].

٥- دعاء الله بأسمائه المتعلقة بعلمه، وقد وردت في ذلك جملة من الأدعية، ومن ذلك دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، حينما دعيا الله باسمه العليم قائلين: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٧]، ودعت امرأة عمران ربها باسمه العليم قائلة: ﴿ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران:٣٥].

ويعقوب عليه السلام لما فقد أبناءه صبر على ذلك ثم دعا ربه السميع العليم وأن يعيدهم إليه فقال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف:٨٣]، ويوسف عليه السلام لما كاد له أهل القصر دعا ربه السميع العليم أن يصرف عنه كيدهم فاستجاب الله له، كما قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يوسف:٣٤].

---

[1] تفسير ابن كثير ٦/ ٢٩٤.

وأمر الله نبينا محمد أن يستعيذ بالله السميع العليم من نزغ الشيطان فقال له: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف:٢٠٠].

وكان صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل يدعو الله السميع العليم أن يعيذه من همز الشيطان ونفخه وهمزه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل كبر ثم يقول: "**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك ولا إله غيرك، ثم يقول: لا إله إلا الله، ثلاثا، ثم يقول: الله أكبر كبيرا ثلاثا، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ثم يقرأ** " [١].

وعن عبد الرحمن بن عوف قال سألت عائشة أم المؤمنين بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته:" اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم" [٢]

عن أبي هاشم عن أبي مجلز قال: صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك فقال ألم أتم الركوع والسجود قالوا بلى قال أما انى قد دعوت فيهما بدعاء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به:" **اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي،**

---

(١) صحيح أبي داود، برقم (٧٤٨).

(٢) صحيح مسلم ، برقم(١٢٨٩).

أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، وأعوذ بك من ضراء مضرة ومن فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهديين"[١].

وعلمنا رسوله الله صلى الله عليه وسلم أن ندعوا الله باسمه العليم عند صلاة الاستخارة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول:" **إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني قال ويسمي حاجته** [٢].

---

(١) مسند أحمد، برقم(١٨٣٥١)، قال شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في التطوع ١/٣٩١ ، برقم (١٠٩٦).

٩١. الملك، ٩٢. المالك، ٩٣. المليك جل جلاله

الملك والمالك والمليك من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنها في النقاط الآتية:

أولاً: المعنى اللغوي لهذه الأسماء

هذه الأسماء الثلاثة من أسماء الله تعالى، متقاربة في دلالتها على ملك الله تعالى، قال أهل اللغة:" الملك: احتواء الشيء والقدرة على الاستبدادية وتملكه: أي ملكه قهرا، وأملكه الشي وملكه إياه تمليكا: جعله ملكا له. وأملكوه زوجوه، شبه الزوج بملك عليها في سياستها. والملكوت مختص بملك الله تعالى وهو مصدر ملك، أدخلت فيه التاء نحو: جبروت ورهبوت ورحموت. قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٥] "(١).

ثانياً: الاصطلاحي، لهذه الأسماء

تنوعت عبارات أهل العلم في التعريف الاصطلاحي لهذه الاسماء، قال ابن جرير رحمه الله تعالى: "الملك: الذي لا ملك فوقه ولا شيء إلا دونه"(٢) .

وقال ابن كثير: "وهو الله الذي لا إله إلا هو الملك أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا مبالغة ولا مدافعة"(٣) .

وقال الإمام الغزالي:" **الملك:** هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج إليه كل موجود بل لا يستغني عنه شيء في شيء لا في ذاته ولا في

---

(١) لسان العرب، لابن ومنظور ٤٢٦٦/٦، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ ٤٧٢، والنهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٣٥٨/٤،

(٢) تفسير الطبري ٣٦/٢٨.

(٣) تفسير ابن كثير ٣٤٣/٤.

صفاته ولا في وجوده ولا في بقائه بل كل شيء فوجوده منه أو مما هو منه فكل شيء سواه هو له مملوك في ذاته وصفاته وهو مستغن عن كل شيء فهذا هو الملك مطلقا تنبيه العبد لا يتصور أن يكون ملكا مطلقا"(١)

وقال الإمام ابن القيم:" إن حقيقة الملك: إنما تتم بالعطاء والمنع؛ والإكرام والإهانة؛ والإثابة والعقوبة؛ والغضب والرضا؛ والتولية والعزل؛ وإعزاز من يليق به العز، وإذلال من يليق به الذل. قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمرن: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩]، يغفر ذنبا؛ ويفرج كربا؛ ويكشف غما، وينصر مظلوما؛ ويأخذ ظالما، ويفك عانيا؛ ويغني فقيرا، ويجبر كسيرا؛ ويشفي مريضا، ويقيل عثرة؛ ويستر عورة، ويعز ذليلا؛ ويذل عزيزا؛ ويعطي سائلا، ويذهب بدولة ويأتي بأخرى؛ ويداول الأيام بين الناس؛ ويرفع أقواما ويضع آخرين، ويسوق المقادير التي قدرها قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام إلى مواقيتها؛ فلا يتقدم شيء منها عن وقته ولا يتأخر، بل كل منها قد أحصاه كما أحصاه كتابه؛ وجرى به قلمه؛ ونفذ فيه حكمه؛ وسبق به علمه، فهو المتصرف في الممالك كلها وحده؛ تصرف ملك قادر قاهر، عادل رحيم، تام الملك؛ لا ينازعه في ملكه منازع؛ ولا يعارضه

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٧٣.

فيه معارض، فتصرفه في المملكة دائر بين العدل والإحسان؛ والحكمة والمصلحة والرحمة؛ فلا يخرج تصرفه عن ذلك"=[١]

قد يقول قائل ما الفرق بين اسمي الله **الملك، والمالك؟**، وللإجابة على هذه السؤال يقول الأما ابن القيم:" المالك هو المتصرف بفعله، **والملك** هو المتصرف بفعله وأمره، والرب تعالى مالك الملك فهو المتصرف بفعله وأمره، فمن ظن أنه خلق خلقه عبثا لم يأمرهم ولم ينههم فقد طعن في ملكه ولم يقدره حق قدره كما قال تعالى:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ ﴾[الأنعام: ٩١]، فمن جحد شرع الله وأمره ونهيه وجعل الخلق بمنزلة الأنعام المهملة فقد طعن في ملك الله ولم يقدره حق قدره وكذلك كونه تعالى إله الخلق يقتضي كمال ذاته وصفاته وأسمائه ووقوع أفعاله على أكمل الوجوه وأتمها فكما أن ذاته الحق فقوله الحق ووعده الحق وأمره الحق وأفعاله كلها حق وجزاؤه المستلزم لشرعه ودينه ولليوم الآخر حق فمن أنكر شيئا من ذلك فما وصف الله بأنه الحق المطلق من كل وجه وبكل اعتبار فكونه حقا يستلزم شرعه ودينه وثوابه وعقابه فكيف يظن بالملك الحق أن يخلق خلقه عبثا وأن يتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم كما قال تعالى:﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة: ٣٦]، قال الشافعي رحمه الله مهملا لا يؤمر ولا ينهى وقال غيره لا يجزي بالخير والشر ولا يثاب ولا يعاقب والقولان متلازمان فالشافعي ذكر سبب الجزاء والثواب والعقاب وهو الأمر والنهي والآخر ذكر غاية الأمر والنهي ذكر سبب الجزاء

---

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم، صـ ٢٢٨.

والثواب والعقاب ثم تأمل قوله تعالى بعد ذلك ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القيامة: ٣٧ – ٣٨]، فمن لم يتركه وهو نطفة سدى بل قلب النطفة وصرفها حتى صارت أكمل مما هي وهي العلقة ثم قلب العلقة حتى صارت أكمل مما هي حتى خلقها فسوى خلقها فدبرها بتصريفه وحكمته في أطوار كمالاتها حتى انتهى كمالها بشرا سويا فكيف يتركه سدى لا يسوقه إلى غاية كماله الذي خلق له فإذا تأمل العاقل البصير أحوال النطفة من مبدئها إلى منتهاها دلته على المعاد والنبوات كما تدله على إثبات الصانع وتوحيده وصفات كماله فكما تدل أحوال النطفة من مبدئها إلى غايتها على كمال قدرة فاطر الإنسان وبارئه فكذلك تدل على كمال حكمته وعلمه وملكه وأنه الملك الحق المتعالي عن أن يخلقها عبثا ويتركها سدى بعد كمال خلقها"(١)،

وقال الزجاج:" الملك النافذ الأمر في ملكه، إذ ليس كل مالك ينفذ أمره وتصرفه فيما يملكه، فالملك أعم من المالك والله تعالى مالك المالكين كلهم والملاك إنما استفادوا التصرف في أملاكهم من جهته تعالى"(٢).

أما الفرق بين اسمي الله المالك، والمليك، فقد قال ابن عاشور في ذلك:" المليك: فعيل بمعنى المالك مبالغة وهو أبلغ من ملك ومالك، وتنكيره وتنكير مقتدر للتعظيم"(٣)

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم، ٤/ ٩٧٢.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، صـ ١٠.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٧/ ٢٢٦.

ثالثاً: ورود هذه الأسماء في القرآن والسنة

اسم الله **الملك** ورد في القرآن الكريم (٤ مرات)، وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [الجمعة: ١]، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ [طه: ١١٤]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٢] وفي قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] وهي قراءة سبعية متواترة.

وجاء ذكر هذا الاسم في السنة النبوية، في في دعائه صلى الله عليه وسلم في استفتاح الصلاة:" **اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي.. الحديث**"[١] . .

وأما اسمه سبحانه "**المالك**" فجاء في القرآن الكريم مرتين مضافا؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقوله سبحانه: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة:٤]

وجاء ذكر هذا الاسم في السنة النبوية، في قوله صلى الله عليه وسلم: "**إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك؛ لا مالك إلا الله**"[٢].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: "جاء حبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع، والأراضين على أصبع، والجبال والشجر على أصبع،

---

(١) صحيح الترمذي، برقم (٣٦١١).

(٢) صحيح مسلم، برقم (٢١٤٣).

والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع؛ ثم يهزهن فيقول: **أنا الملك** أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر، تصديقا له ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ "[1].

وأما اسم الله "المليك" فقد جاء في القرآن الكريم مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

رابعاً: الآثار الإيمانية بهذه الأسماء

للإيمان بهذه الاسم الحسنى آثارا إيمانية ينبغي أن تظهر على كل مؤمن بهذا الاسم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ الإيمان بأن الله تعالى اختص نفسه بملك يوم الدين، وقد ذكر الله تعالى ذلك في قوله تعالى:﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[الفاتحة: ٤]، وإنما خص الله نفسه بملك يوم الدين؛ لأنه يوجد في الدنيا ملوك يأمرون وينهون، وهم وإن ادعوا أنهم ملوك، فإن ملكهم غير حقيقي، ومن ملك منهم شيئا فإنما يكون ذلك بتمليك الله له، والله سبحانه يؤتي ملكه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، وملوك الدنيا يحتاجون إلى حجبة وحراس يحمون لهم ملكهم، قال سبحانه عن ملكه يوم القيامة: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٦]، قال الامام ابن جرير عند هذه الآية:" الملك الحق يومئذ خالص للرحمن

(١) صحيح البخاري، برقم(٤٨١١)، وصحيح مسلم، برقم (٢٧٨٦).

دون كل من سواه، وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه، وقد كان في الدنيا ملوك، فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار."[1].

وفي يوم القيامة ينادي الله سبحانه تعالى على الخلائق: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ [غافر: ١٦]، فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه بنفسه، سبحانه، ﴿ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" أي: من هو المالك لذلك اليوم العظيم الجامع للأولين والآخرين، أهل السماوات وأهل الأرض، الذي انقطعت فيه الشركة في الملك، وتقطعت الأسباب، ولم يبق إلا الأعمال الصالحة أو السيئة؟ الملك، ثم يجيب عن نفسه بقوله: ﴿ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ أي: المنفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا شريك له في شيء منها بوجه من الوجوه، وهو ﴿ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ لجميع المخلوقات، الذي دانت له المخلوقات وذلت وخضعت، خصوصًا في ذلك اليوم الذي عنت فيه الوجوه للحي القيوم، يومئذ لا تَكَلَّمُ نفس إلا بإذنه"[2] .

٢ـ دعاء الله تعالى باسمه "الملك"، وقد جاءت أدعية وأذكار صحيحة تتضمن ذلك، كما في دعاء الاستفتاح لصلاة التهجد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال:" **اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك**

---

(1) تفسير الطبري ١٩/ ٢٦١.

(2) تفسير السعدي، صـ ٧٣٤.

الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك "[1].

وعن علي بن أبي طالب قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام إلى الصلاة؛ كبر ثم قال:" وجَّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونُسُكي ومَحْيَايَ ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين، اللهم! أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، لا يغفر الذنوبَ إلا أنت، واهدِني لأحسن الأخلاق، لا يهدني لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيِّئَها، لا يصرف سيِّئَها إلا أنت، لبَّيْك وسعديك! والخيرُ كلُّه في يديك، والشر ليس إليك، وأنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك "[2].

وكتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال:" لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله

(1) صحيح البخاري، برقم (١٠٥٣).

(2) صحيح أبي داود، برقم(٧٣٨).

الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد"[1] .

٣ـ الاعتصام بالملك الحق وحده، فلا يلوذ العباد في نوائبهم إلا بمليكهم ومعبودهم سبحانه تعالى، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "إن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء: أنه يجود ويعطي ويمنح، فمنها أن يعيذ وينصر ويغيث، فكما يحب أن يلوذ به اللائذون: يحب أن يعوذ به العائذون، وكمال الملوك: أن يلوذ بهم أولياؤهم؛ ويعيذوا بهم، كما قال أحمد بن حسين الكندي في ممدوحه:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره

ولو قال ذلك في ربه وفاطره: لكان أسعد به من مخلوق مثله.

والمقصود: أن ملك الملوك يحب أن يلوذ به مماليكه؛ وأن يعوذوا به، كما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه، وبذلك يظهر تمام نعمته على عبده إذا أعاذه وأجاره من عدوه فلم يكن إعاذته وإجارته منه بأدنى النعمتين، والله تعالى يحب أن يكمل نعمته على عباده المؤمنين؛ ويريهم نصره لهم على عدوهم، وحمايتهم منه، وظفرهم بهم، فيا لها من نعمة كمل بها سرورهم ونعيمهم؛ وعدل أظهره في أعدائه وخصمائه"[2] .

---

(١) صحيح مسلم، برقم (٩٣٣).

(٢) شفاء العليل، لابن القيم، ٢/٦٥٨.

٤ـ الخوف من الملك وحده؛ لأن الله هو الملك الحق للسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، لأنه خالقهما، وهذا الملك يقتضي أنه سبحانه المدبر لهما المتصرف فيهما كما يشاء بقدرة مطلقة لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، وهذا الملك العظيم لله تعالى يقتضي أنه يتصرف فيه سبحانه بعلمه وحكمته ورحمته وعدله، فله الحمد في ملكه وخلقه وفي أفعاله وصفاته كلها، ولذا كان قول:" **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**"[١].

قال ابن القيم: "اسمه "**الملك**" يقتضي مملكة وتصرفا، وتدبيرا، وإعطاء، ومنعا، وإحسانا، وعدلا، وثوابا، وعقابا"[٢]، والله سبحانه المالك لكل شيء، والمتصرف في كل شيء، وهو القاهر فوق عباده: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [هود: ٥٦] فعندما يستشعر المؤمن هذه المعاني فإنه لا يخاف إلا من الله وحده، ولا يتوكل إلا على الله وحده، ولا يرجو إلا الله وحده ولذا لما هدد قوم عاد نبيهم هود – عليه السلام – قال متحديا لهم ذاكرا صفة الملك والقهر لله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦ ﴾ [هود: ٥٦].

---

(١) صحيح البخاري، برقم(١٠٨٦).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم ١/٤١٨.

٥- تواضع ملوك أهل الأرض لغيرهم؛ لأن الملك الحقيقي هو لله تعالى وأن ملك ملوك أهل الأرض، إنما هو ملك ناقص، وعارية مستردة، ولا يملكون إلا أن يملكهم الله تعالى، فإن الشعور بهذا يلقي في القلب تواضعا لله تعالى لكل متملك شيئا من هذه الدنيا، سواء كان ملكا كبيرا كملك الملوك والسلاطين، أو كان تملكا جزئيا لمال أو أرض أو غير ذلك؛ ولذا جاء النهي عن التسمي بملك الأملاك أو شاهنشاه ونحوها من الأسماء التي تدل على التكبر والعلو في الأرض. قال صلى الله عليه وسلم: "**إن أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله، رجل تسمى ملك الأملاك**"[١]؛ لهذا كان من آثار ملكه قهره للملوك والطغاة الجبابرة المتكبرين، وقصمه وإهلاكه لهم لما طغوا وبغوا وظنوا أنهم معاجزين لله تعالى وغرهم ملكهم وسلطانهم كما فعل ذلك بالفراعنة والقياصرة والأكاسرة، وانطوى ملكهم وأصبحوا نسيا منسيا.

٦- الاطمئنان العبد على رزقه؛ لأن الله الملك له لخزائن السماوات والأرض وخزائنه ملأى لا تنضب، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٧]، والله الملك هو وحده المتفرد برزق العباد، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [هود: ٦]، وهذا الاطمئنان في قلب العبد يثمر تعلق العبد بربه سبحانه مع أخذه بالأسباب التي أمر الله تعالى بها في طلب الرزق مع عدم تعلقه به اقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ

([١]) صحيح البخاري، برقم (٦٢٠٥).

وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ
فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

٩٤ـ القادر ٩٥ـ القدير ٩٦ ـ المقتدر جل جلاله

القادر، القدير، المقتدر من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذه الاسماء في النقاط التالية:

أولا: المعني اللغوي لهذه الاسماء

قال أهل اللغة:" القدرة مصدر قدر على الشيء قدرة، أي: ملكه فهو قادر قدير، والقدر: ما يقدره الله – عز وجل – من القضاء، وقدرت الشيء أقدره وأقدره قدرا من التقدير.

والقدرة إذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شيء ما، وإذا وصف بها الله تعالى فهي نفي العجز عنه، ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة... بل حقه أن يقال: قادر على كذا؛ لأنه لا أحد غير الله يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه، والله تعالى هو الذي ينتفى عنه العجز من كل وجه.

والقادر في اللغة اسم فاعل من قدر يقدر فهو قادر، يقال قدرت الأمر أقدره وأقدره إذا نظرت فيه ودبرته، وقدر كل شيء ومقداره مقياسه، وقدر الشيء بالشيء وقدره قاسه، والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا زائدا عليه ولا ناقصا عنه، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله تعالى ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾، والتقدير على وجوه من المعاني: أحدها التروية والتفكير في تسوية أمر وتهيئته، والثاني تقديره بعلامات تقطعه عليها، والثالث أن تنوي أمرا

وقصدك تقول: قدرت أمر كذا وكذا أي: نويته وعقدت عليه، ويقال قدرت لأمر كذا أقدر له إذا نظرت فيه ودبرته وقايسته .

والقادر والقدير من صفات الله – عز وجل – يكونان من القدرة ويكونان من التقدير، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة:١٤٨] من القدرة، فالله عز وجل على كل شيء قدير، والله سبحانه مقدر كل شيء وقاضيه " [١].

قد يقول قائل ما لفرق بين هذه الأسماء الثلاثة؟، وللإجابة عن هذا التساؤل قال والإمام ابن الأثير: " **القادر** اسم الفاعل من قدر يقدر، **والقدير** فعيل منه وهو للمبالغة، **والمقتدر** مفتعل من اقتدر وهو أبلغ"[٢].

وقال الزجاج: "**المقتدر**: مبالغة في الوصف بالقدرة، والأصل في العربية أن زيادة المبنى زيادة في المعنى فلما قلت: اقتدر أفادت زيادة اللفظ زيادة المعنى"[٣] .

ثانياً: المعني الاصطلاحي لهذه الاسماء

لهذه الأسماء تعريفات اصطلاحية متقاربة، قال الخطابي رحمه الله تعالى:" **القادر**: هو من القدرة على الشيء، يقال: قدر يقدر قدرة فهو قادر وقدير، كقوله

---

(١) تهذيب اللغة، للأزهري ، الصِّحَاحِ في اللغة، للجوهري ٧٨٦/٢، ٢٢/٩، لسان العرب، لابن منظور ٧٤/٥، والمفردات، للراغب الأصفهاني صـ٣٩٤، الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري ٨/٣ .

(٢) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٢٢/٤.

(٣) تفسير الأسماء، للزجاج صـ ٥٩.

تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٧]، ووصف الله سبحانه نفسه بأنه قادر على كل شيء أراده لا يعترضه عجز ولا فتور"(١).

وقال الإمام الغزالي:" **القادر** هو الذي إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وليس من شرطه أن يشاء لا محالة فإن الله قادر على إقامة القيامة الآن لأنه لو شاء أقامها فإن كان لا يقيمها لأنه لم يشأها ولا يشاؤها لما جرى في سابق علمه من تقدير أجلها ووقتها فلذلك لا يقدح في القدرة.

والقادر المطلق هو الذي يخترع كل موجود اختراعا يتفرد به ويستغني فيه عن معاونة غيره وهو الله تعالى وأما العبد فله قدرة على الجملة ولكنها ناقصة إذ لا يتناول إلا بعض الممكنات ولا يصلح للاختراع بل الله تعالى هو المخترع لمقدورات العبد بواسطة قدرته مهما هيأ له جميع أسباب الوجود لمقدوره وتحت هذا غور لا يحتمل مثل هذا الكتاب كشفه.

القادر والمقتدر معناهما ذو القدرة لكن المقتدر أكثر مبالغة، والقدرة عبارة عن المعنى الذي به يوجد الشيء متقدرا بتقدير الإرادة والعلم واقعا على وفقهما""(٢).

وقال الحليمي:" **المقتدر**" المظهر قدرته بفعل ما يقدر عليه وقد كان ذلك من الله تعالى فيما أمضاه وإن كان يقدر على أشياء كثيرة لم يفعلها، ولو شاء لفعلها، فاستحق بذلك أن يسمى مقتدرا.

---

(١) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٨٦.

(٢) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٧٩.

وقال أبو سليمان: المقتدر هو التام القدرة الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يحتجز عنه بمنعة وقوة ، ووزنه مفتعل من القدرة إلا أن الاقتدار أبلغ وأعلم لأنه يقتضي الإطلاق، والقدرة قد يدخلها نوع من التضمين بالمقدور عليه"[١].

قال الامام ابن القيم:" **القدير** الذي لكمال قدرته: يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويجعل المؤمن مؤمنا والكافر كافرا؛ والبر برا والفاجر فاجرا، وهو الذي جعل إبراهيم وآله أئمة يدعون إليه ويهدون بأمره؛ وجعل فرعون وقومه ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص:٤١] ، ولكمال قدرته لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء أن يعلمه إياه، ولكمال قدرته خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسه من لغوب، ولا يعجزه أحد من خلقه ولا يفوته؛ بل هو في قبضته أين كان، فإن فر منه فإنما يطوي المراحل في يديه،[٢].

وقال الشيخ السعدي:" **القدير**: كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد"[٣].

---

(١) الأسماء والصفات، للبيهقي١/ ٥٠.
(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم، صـ ٢٣٥.
(٣) تفسير السعدي ٥/٦٢٤.

ثالثاً: ورود هذه الاسماء في القرآن والسنة

اسم الله "**القادر**" ورد في القرآن الكريم في اثنتي عشرة موضعا، ومن هذه المواضع قوله وتعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال لإمام ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية:" في العذاب قولان **أحدهما**: أن الذي فوقهم: العذاب النازل من السماء، كما حُصب قوم لوط، وأصحاب الفيل، والذي من تحت أرجلهم: كما خُسف بقارون، قاله ابن عباس، والسدي، ومقاتل، ومنه الطوفان، والريح ، والصيحة، والرجفة.

والقول الثاني: أن الذي من فوقهم: من قِبَل أمرائهم، والذي من تحتهم: من سَفَلتهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقال في رواية أخرى: الذي من فوقهم: أئمة السوء؛ والذي من تحت أرجلهم: عبيد السوء"[1].

ومن الموضع التي ورد فيها اسم الله **القادر** قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٥ – ٩٦]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" أي: لو شئنا لأريناك ما نحل بهم من النقم والبلاء والمحن، ثم قال مرشدًا له إلى التِّرْياق النافع في مخالطة الناس، وهو الإحسان إلى من يسيء، ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة، فقال له: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾"[2].

([1]) تفسير ابن الجوزي ٢/ ٣٥٤.

([2]) تفسير ابن كثير ٥/ ٤٩٢.

ومن الموضع التي ورد فيها اسم الله **القادر** قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:"أي: أولم ينظر هؤلاء المنكرون إحياء الله خلقه من بعد وفاتهم، ألم ينظروا بأبصار قلوبهم، فيروا أن الله الذي خلق السموات السبع والأرض، فابتدعهنّ من غير شيء، ولم يعي بإنشائهنّ، فيعجز عن اختراعهنّ وإحداثهنّ ﴿ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيخرجهم من بعد بلائهم في قبورهم أحياء كهيئتهم قبل وفاتهم.

وقوله﴿ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: الذي خلق ذلك، ذو قدرة لا يعجزه شيء أراده، ولا يُعييه شيء أراد فعله، فيعييه إنشاء الخلق بعد الفناء، لأن من عجز عن ذلك فضعيف، فلا ينبغي أن يكون إلها من كان عما أراد ضعيفا. "[١].

وقريبا من معنى هذه الآية قوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٩٩]، وقوله تعالى:﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾[يس: ٨١][٢].

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ١٤٢، باختصار وتصرف.

(٢) تفسير الشنقيطي ٣/ ٢٦١.

ومن الموضع التي ورد فيها اسم الله **القادر** قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٧].

ومن الموضع التي ورد فيها اسم الله **القادر** قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٨]

ومن الموضع التي ورد فيها اسم الله **القادر** قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج: ٤٠]، وغير ذلك من الآيات القرآنية.

وأما اسمه سبحانه **القدير** فقد ورد في القرآن الكريم في خمسة وأربعين موضعا ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: ٣٩] ،

قال سيد قطب في تفسيره لهذه الآية:" إن الاستعلاء على ثقلة الأرض وعلى ضعف النفس، إثبات للوجود الإنساني الكريم، فهو حياة بالمعنى العلوي للحياة: إن التثاقل إلى الإرض والاستسلام للخوف إعدام للوجود الإنساني الكريم، فهو فناء في ميزان الله وفي حساب الروح المميزة للإنسان.

والعذب الذي يهتددهم ليس عذاب الآخرة وحده، فهو ذلك عذاب الدنيا، عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح، والغلبة عليهم للأعداء، والحرمان من الخيرات واستغلالها للمعادين؛ وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد؛ ويقدمون على مذبح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء.

وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل ، فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء، ﴿ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٩]،يقومون على العقيدة، ويؤدون ثمن العزة، ويستعلون على أعداء الله : ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ﴾، ولا يقام لكم وزن، ولا تقدمون أو تؤخرون في الحساب،﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، لا يعجزه أن يذهب بكم، ويستبدل قوماً غيركم، ويغفلكم من التقدير والحساب"[١] .

أما اسم الله القدير فقد ورد في عدة مواضع من كتاب الله تعالى، ومن الموضع التي ورد فيها اسم الله **القدير** قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾[النساء: ١٤٩]، الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" أي: إن تقولوا جميلا من القول لمن أحسن إليكم، فتظهروا ذلك شكرًا منكم له على ما كان منه من احسان إليكم ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾، يقول: أو تتركوا إظهار ذلك فلا تبدوه ﴿ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ ﴾ ، يقول: أو تصفحوا عمن أساءَ إليكم عن إساءته، فلا تجهروا له بالسوء من القول الذي قد أذنت لكم أن تجهروا له به ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا ﴾﴿ قَدِيرًا ﴾ أي: أن الله لم يزل ذا عفو عن عباده، مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إيّاه، فاعفوا، أنتم أيضًا، أيها الناس، عمن أتى إليكم ظلمًا، ولا تجهروا له بالسوء من القول، وإن قدرتم على الإساءة إليه، كما يعفو عنكم ربكم مع قدرته على عقابكم، وأنتم تعصونه وتخالفون أمره"[٢].

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٤/ ٣١، باختصار.

(٢) تفسير الطبري ٩/ ٣٥٠، باختصار.

والملاحظ في هذه الآية أن اسم الله القدير اقترن باسم الله العفو، وعن سر هذا الاقتران قال الشيخ السعدي:" وفي هذه الآية إرشاد إلى التدبر في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له. ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنى، كما في هذه الآية. لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتب على ذلك بأن أحالنا على معرفة أسمائه وأن ذلك يغنينا عن ذكر ثوابها الخاص[1].

ومن الموضع التي ورد فيها اسم الله **القدير** قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" أي: ما كان ليسبقه ويفوته من شيء من الأشياء كائناً ما كان فيهما ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ أي: كثير العلم، وكثير القدرة لا يخفى عليه شيء ، ولا يصعب عليه أمر"[2].

ومن الموضع التي ورد فيها اسم الله **القدير** قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام:]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" من أدلة توحيد الله تعالى أنه المنفرد بكشف الضراء، وجلب الخير والسراء. ولهذا قال:﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ من فقر، أو مرض، أو عسر، أو غم، أوهم أو نحوه ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن

---

(1) تفسير السعدي صـ ٢١٢.

(2) تفسير الشوكاني ٦/ ١٤٨.

يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ فإذا كان وحده النافع الضار، فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية والإلهية"[1].

ومن الموضع التي ورد فيها اسم الله **القدير** قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [المائدة: ١٩] وقوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦]،وقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقوله وتعالى: ﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وغير ذلك من الآيات القرآنية.

أما اسمه سبحانه **المقتدر** فقد ورد في القرآن الكريم في أربعة مواضع ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ۝٤٢ ﴾ [القمر: ٤١ – ٤٢]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" تختصر هذه الآية قصة فرعون وملئه في طرفيها، مجيء النذر لآل

([1]) تفسير السعدي صـ ٢٥١.

فرعون وتكذيبهم بالآيات التي جاءهم بها رسولهم، وأخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر، والإشارة إلى العزة والاقتدار تلقي ظلال الشدة في الأخذ؛ وفيها تعريض بعزة فرعون واقتداره على البغي والظلم .

فقد ضاعت العزة الباطلة، وسقط الاقتدار الموهوم، وأخذه الله أخذ عزيز حقاً مقتدر صدقاً، أخذهم أخذاً شديداً يناسب ما كانوا عليه من ظلم وغشم وبطش وجبروت"[١].

ومن الموضع التي ورد فيها اسم الله **المقتدر** قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٤١ – ٤٢]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" تلا قتادة ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ فقال: ذهب النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وبقيت النقمة، ولم ير الله نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في أمته شيئا يكرهه حتى مضى، ولم يكن نبيّ قطّ إلا رأى العقوبة في أمته، إلا نبيكم صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، ﴿ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ ، كما فعلنا ذلك بغيرهم من الأمم المكذّبة رسلها ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ ﴾ فقد أراه الله ذلك وأظهره عليهم، ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾بأن نظهرك عليهم، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك"[٢].

ومن الموضع التي ورد فيها اسم الله **المقتدر** قوله تعالى:﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٧/ ٨٤.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٦٠٩، باختصار.

ﵟٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًاﵞ [الكهف: ٤٥]، قال الشيخ المراغي في تفسيره لهذه الآية:" شبّه الله تعالى الحياة الدنيا فى نضرتها ثم صيرورتها إلى الزوال بحال نبات اخضرّ والتف وأزهر، ثم صار هشيما متفتّتا تنثره الرياح ذات اليمين وذات الشمال ومن ثم لا يغترّنّ أهلها بها، ولا يفخرنّ ذو الأموال الكثيرة بأمواله، ولا يستكبرنّ بها على غيره، فإنما هى ظل زائل.

ﵟوَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًاﵞ أي وكان الله ذو الكمال والجلال قادرا على كل شئ إنشاء وإفناء وإعادة، فهو يوجد الأشياء ثم ينمّيها ثم يفنيها، وما حال الدنيا إلا هذه الحال، فهى تظهر أولا ناضرة زاهرة ثم تتزايد قليلا قليلا، ثم تأخذ فى الانحطاط إلى أن تصير إلى الهلاك والفناء، فلا ينبغي للعاقل أن يبتهج بما يحوزه منها أو يفخر به أو يصعّر خذه استكبارا" [(١)].

ومن الموضع التي ورد فيها اسم الله **المقتدر** قوله تعالى: ﵟإِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥ﵞ[القمر: ٥٤ – ٥٥]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" أي : في بساتين مختلفة، وجنان متنوعة، وأنهار متدفقة ﵟفِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍﵞأي : في مجلس حقّ لا لغو فيه ولا تأثيم ، وهو الجنة ﵟعِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭﵞ أي قادر على ما يشاء لا يعجزه شيء، و ﵟعِندَﵞهنا كناية عن الكرامة، وشرف المنزلة "[(٢)].

---

(١) تفسير المراغي (١٥/ ١٥٤)

(٢) تفسير الشوكاني ٧/ ٩٩، باختصار.

رابعاً: الآثار الإيمانية لهذه الاسماء

لهذه الأسماء آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على العبد، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ فمن آثار الإيمان بهذه الاسماء، أن يؤمن العبد بمراتب قدر الله تعالى، وهذه المراتب أربعا، قال الإمام الطحاوي:" مراتب القدر أربع: **المرتبة الأولى:** العلم الشامل لجميع الكائنات، علم الله الشامل لجميع الكائنات، **الثانية:** كتابته لها في اللوح المحفوظ، **الثالثة:** إرادته ومشيئته، **الرابعة:** خلقه وإيجاده .

هذه مراتب القدر من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقدر، والأدلة عليها كثيرة، فمن أدلة إثبات العلم والكتاب، قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

وللإرادة أدلة كثيرة منها، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وللخلق والإيجاد أدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[الفرقان: ٢]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢]، ومن أنكر المرتبة الأولى، والثانية العلم والكتابة، فقد كفَّره أهل العلم؛ لأن من أنكر العلم نسب الله إلى الجهل. كانت القدرية الأولى ينكرون العلم والكتابة، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي –رحمه الله– ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا فمن أنكر العلم والكتابة فهم

القدرية الأولى كفروا، فإنهم يكفرون بهذا؛ لأنهم ينسبون الله إلى الجهل، فقد انقرضت القدرية الأولى، وأما عامة القدرية فهم يثبتون العلم والكتابة وينكرون عموم الإرادة والمشيئة بجميع الكائنات حتى تشمل أفعال العباد، قالوا: إن أفعال العباد ما أرادها الله ولا خلقها . العباد هم الذين أرادوها وخلقوها.

وعلم الله شامل للماضي والمستقبل والحاضر بل لما لم يكن أن لو كان كيف يكون كما قلنا ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٨]، بيَّن الله أنه يعلم حالهم لو ردوا.

والدليل العقلي على ثبوت العلم لله تعالى أنه يستحيل إيجاد هذه الأشياء مع الجهل، والعقل يحيل إيجاد الأشياء مع الجهل؛ ولأن الإيجاد يستلزم الإرادة، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد هو العلم فثبت علم الله في الشرع والعقل.

وفي الشرع الأدلة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾[الأنفال: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فعلم الله شامل لما مضى وللمستقبل وللحاضر ولما لم يكن أن لو كان كيف يكون.

والعقل أيضا دل على ثبوت العلم لله؛ لأنه يستحيل إيجاد الأشياء مع الجهل؛ ولأن الإيجاد يستلزم الإرادة، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد هو العلم . نعم"[١].

٢- ومن آثار الإيمان بهذه الاسماء، أن الله تعالى إذا أعطى الله تعالى عبداً من عباده قدرات، من قوة، أو مال، أوجاه، فليعلم أن تلك القدرات إنما هي عطاء من الله تعالى، فلا يغتر بقدراته تلك، وليتبرأ من قدرته، وقد قوة إلا بالله تعالى، لذلك أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الاستخارة؛ لأن العبد يلجأ فيها إلى قدرة الله وعلمه، فعن حديث جابر – رضي الله عنه – قال: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: "إذا هم بالأمر فليركع ركعتين، ثم يقول: **اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني، ويسمي حاجته** . [٢].

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" **لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان،**

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ١/ ٩٤، باختصار.

(٢) صحيح البخاري في الدعوات، باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة ٥/٢٣٤٥ ، برقم(٦٠١٨) .

وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك، لم يضره شيطان أبدا " [١].

كما علمنا أن نقول حين نصبح وحين نمسي: " **يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، اللهم أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدا**"[٢]، وأرشدنا صلى الله عليه وسلك إلى أن نقول: " **لا حول ولا قوة إلا بالله**"[٣].

وعلى العبد أن لا يستخدم قدراته وقوته في ظلم الناس؛ لأن القادر سبحانه وتعالى سوف ينتقم منه للمظلومين، وأن قدرته أماك قدرة الله تعالى لا تساوي شيئا.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٥]

٣- ومن آثار الإيمان بهذه الاسماء، أن يدعو السلم ربه بهذه الاسماء، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، فعن جابر – رضي الله عنه – أنه قال: لما نزلت: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" **أعوذ بوجهك**"، قال: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال –

---

(١) صحيح البخاري، برقم(١٣٨).

(٢) سنن النسائي في عمل اليوم والليلة ، برقم(٥٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣٤٥/١، برقم(٦٥٤).

(٣) صحيح مسلم، برقم (٤٨٧٥).

صلى الله عليه وسلم – : "أعوذ بوجهك"﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "هذا أهون أو هذا أيسر" [١].

وعن عبد الله ابن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إذا أمسى قال: " أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم أسألك خير هذه الليلة، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها، اللهم إني أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر " [٢].

وعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ ثم قال، اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته" [٣].

وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يدعو بهذا الدعاء: " رب اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي

---

(١) صحيح البخاري في التفسير، باب قل هو القادر ٤/١٦٩٤، برقم(٤٣٥٢) .

(٢) صحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٤/٢٠٨٨ ، برقم(٢٧٢٣).

(٣) صحيح البخاري في التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى ١/٣٨٧ ، برقم(١١٠٣) .

وهزلي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير "[1].

وعن عطاء بن السائب عن أبيه – رضي الله عنه – أنه قال: صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها، فقال له بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة، فقال: أما على ذلك، فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ؛ فلما قام تبعه رجل من القوم . هو أبي غير أنه كني عن نفسه . فسأله عن الدعاء ثم جاء فأخبر به القوم:" **اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**" [2] .

وعن طلق بن حبيب قال : جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال: يا أبا الدرداء قد احترق بيتك . فقال: ما احترق لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي و من قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح:" اللهم أنت ربي**

([1]) صحيح البخاري في الدعوات، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:" اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت" ٥/٢٣٥٠، برقم(٦٠٣٥).

([2]) سنن النسائي في كتاب السهو ٣/٥٤ (١٣٠٥)، وصحيح الجامع، للألباني، برقم (١٣٠١).

لا إله إلا أنت عليك توكلت و أنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن، لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، و أن الله قد أحاط بكل شيء علما، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم"[(١)].

٤- ومن آثار الإيمان بهذه الاسماء، اطمئنان العبد على رزقه وأجله؛ لأن الله تعالى قد كتب ذلك قبل أن يخلق الخلائق في اللوح المحفوظ، فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء** " [(٢)].

وعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة** " [(٣)].

وهذا لإيمان يدفع المسلم إلى الاعتقاد إلى أنه يستحيل حدوث شيء في الوجود بدون علم الله تعالى وقدرته؛ فإذا تيقن المسلم بذلك ولم يخش أحدا على رزقه وأجله، عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: كنت خلف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوما فقال: " **يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله،**

---

(١) السلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني، برقم(٦٤٢٠).

(٢) صحيح مسلم في القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٤/٢٠٤٤ ، برقم(٢٦٥٣).

(٣) سنن أبي داود في السنة، باب في القدر ٤/٢٢٥ ، برقم(٤٧٠٠)، صحيح الجامع، للألباني، برقم (٢٠١٧).

واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" [1].

([1]) سنن الترمذي في صفة القيامة ٤/٦٦٧ ، برقم(٢٥١٦)، صحيح الجامع، للألباني، برقم (٧٩٥٧).

٩٧- العلي - ٩٨- الأعلى ٩٩- المتعالي جل جلاله

العلي والأعلى والمتعالي من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذه الاسماء في النقاط التالية:

أولا: المعني اللغوي لهذه الاسماء

قال أهل اللغة:" العلي في اللغة فعيل بمعنى فاعل، صفة مشبهة للموصوف بالعلو، فعله علا يعلو علوا، والعلو ارتفاع المكان أو ارتفاع المكانة، فمن علو المكان ما رواه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا: " **فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه: يا رب خفف عنا؛ فإن أمتي لا تستطيع هذا** " [١] .

أما العلو بمعنى علو الرفعة والمجد أو الشرف والمكانة فكقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ [محمد:٣٥].

والعلي الشريف، فعيل من علا يعلو، وهو بمعنى العالي، وهو الذي ليس فوقه شيء، ويقال: هو الذي علا الخلق فقهرهم بقدرته.

الأعلى في اللغة أفعل التفضيل، فعله علا يعلو علوا، فالأعلى هو الذي ارتفع عن غيره وفاقه في وصفه، وتعالى الله أي: جل ونبا عن كل ثناء، فهو أعظم وأجل وأعلى مما يثنى عليه، لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

والأعلى: هو الله الذي هو أعلى من كل عال، وصفاته أعلى الصفات، وصفة الله العليا أي ما يصف به العبد ربه شهادة أن لا إله إلا الله، فهذه أعلى

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله وكلم الله موسى تكليما ٦/ ٢٧٣١ ، برقم (٧٠٧٩) .

الصفات، ولا يوصف بها غير الله وحده لا شريك له، ولم يزل الله عليا عاليا متعاليا، تعالى الله عن إلحاد الملحدين، ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وأما **المتعالي**: فهو الذي جل عن إفك المفترين، وتنزه عن وساوس المتحيرين. والعلاء: الشرف؛ وذو العلا: صاحب الصفات العلا والعلا: جمع العليا أي: جمع الصفة العليا والكلمة العليا، ويكون "**العلى**" جمع الاسم الأعلى؛ والعلياء كل مكان مشرف، والعلاء والعلا الرفعة والشرف [(١)].

ثانيا: المعني الاصطلاحي لهذه الاسماء

قال العلامة ابن القيم: وقد أجمع المسلمون أن الله سبحانه العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن والعلو صفة مدح فثبت أن لله تعالى علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة، وجماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله سبحانه وتعالى من جهة الفوق في الدعاء والسؤال، واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة، ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق، وقال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠] . وقال تعالى: ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾ [المعارج: ٤]، وقد صح "عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها **أين الله**؟ قالت: في السماء وأشارت برأسها إلى السماء وقال: **من أنا**؟ فقالت: أنت رسول الله، فقال: اعتقها

(١) لسان العرب، لابن منظور ٣٠٨٩/٤، وكتاب العين، للفراهيدي ٢٤٥/٢ .

فإنها مؤمنة"، فحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإيمانها حين قالت: إن الله في السماء"[1].

وقال في موطن آخر: " **العلي** الذي علا عن كل عيب وسوء ونقص ومن كمال علوه أن لا يكون فوقه شيء بل يكون فوق كل شيئ"[2].

وقال ابن خزيمة: " والله قد وصف نفسه في غير موضع من تنزيله ووحيه وأعلمنا أنه العلي العظيم، أفليس العلي يا ذوي الحجا ما يكون عليا لا كما تزعم المعطلة الجهمية أنه أعلى وأسفل ووسط ومع كل شيء وفي كل موضع من أرض وسماء وفي أجواف جميع الحيوان، ولو تدبروا آية من كتاب الله ووفقهم الله لفهمها؛ لعقلوا أنهم جهال لا يفهمون ما يقولون، وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ مقالتهم " [3] .

وقال الإمام الغزالي: " "**العلي**" هو الذي لا رتبة فوق رتبته وجميع المراتب منحطة عنه؛ وذلك لأن العلي مشتق من العلو والعلو مأخوذ من العلو المقابل للسفل؛ وذلك إما في درجات محسوسة كالدرج والمراقي وجميع الأجسام الموضوعة بعضها فوق بعض وإما في الرتب المعقولة للموجودات المرتبة نوعا من الترتيب العقلي فكل ما له الفوقية في المكان فله العلو المكاني وكل ما له الفوقية في الرتبة فله العلو في الرتبة والتدريجات العقلية مفهومة كالتدريجات الحسية ومثال الدرجات العقلية هو التفاوت الذي بين السبب والمسبب والعلة

---

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم ٢/ ١٨٢، باختصار

(2) شفاء العليل، لابن القيم، صـ ١٨٠.

(3) كتاب التوحيد، لابن خزيمة، صـ ٢٥٧.

والمعلول والفاعل والقابل والكامل والناقص فإذا قدرت شيئا فهو سبب لشيء ثان؛ وذلك الثاني سبب لثالث والثالث لرابع إلى عشر درجات مثلا فالعاشر واقع في الرتبة الأخيرة فهو الأسفل الأدنى والأول واقع في الدرجة الأولى من السببية فهو الأعلى ويكون الأول فوق الثاني فوقية بالمعنى لا بالمكان والعلو عبارة عن الفوقية.

فإذا فهمت معنى التدريج العقلي فاعلم أن الموجودات لا يمكن قسمتها إلى درجات متفاوتة في العقل إلا ويكون الحق سبحانه وتعالى في الدرجة العليا من درجات أقسامها حتى لا يتصور أن يكون فوقه درجة وذلك هو العلي المطلق وكل ما سواه فيكون عليا بالإضافة إلى ما دونه ويكون دنيا أو سافلا بالإضافة إلى ما فوقه.

وليس يخفى علينا أن الملك فوق الإنسان والإنسان فوق البهيمة وأن الله عز وجل فوق الكل فهو العلي المطلق فإنه الحي المحيي العالم المطلق الخالق لعلوم العلماء المنزه المقدس عن جميع أنواع النقص.

فإذا فهمت هذا فقد فهمت معنى كونه فوق العرش؛ لأن العرش أعظم الأجسام وهو فوق جميع الأجسام والموجود المنزه عن التحديد والتقدر بحدود الأجسام ومقاديرها فوق الأجسام كلها في الرتبة ولكن خص العرش بالذكر؛ لأنه فوق جميع الأجسام فلما كان فوقها كان فوق جميعها وهو كقول القائل الخليفة فوق السلطان تنبيها به على أنه إذا كان فوقه كان فوق جميع الناس الذين هم دون السلطان"[1]

---

(1) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١٣٨.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: " "**العلي، الأعلى**" هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر، فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهى"[١].

وعلو الله تعالى، الذي دلت عليه النصوص، على ثلاثة أنواع، وسوف نتناولها على النحو التالي:

١- **علو المكانة والقدر:** وهو الذي أطلق عليه القرآن: "**المثل الأعلى**"، والمثل الأعلى: الصفات العليا التي لا يستحقها غيره، فالله هو الإله الواحد الأحد، وهو متعال عن الشريك والمثيل والند والنظير: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١- ٤].

وقد ذكر الله تعالى المثل الأعلى في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النحل: ٦٠]، قال ابن تيمية:" ولهذا كانت الطريقة النبوية السلفية أن يستعمل في العلوم الإلهية قياس الأولى كما قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾، إذ لا يدخل الخالق والمخلوق تحت قضية كلية تستوي أفرادها ولا يتماثلان في شيء من الأشياء، بل يعلم أن كل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولى بنفيه عنه " [٢].

---

(١) تفسير السعدي، صـ ٩٤٦.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٢/٣٥٠ .

وقال الآمدي:" فقياس الأولى جائز في حق الله وأسمائه وصفاته وأفعاله أما المحرم الممنوع فهو قياس التمثيل والشمول(١) .

وجاء ذكر المثل الأعلى في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧]، قال الألوسي:" وله المثل الأعلى أي الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في العلو مطلقا، وهو الوجوب الذاتي، والغنى المطلق، والجود الواسع، والنزاهة عن صفات المخلوقين، ويدخل فيه علوه تعالى عما يقولون علوا كبيرا" .(٢)

٢- **علو الذات**: فالله مستو على عرشه، وعرشه فوق مخلوقاته، كما قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾ [يونس: ٣]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾ [الرعد: ٢].

والله مستو على عرشه فوق عباده، كما قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٨].

وفي إثبات علو الذات لله تعالى قال ابن القيم في نونيته:

فهو العلي بذاته سبحانه إذ يستحيل خلاف ذا ببيان

---

(١) غاية المرام في علم الكلام، للآمدي ١/١٢٢.

(٢) روح المعاني، للألوسي١٤/١٧٠، وزاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٤٥٩، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب، لابن الجوزي ١/٧٢.

وهو الذي حقا على العرش استوى قد قام بالتدبير للأكوان(١).

٣- **علو القهر والغلب**: وقد وصف الله تبارك وتعالى نفسه بصفات كثيرة تدل على علو القهر والغلب كالعزيز، والقوي، والقاهر، والقدير، والغالب، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

والله تعالى لا ينازعه منازع، ولا يغلبه غالب، وكل مخلوقاته تحت قهره وسلطانه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤].

ثالثا: ورود هذه الأسماء في القرآن والسنة

ورد اسم الله العلي في سبعة مواطن من كتاب الله تعالى، وقد اقترن باسم الله العظيم في موطنين منها، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤].

وقد تحدث العلامة ابن القيم عن السر في اقتران هذين الاسمين الكريمين، حيث قال رحمه الله تعالى:" إنه سبحانه قرن بين هذين الاسمين الدالين على علوه وعظمته في آخر آية الكرسي، وفي سورة الشورى، ففي آية الكرسي: ذكر الحياة - التي هي: أصل جميع الصفات وذكر معها قيوميته المقتضية لذاته وبقائه، وانتفاء الآفات جميعها عنه؛ من النوم والسنة والعجز وغيرها - ثم ذكر كمال ملكه، ثم عقبه بذكر وحدانيته في ملكه؛ وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم

---

(١) نونية ابن القيم صـ ٢٠٣.

ذكر سعة علمه وإحاطته، ثم عقبه بأنه لا سبيل للخلق إلى علم شيء من الأشياء إلا بعد مشيئته لهم أن يعلموه، ثم ذكر سعة كرسيه؛ منبها به على سعته – سبحانه – وعظمته وعلوه؛ وذلك توطئة بين يدي ذكر علوه وعظمته، ثم أخبر عن كمال اقتداره، وحفظه للعالم العلوي والسفلي من غير اكتراث ولا مشقة ولا تعب، ثم ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين الدالين على علو ذاته وعظمته في نفسه"(١).

ولأهمية هذين الاسمين فقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم لأن يجعلوهما في ركوعهما وسجودهما، وقال العلامة ابن القيم: "وقد شرع الله سبحانه لعباده ذكر هذين الاسمين: "**العلي، العظيم**" في الركوع والسجود، فعن إياس بن عامر قال سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول: لما نزلت ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم "**اجعلوها في ركوعكم**" فلما نزلت ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾ قال "**اجعلوها في سجودكم**"(٢).

وعن سر جعل هذ الكلمات في الركوع والسجود قال العلامة ابن القيم: "وكان وصف الرب بالعلو في هذه الحال في غاية المناسبة لحال الساجد الذي قد انحط إلى السفل على وجهه فذكر علو ربه في حال سقوطه، كما ذكر عظمته

---

(١) الصواعق المرسلة، لابن القيم ٤/١٣٧١.

(٢) مسند أحمد، برقم(١٧٤٥٠)، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده محتمل للتحسين، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود، برقم (١٨٤).

في حال خضوعه في ركوعه ونزه ربه عما لا يليق به مما يضاد عظمته وعلوه"[1] .

وقالت أحدى الباحثات:" ولله عز وجل صفة كمال من اسمه "**العلي**"، وصفة كمال من اسمه "**العظيم**"، وصفة كمال ثالثة من اجتماعهما، فقد حاز العلو بكل أنواعه، وجمع العظمة بكل صورها، فهو عظيم في علوه، عال في عظمته سبحانه ولعل تقديم اسم "**العلي**" على "**العظيم**" من تقديم السبب على المسبب؛ لأنه عز وجل عظم لعلوه على كل شيء"[2]

كما اقترن اسم الله العلي باسم الله الكبير في أربعة مواضع، ومن ذلك قوله تعالى، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]، وفي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [لقمان: ٣٠]، والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن بين هاتين الآيتين تشابه كبير، فكلاهما تتحدثان عن وحدانية الله تعالى ونفي ما دونه من الأنداد الباطلة، وقد قال الإمام ابن كثير في تفسير آية الحج:" وقوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ ، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي

---

(1) الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم صـ ٢١٢.

(2) مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام في القرآن الكريم، لنجلاء الكردي، صـ ٤٧٤.

الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدس وتنزه، وعز وجل عما يقول الظالمون علوا كبيرا"[١].

كما اقترن اسم الله العلي باسمه الكبير في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾ [النساء: ٣٤]، وعن سر الاقتران بين اسم الله العلي والكبير يقول القاسمي في تفسيره هذه الآية، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾ أي: فاحذروا أيها الأزواج ظلم النسوة من غير سبب، فإنهن وإن ضعفن عن دفع ظلمكم، وعجزن عن الإنصاف منكم، فالله سبحانه علي قاهر كبير قادر ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن، فلا تغتروا بكونكم أعلى يدا منهن وأكبر درجة منهن، فإن الله أعلى منكم وأقدر منكم عليهن فختم الآية بهذين الاسمين فيه تمام المناسبة[٢].

كما اقترن اسم الله العلي باسمه الكبير في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣]، وفي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

كما اقترن اقترانه باسم الله **العلي** باسمه سبحانه "**الحكيم**"، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ٤٤٩.

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي ٥/١٢٢٢.

﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾ [الشورى: ٥١] قال الطاهر ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية هذه الآية: "والقول في موقع جملة ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾ كالقول في جملة: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾ [الشورى: ٥٠] السابقة، وإنما أوثر هنا صفة "العلي الحكيم" لمناسبتهما للغرض؛ لأن العلو في صفة "**العلي**" علو عظمة فائقة لا تناسبها النفوس البشرية التي لم تحظ من جانب القدس بالتصفية فما كان لها أن تتلقى من الله مراده مباشرة فاقتضى علوه أن يكون توجيه خطابه إلى البشر بوسائط يفضي بعضها إلى بعض، وأما وصف "**الحكيم**" فلأن معناه: المتقن للصنع، العالم بدقائقه وما خطابه البشر إلا لحكمة إصلاحهم ونظام عالمهم، وما وقوعه على تلك الكيفيات الثلاث إلا من أثر الحكمة لتيسير تلقي خطابه، ووعيه دون اختلال فيه ولا خروج عن طاقة المتلقين"(١).

أما اسم الله الأعلى فقد ورد في موضعين من كتاب الله تعالى، وهذين الموضعين هما قوله تعالى : ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلى: ١] ، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾ [الليل: ١٩ – ٢١].

أما اسم الله المتعال، فقد ورد في موضع واحد من كتاب الله تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾ [الرعد: ٩].

رابعا: الآثار الإيمانية لهذه الاسماء

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٢/١٥٠ .

لا سماء الله "**العلي والأعلى والمتعالي**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ إيمان المسلم بعلو الله تعالى فوق خلقه، يقتضي من المسلم اثبات أنواع العلو الثلاثة لله تعالى، وقد سبق الكلام عنها، وهي:" علو الذات وعلو القدر، وعلو المكانة"، واثباتها لله يكون على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن كل نقص في ذاته وصفاته وأفعاله، وإثبات صفات الكمال له سبحانه وحمده على ذلك، قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٢، ٤٣].

والايمان بعلو الله تعالى يورث في النفس محبة الله تعالى والخضوع له، وهذان هما ركنا العبودية لله تعالى إذ إن حقيقة العبودية لله تعالى إنما تنشأ من غاية الحب لله تعالى مع غاية التذلل له، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، والعرب تقول: طريق معبد أي: مذلل، والتعبد التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا"[١].

٢ ـ كما أن إيمان المسلم بعلوا لله تعالى فوق خلقه، يقتضي من المسلم الايمان بالله تعالى وتعظيمه، والإيقان بأن الله غني في عليائه وأنه لا يفتقر إلى أحد من خلقه، وأنه مهما مدحناه وأثنينا عليه فهو أعلى من وصفنا وأجل من

(١) مدارج السالكين، لابن القيم ١/٧٤.

مدحنا، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢].

ولما علمت الملائكة بعلو الله وعظمته خشعت لله وخضعت عندما تتلقى الوحي، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣]، فإذا كان هذا حال الملائكة، فحري بالمؤمن أن يخشع لله تعالى العلي الأعلى، وأن يتذلل بين يدي مولاه، ويركن إليه ويعتمد عليه ثقة في أنه العلى ولا علي على الإطلاق سواه، فعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له:" **ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك وإن كنت مغفورا لك، قال قل: لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله، سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين** "(١).

٣- أن يعلم العبد أن الخلق مهما علو في الأرض فإن هناك من هو أعلى منهم من بين المخلوقات والموجودات من الانبياء والملائكة، وأن العلو المطلق من جميع الجهات هو لله تعالى وحده، قال الإمام الغزالي:" لا يتصور أن يكون عليا مطلقا إذ لا ينال درجة إلا ويكون في الوجود ما هو فوقها وهو درجات الأنبياء والملائكة نعم يتصور أن ينال درجة لا يكون في جنس الإنس من يفوقه وهي درجة نبينا محمد ولكنه قاصر بالإضافة إلى العلو المطلق من وجهين **أحدهما**: أنه علو بالإضافة إلى بعض الموجودات **والآخر**: أنه علو بالإضافة

---

(١) الترمذي في الدعوات ٥/٥٢٩ (٣٥٠٤)، وانظر صحيح الجامع ، برقم (٢٦٢١).

إلى الوجود لا بطريق الوجوب بل يقارنه إمكان وجود إنسان فوقه فالعلي المطلق هو الذي له الفوقية لا بالإضافة وبحسب الوجوب لا بحسب الوجود الذي يقارنه إمكان نقيضه"[1].

وهذا الشعور يجعل العبد حذرا من العلو في الأرض بغير الحق، ويجعله يتجنب ظلم الخلق والعدوان عليهم، ولا ينجو من هذا الظلم والبغي إلا من تذكر علو الله تعالى وقهره، وليعلم العبد المتعالي وأنه مهما تعالى وظلم وقهر فإن الله "**العلي المتعال**" فوقه، يراه يقتص للمظلومين ممن ظلمهم. وليعلم أنه ما من جبار علا في الأرض وتجبر إلا وقصمه الله تعالى وأهلكه.

٤ـ دعاء بهذه الاسماء، وقد ورد الدعاء بهذه الاسماء جلمة من النصوص والآثار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**من قال حين يأوي إلى فراشه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر غفرت له ذنوبه أو خطاياه، وإن كانت مثل زيد البحر** "[2]. وعن عبادة رضي الله عنه مرفوعا وفيه: "**من تعار من الليل فقال حين يستيقظ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله،**

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٤٢.

(٢) صحيح الترغيب والترهيب، برقم (٦٠٧).

والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم دعا: رب اغفر لي، غفر له" (١).

وعبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب:" **لا إله إلا الله العلى العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم** " (٢) .

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا انتبه من الليل ٢/١٢٧٦، برقم(٣٨٧٨)، والكلم الطيب (٤٣) .

(٢) صحيح ابن ماجة ، برقم (٣١٣٣)، والسلسلة الصحيحة، برقم(٢٠٤٥)

فهرس الجزء الثاني

الاستهلال.. ٣

الإهداء.. ٤

المقدمة ٥

٤٨- الرحمن ٤٩- الرحيم جل جلاله ٦

٥٠- الغفور ٥١ - الغفار جل جلاله ٢٣

٥٢- الولي ٥٣- المولى جل جلاله ٣٩

٥٤- الخالق ٥٥- الخلاق جل جلاله ٥٣

٥٦- القوي ٥٧- المتين جل جلاله................................ ٧١

٥٨- القاهر ٥٩- القهار جل جلاله ٨٧

٦٠- اللطيف ٦١- الرفيق جل جلاله................................ ١٠٤

٦٢-الرازق ٦٣- الرزاق جل جلاله جل جلاله ١٢٧

٦٤- الشاكر. ٦٥- الشكور جل جلاله................................ ١٤٣

٦٦- الكريم ٦٧- الأكرم جل جلاله ١٦٤

٦٨- الحافظ ٦٩- الحفيظ جل جلاله ١٨٢

٧٠- الوكيل ٧١- الكفيل جل جلاله ١٩٤

٧٢- النصير ٧٣- خير الناصرين جل جلاله ٢١٢

٧٤- القابض ٧٥- الباسط جل جلاله ٢٢٩

٧٦- المقدم ٧٧- المؤخر جل جلاله................................ ٢٤٣

٧٨- الكبير ٧٩ - المتكبر جل جلاله................................ ٢٦٠

٨٠ ـ الأول ٨١ ـ الآخر جل جلاله ٢٧١
٨٢ ـ الظاهر ٨٣ ـ الباطن جل جلاله ٢٨٢
٨٤ ـ الحكم ٨٥ ـ الحاكم جل جلاله ٢٩٨
٨٦ ـ الواحد ٨٧ ـ الأحد جل جلاله ٣١٧
٨٨. العليم ٨٩ ـ العالم ٩٠ـ العلام ـ جل جلاله ٣٣٤
٩١ ـ الملك ٩٢ـ المالك ٩٣ـ المليك جل جلاله ٣٥٧
٩٤ ـ القادر ٩٥ ـ القدير ٩٦ ـ المقتدر............................... ٣٦٩.
٩٧ ـ العلي ٩٨ـ الأعلى ٩٩ ـ المتعالي جل جلاله ٣٨٩